

المحامي أحمد حسين يعقوب

النظام السياسي

في الإسلام

رأي السنّة

رأي الشيعة

حكم الشريعة



النظام السياسي في الاسلام

رأي السنة رأي الشيعة

حكم الشرع

المحامي

أحمد حسين يعقوب



﴿وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا
تبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم
وصاكم به لعلكم تتقون﴾ .

[قرآن كريم]

﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها
ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ .

[قرآن كريم]



مؤسسة الفكر
لندن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما هو أهله ، والصلاة والسلام على محمد وأهله ، واللعنة
الدائمة على منائهم ، ومنكري فضائلهم ، وغاصبي حقوقهم ، وجاحدي
فضائلهم . . . إلى يوم الدين . . آمين .

وبعد :

كانت لي رحلة ممتعة عبر تصفحي للسفر القيم للأستاذ المبجل المحامي
أحمد حسين يعقوب في رسالته : «النظام السياسي في الإسلام» بكل ما فيه من
بُعد تاريخي، وتحليل علمي، وعمق فكري، ومحاولة جادة على جادة الحقيقة ،
ويعت لأفكار بكر من زوايا الإهمال ، مع تأطيره لكل هذا وذالك بروح موضوعية،
وإنصاف رائع ، يُعَد - بحق - مظهراً لنوع من الخلاقية والروح الحرة الأبية
من أن يرى الحق يهضم ، أو الباطل يُعلم ، فكان محامياً حقاً قولاً وفعلاً ،
وشهرةً وتنفيذاً ، امتاز به كاتبنا في كتابه هذا ، ونحن اذ نشمّن له هذا العمل
الجبار ، ونبارك له مثل هذا المشروع المضيئي ، نسأل الله له كل توفيق وتأييد
وتسديد . . . ولا يفوتنا - في هذه العجالة - من التنبيه على وجود ملاحظات
علمية وتاريخية أو استنتاجات عقائدية فاتت كاتبنا المبجل - وحقّ له أن تفوته ،
مع كل ما حمله من أعباء ومسؤولية - فهو في الوقت الذي يصرّح في صفحة ٥

: « لكن الحقيقة بعده [كذا] موزعة بنسبة ما ، ما بين الحكم والمعارضة » .
يقول في صفحة ٢٨٤ : « وقد تبين لنا أن الولي بعد الرسول هو علي بنص القرآن الكريم ، وقد تبين أيضاً أن الولي بعد الرسول هو علي بنص السنة المطهرة ، وقد تبين بنص السنة المطهرة أن من أطاع علياً فقد أطاع الله وقد أطاع الرسول ، وبالتالي من أطاع علياً فهو من حزب الله ، ومن عصي علياً فقد عصي الرسول ، ومن عصي الرسول فهو من حزب الشيطان . . . » .

وبحق لنا أن نتساءل من أستاذنا من هي المعارضة التي تملك بعض الحقيقة؟! . إن كان علياً عليه السلام وحزبه - فهم يملكون كل الحقيقة ، إذ هم مع الحق والحق معهم . . وهم مع القرآن والقرآن معهم . . وهم الفائزون يوم القيامة . . وهم . . .

وإلا لما صح أن إطاعة علي إطاعة الرسول ، وإطاعة الله ، وعصيانه عصيان لهما ، ويستحيل على الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله أن يجعل من يملك بعض الحقيقة إماماً للناس وسراجاً وولياً . . « إذ لا ينال عهدي الظالمين » . وحسبنا آيات التطهير، والولاية، والمباهلة، وغيرها من نصوص غرف منها كاتبنا غرفة ولا نرى ضرورة في تكرارها .

ثم ها هو - دام فضله - يتحدث عن لسان المعارضة في صفحة ٦ :
« .. وإما أن تكون معاداة صارخة للواقع التاريخي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله ، والصاق كل نقيصة بهذا الواقع وبمن يؤيده ، دون معرفة علمية برأي الحكم آنذاك وظروفه ، وهذا نهج الكثير من أهل الشيعة . . » .

إن باحثنا الفاضل قد أصاب في هذه الملاحظة ، وهي نهج كل شيعي يعتقد أن الانحراف وخروج الحق عن أهله بدأ من السقيفة وينتهي إليها ، وإلا فهل يعقل أن تكون رسالة أريد لها الديمومة والبقاء - وهي التامة والخاتمة - أن يؤول أمرها إلى ما وصلت إليه من تمزق وانحراف ، وزيف وضلال . . إلى يومنا هذا؟! .

وما هو ربط (المعرفة العلمية برأي الحكم آنذاك وظروفه) مع كل هذا
وذاك ؟ !

شهد الله لم أجد ما أبرر به كلام أستاذنا - مع كل ما أحمل له من تقدير واحترام وحسن ظن - ، وهل صِرف وجود مشتركات بين الفريقين من إله واحد ونبي واحد ودين واحد ، يبرر تصحيح كل ما صدر باسم الإسلام والدين والإله والنبي (ص) . ! وإلا فإن بين كل مختلفين مشتركات ، وبين الليل والنهار اشتراك كما أن بين السواد والبياض العارضين مشتركات ، ولا أحب أن أسهب في الحديث عن المفترقات والخلافات . .

والذي اعتقده شخصياً أن أستاذنا قد رجع عن فكرته هذه بعد أن أتم كتابه وبدأ يعتقد بما تعتقده المعارضة - على حدّ تعبيره - ، كما أنا نرفض التعبير بالمعارضة - إلا على أن يكون مصطلحاً سياسياً - وإلا فإن ما تعتقده الشيعة أن النظام بخروجه عن الجادة ، وتركه ما أختاره الله ورسوله ، وسحقه لبعض القيم والمبادئ لم يُبق مجالاً للتصحيح والتبرير ، ولماذا المجاملات ؟ وإلى متى يا ترى ؟ ولمّ النفاق ؟ وما معنى المعرفة برأي الحكم وظروفه ؟ ! وهل تبرر - مثل هذه المعرفة - سحق كل القيم والحقيقة . . ؟ ! وهل الحقيقة إلا شيء واحد فيما هنا أو هناك ؟ وهل تسوّغ لنا الظروف - بعد كل الذي حدث وبعد أن مُزّق الدين باسم الدين ، ونبذ الكتاب وترك الرسول (ص) مسجّى ، وتداولها القوم تداول الكرة يلعب بها الصبيان و . . - ان نسكت ونتغاضى ، ونحابي ونجامل . . !

ولقد كفتنا الزهراء البتول سلام الله عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها - وهي بنت الوحي وأم أبيها ، رضية الرسالة وربة العصمة ورببيتها وهي تقول في خطبتها في مسجد أبيها ، وعلى مسمع كل من حضر ، وقد نقل الخطبة الخاص والعام ، والصديق والعدو . .

أقول كفتنا سلام الله عليها كلّ قيل وقال وتشريق وتغريب إذ تقول :

[... حتى إذا أختار الله لنيبه دار أنبيائه)

ومأوى اصفياه (ظهر فيكم حسيكة (ظهرت خلة)

النفاق ، وسمل جلباب الدين ، ونطق كاظم الغاوين

، ونبغ خامل الأملين (الأفلين) وهدر فنيق المبطلين ،

فحضر في عرصاتكم وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه

هاتفاً (صارخاً) بكم فألفاكم لدعوته (فوجدكم لدعائه

(مستجيبين ، وللغرة فيه ملاحظين . . ثم استنهضكم

فوجدكم خفافاً ، وأحمسكم فألفاكم غضاباً فوسمتم غير

إيلكم ، واوردتم غير شربكم .

هذا ، والعهد قريب والكلم رحيب ، والجرح لّما

يندمل (والرسول لّما يقبر ابتداراً) زعمتم خوف الفتنة

، ألا في الفتنة سقطوا ، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ،

[... إلى آخر خطبتها صلوات الله عليها^(١) ،

وهي مفصلة جداً ، لم نجد نصّاً تاريخياً ذكرته العامة أو الخاصة قيل أو يمكن

أن يقال لتوضيح ابعاد المظلمة وُعد الهوة والانحراف الحاكم آنذاك . . وهي

حرية بالدرس المستقل . .

ثم ها هي صلوات الله عليها تبرر عزل بعلها عن كل ما جرى ، فتصرخ

بنساء المهاجرين والأنصار قائلة :

[... وما الذي نَقَمُوا من أبي الحسن ؟! نَقَمُوا

والله نكير سيفه ، وشِدَّة وطأته ، ونكال وقعته ، وتنمره

في ذات الله ، وتالله لو تكافؤوا عن زمام نبذه إليه رسول

الله صلّى الله عليه وآله لا عتقله ، ولسار إليهم سيراً

سُجْحاً ، لا تُكلم حشاشته ، ولا يتعتع راكمه .

(١) بلاغات النساء - ابن طيفور - : ١٣ - ١٤ وعشرات المصادر.

ولأوردتهم منهلأ نـميراً فضفاضاً ، يطفح ضفتاه ،
ولا صدرهم بطاناً قد تحير بهم الرأي ، غير متحلّ بطائل ،
إلا بغمر الناهل ، وردعة سورة الساعب ، ولفتح
عليهم بركات من السماء والأرض ، وسيأخذهم الله بما
كانوا يكسبون .

ألا هلم فاستمع ، وما عشت اراك الدهر عجبه ،
وإن تعجب فقد اعجبك الحادث ، إلى أي لجأ
استندوا ، وبأي عروة تمسكوا ! لبس المولى ولبس
العشير ، ولبس للظالمين بدلاً ! استبدلوا - والله -
الذنانى بالقوادم ، والعجز بالكاهل ، فرغاً لمعاطس
قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴿ ألا إنهم هم
المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾ .

ويحهم : ﴿ أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع
أمن لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون ﴾ ؟ لما
لعمر الله لقد ألقحت ، فنظرة ريثما تنتج ، ثم احتلبوها
طلاغ العقب ذماً عبيطاً وذهاقاً ممرقاً هنالك يخسر
المبطلون ، ويعرف التالون غب ما أسس الأولون ، ثم
طيبوا عن انفسكم نفساً ، واطمئنتوا للفتنة جاشاً ،
وابشروا بسيف صارم ، وهرج شامل ، واستبداد من
الظالمين ، يدع فينكم زهيداً ، وجمعكم حصيداً ،
فيا حصرة عليكم ، وإنى لكم وقد عميت عليكم ،
أنلزمكموها وانتم لها كارهون^(١) .

إنها آية مما كان آنذاك وما يكون ، ولا يسعنا شرح كلامها صلوات الله
عليها وأننى لنا ، فهي تفرغ عن لسان أبيها صلوات الله عليه وعلى آله درساً

(١) شرح نهج البلاغة لابن الحديد : ١٦ / ٢٣٣ - ٢٣٤ ، وغيره .

ومدرسة وعبرة وعبرة .

والأمر بعد كل هذا وذاك قوله أخيراً صفحة ٣٣ : أمام النقد الذي تعرضت له النظريات السابقة ظهرت نظرية جديدة منسجمة مع الواقع !! ومفادها : أن رئيس الدولة كائناً من كان !! هو الذي يسمي خليفته من بعده . . . » .

وهو يردّ هذا ، ومع ذاك يطالبنا بمعرفة علمية برأي الحكم آنذاك وظروفه، ويريد منا الإنصاف والمجاملة والمحابة . . . ونعم ما قال باحثنا في صفحة ٣٦ : « فأهل السنة تشبّثوا بكل شيء ليبرروا الواقع الذي حدث ، تشبّثوا بالنص ، وعندما خذلهم النص تشبّثوا بالاقتراض ، وعندما انهار الاقتراض تشبّثوا بالشورى ، وعندما انهارت الشورى تشبّثوا بالرأفة بالمسلمين والحرص على وحدتهم ومستقبلهم حتى لا يتركوا همل بلا راع . . . !! » .

ثم ها هو يقول : ٦٩ : ويبدو أنه بهذه النقطة تنفق الفرقتان : أهل السنة وأهل الشيعة ، وهي أن : الإمام لا يصبح اماماً فعلياً إلا اذا بايعته الأمة ، وبتعبير ادق : الخليفة لا يصبح خليفة إلا اذا بايعته الأمة . . . ويقول مثل ذلك من صفحة : ٣٦ : « . . . ولكنه لا يستطيع ان يمارس مهام رئاسة الدولة اذا لم تبايعه الأمة . . . » .

هذا وغيره صحيح إلى حد ما ، لكنّ الامام امام سواء بايعته الأمة ام لا ، والخليفة خليفة من الله ورسوله سواء ارتضته الأمة أم لا ، كالرسول بلا فرق ، والبيعة ما هي إلا أمر صوري يراد منها الاقرار العملي للأمة ، وطريق السماء منحصر بأهل البيت سواء بايعتهم الأمة أم لم تبايعهم ، ولا يصح الأخذ عن غيرهم ولا مبايعة من سواهم ، وبحث البيعة حديث ذو شجون ، لنا معه وقفة وملحوظة . . .

وعليه فقوله - صفحة : ٧٣ : « من الناحية الشرعية : لا يصبح الامام رئيساً للدولة إلا اذا بايعته الأمة ، فمبايعة الأمة له يعني اقرار له بالطاعة ،

والتزامها بقيادته ضمن الشرع ، ويعني ان الخليفة ملتزم معها بالشرع ايضاً -
لا يخفى ما فيه .

ونعم ما قال أخيراً في صفحة : ١١٧ : في بيان البيعة العامة في التاريخ :
... وهذه الاساليب ليست غير شرعية فحسب ، بل هي ضد الدين نفسه ،
وليس لهكذا خلافة نصيب من الشرعية سوى اسم الخلافة . . .
أقول ما كانت السقيفة والشورى والناكثون والقاسطون والمارقون إلا نماذج
مصغرة لكل ما سموه بيعة ، واطروء كدين . . . وعبروا عنه بـ ! الاسلام !!
وها هو يتبجح بفعل الخليفة الثاني بقوله صفحة : ١٠٩ : « وقد تنبه
إلى ذلك الفاروق عند توزيع الأعطيات ، وأخذ بعين الاعتبار توزيع العطايا
حسب الطبقة ولم يساو بين أول من أسلم بآخر من أسلم ، ولا ساوى بين من
قاتل الإسلام بكل فنون القتال حتى حُوصِرَ بجزيرة الشرك مع الرجل الذي
قاتل مع الاسلام كل معركة حتى أعزَّ الله دينه ، لأن هذه المساواة تغضب وجه
الله . . . » .

شهد الله إن هذا مما يضحك الثكلى . . اذ عدَّ الخروج عن سنة رسول
الله فخراً ! والبدعة في الدين عِزاً ! وتأسيس الطبقة التي حاربها الاسلام وجاء
للقضاء عليها مكرمة ! وتناسى « إن اكرمكم عند الله اتقاكم » فضيلة . . وما
عشت ارك الدهر عجباً .

ويصرح بعد ذلك في صفحة ١٧٨ : « وقصد عمر نبيل ، وهكذا قصد
أبي بكر !! . . » . وهل يكفي القصد او يصح العمل . . هذا لو صححنا
القصد ، وفتحنا باب التوجيه والتبرير ، لما بقي حجر على حجر ، ولصح لابن
ملجم قتل علي عليه السلام ، وقتل يزيد لشبل رسول الله (ص) وريحانته ،
ولجازت جرائم التاريخ . . .

ومن المؤاخذات التاريخية عليه حين يقول في صفحة ١٧ : « أول مرة
يطلق فيها هذا اللقب - أمير المؤمنين - كان على عمر بن الخطاب تاريخياً كما

يقول . . . إلى آخره .

وهذا لقب كبقية الألقاب التي غصبت من أبي الحسين عليه السلام مع كل ما ابتز منه ، فنحن نجد هذا اللقب مما اختص به صلوات الله عليه أيام رسول الله (ص) وحياه به نبي الاسلام ، واراوته له السماء وأقره عليه الواقع التاريخي ، ونصوص الفريقين قائمة على ذلك . . ولا أسهب في الحديث ، وإنما أتعرض إلى جملة من نصوص العامة ، ناهيك عن مئات من كتب الخاصة ، بل هو من ضروريات مذهبهم .

أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء : ١ / ٦٣ بإسناده عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ، يا أنس ! اسكب لي وضوءاً ، ثم قام فصلّى ركعتين . ثم قال : يا أنس ! أول من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين وسيد المسلمين ، وقائد الغر المحجلين ، وخاتم الوصيين .

قال أنس : قلت : اللهم اجعله رجلاً من الأنصار وكنتمته ، إذ جاء عليّ فقال : من هذا يا أنس ؟ فقلت : عليّ ، فقام مستبشراً فاعتنقه ثم جعل يمسح عرق وجهه بوجهه ، ويمسح عرق علي بوجهه . . إلى آخره .

وآخر عن ابن مردويه عن طريق ابن عباس قال : كان رسول الله (ص) في بيته فغدا عليه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بالغداة . . إلى أن قال : فقال له دحية : إني لاحبك وإن لك عندي مدحة أزفها لك ، أنت أمير المؤمنين ، وقائد الغر المحجلين . . فقال (ص) : يا علي لم يكن دحية ولكن كان جبرئيل سمالك بإسم سمالك الله به . . .

وغيرها كثير ، ويؤكددها ويعضدها عدة احاديث منها ما اخرجه ابو نعيم في حلية الاولياء : ١ / ٦٤ من طريق ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) : ما انزل الله آية فيها ﴿ يا أيها الذين آمنوا . . . ﴾ إلا وعلي رأسها وأميرها^(١) .

(١) انظر الرياض النظرة : ٢ / ٢٠٦ . الكفاية للكنجي : ٥٤ ، تذكرة سبط الجوزي : ٨ ، =

وبعد كل هذا : [فليست الفوارق بينهم - أي الشيعة - وبين أهل السنة فوارق اجتهدانية ليس إلّا ، - على حدّ تعبيره في صفحة ٢٩٧ - بل جذرية أساسية جوهرية في المبدأ والمنتهى . . وهذا لا ينافي احترام أموالهم واعراضهم كحرمة دمهم عندنا ، وأن نكون يدأ واحدة على من سوانا ، وأن نجاملهم بمقدار ما تسعنا المجاملة ، ونغض الطرف عن كل ما يكيلون لنا من سباب وتهم . . وتكفير ومروق . . وتهاجم وتحامل . .

وعلى كلّ فهذا غيظ من فيض تّما جال في ذهننا القاصر ، ونقدّم عذرنا لأستاذنا سلفاً ، وهو بحقّ كان له جهد مشكور ماثور . . يجزيه عليه الشّاء الجميل منّا والأجر الجزيل والخير الكثير من ربّ العالمين وكل باحث عن الحقيقة . . ولولا هذه أمثالها من الدراسات التي تدعوننا إلى الطمأنينة على مستقبل مشرق وإلى الثقة بأننا مسلموها بعدنا إلى المتممين المجدّدين لا إلى المفرّطين المضيعين الذين لم يعرفوا من الإسلام إلّا اسمه ، ومن القرآن إلّا رسمه ، ومن الأحكام إلّا لقلقة وحشرجة . .

كثر الله من أمثاله وسدّد خطاهم وهداهم إلى الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالّين .
وأخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

عبدالله النجفي

قم - ١٤١٢ هـ

الاهداء :

إلى التي تقود زورقها بمعاكسة تيار الحياة، فتكره من يحبها، وتحب من يكرهها، وتقطع من يصلها وتصل من يقطعها، وتغدر بمن يفي لها، وتفي لمن يغدر بها.

إلى التي تتساوى في حياتها الأضداد، فيغدو بواقعها الليل كالنهار، والحب كالكرهية، والخير كالشر، والغدر كالوفاء، والأبيض كالأسود، والرجاء كالقنوط، والفكرة تماماً كالسكرة.

إلى التي قطعت الصلة بماضيها، وتعامت عن حاضرها، وأدارت ظهرها لمستقبلها.

إلى التي تعتبر: الحقيقة، والحب، والوصل، والوفاء، مجرد كلمات «أجثت من فوق الأرض ما لها من قرار»، حتى إذا جاءتها الفكرة وفارقتها السكرة أبصرت، فندمت، وضربت كفاً بكف، واستبشر من حولها، وشرعوا بالبناء والزرع، لكنها تعمى بعد إبطار، فتهدم كلما بُني، وتقلع بأظافرها كلما زرع، ثم تدوس عليه بأقدامها بعد انسحاب الفكرة وسيطرة السكرة.

إلى التي شغفتنا حباً، وما زالت، وستبقى حتى في ما وراء أفق الموت. رغم كل الجراح والألم والشعور بالاحباط، إلى ظالمتي الغالية «ا . ي .».

[المؤلف]

مقدمة الكتاب

الحمد لله منزل الكتاب ، والصلاة والسلام على رسوله الذي اختصه الله تعالى
بالحكمة وفصل الخطاب ، وعلى آله شيوخ البطاح السادة الأفاضل ،

أما بعد :

فإن الكتابة عن النظام السياسي الإسلامي بالأسلوب المنهجي المعاصر لدراسة
الفكر السياسي ، ليست نزهة فكرية كما يبدو للوهلة الأولى ، إنها هي عملية شاقة ،
ومضنية ، تتطلب :

١ - معرفة مميزة بقواعد الشرع الحنيف - قرآنه وسنته - بما فيها مجريات الأحداث التي
أدت لقيام الدولة الإسلامية الأولى ، دولة الرسول ﷺ .

٢ - وتحتاج إلى اطلاع واسع على التاريخ السياسي الإسلامي بعد وفاة الرسول ﷺ
حتى سقط آخر سلاطين الدولة العثمانية ، على اعتبار أن هذا التاريخ صور
لتطبيق النظام السياسي الإسلامي كلياً أو جزئياً .

٣ - ولا بد أيضاً من الاطلاع الموضوعي والمنصف على رأي المعارضة بعد وفاة
الرسول ﷺ ومن مصادر المعارضة نفسها ، لا من مصادر الدول التي نشأت في
ظلالها تلك المعارضة - لأن أية دولة على الإطلاق ، بما فيها دولة الرسول نفسه ،
كانت تلقى معارضة ، بغض النظر عن شرعية أو عدم شرعية تلك المعارضة ،
وتستطيع القول بكل ارتياح أن الرسول ﷺ وحده كحاكم هو الذي يملك كل
الحقيقة ، لكن الحقيقة بعده موزعة بنسبة ما ، ما بين الحكم والمعارضة .

كل ذلك من خلال استرداد الحوادث التاريخية وتحليلها وفقاً لمناهج الاستقراء
والاستدلال والمقارنة .

وباختصار، كانت كتابتي للنظام السياسي الإسلامي تجربة هائلة تنوء بحملها طاقتي، مهما بلغت ثقتي بنفسي. ومع هذا، كانت تلك التجربة تشدني وتأسرنى تماماً، وحافزي لاقتحام هذا الهول، رغبتى الجساعة بوضع بحث متكامل ومميز عن النظام السياسي الإسلامي وعلى غير مثال يعالج النظام السياسي الإسلامي بموضوعية وتجرد كاملين، وكما وضعه الله تعالى وطبقه رسوله الأمين. ثم أضع هذا البحث تحت تصرف عاشقي هذا النظام من أهل السنة ومن أهل الشيعة معاً، وأمام طلاب الحقيقة من أبناء الملل الأخرى. وهذا مطلب كبير ومهمة عسيرة وشاقة وملينة بالمفاجآت وقف غيري على ابوابها متردداً - بغير ادعاء - أو غرف منها غرفاً يسيراً لا يشفي الغليل، ولا يرشد الضليل، واطلقوا على تلك الوقفات أبحاثاً، ففصت المكتبات بمثل تلك الأبحاث، وحصل أصحابها على ألقاب الفقهاء أو العلماء، وكيل لهم المديح بغير حساب، مع أن تلك «الأبحاث» التي عاجلت النظام السياسي الإسلامي في العصر الحديث، على الأقل، مبتسرة، وانتقائية ومقلدة، وقاصرة عن الاقتناع، فهي:

١ - إما أن تكون وصفاً للواقع التاريخي الذي ساد بعد وفاة الرسول ﷺ، وتمجيداً له، واعتباره المثال وجزءاً لا يتجزأ من الدين، وتشجيعاً على الذين يعارضون ذلك الواقع. تشجيع يصل إلى درجة التكفير، وكيل التهم جزافاً بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، ولا حتى معرفة علمية برأي المعارضة. وهذا نهج الكثير من مؤلفي أهل السنة.

٢ - وإما أن تكون معاداة صارخة للواقع التاريخي بعد وفاة الرسول ﷺ، والصاق كل نقيصة بهذا الواقع وبمن يؤيده، دون معرفة علمية برأي الحكم آنذاك وظروفه وهذا نهج الكثير من أهل الشيعة.

مع أن للفريقين إله واحداً هو الله جل وعلا، ولهما نبي واحد هو محمد ﷺ، ولهم دين واحد هو الإسلام أقام الله دولته وأدامها. تلك أركان ثلاثة لا خلاف عليها بين الفريقين، ومن يقول من الفريقين عن الآخر غير ذلك فقد ظلم، وبغى، وقلد تقليداً أعمى، فكل الفريقين ينهل من القرآن والسنة.

ونتيجة لهذين الموقفين المتناقضين بلا ضرورة، ولجهل كل واحد من الفريقين برأي الآخر، بقي النظام السياسي الإسلامي مجهولاً، وكنزاً مدفوناً لا يعرف حقيقته

حتى أولئك الذين يحملون ألقاب العلماء والفقهاء، وينادون بتطبيق الإسلام، وإقامة دولته .

وكلما جاء جيل من المؤلفين، دفن حقيقة هذا النظام بجهله، وحشا فوقه تراب العادة، فأظهروا نظام الإسلام كأنه نظام استبدادي، مع أنه نظام إلهي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وفي ظلال هذا كله، تشعبت الأمة وعصفت بها الأهواء، فلا هي استفادت من عبر تاريخها الماضي، ولا هي قادرة على استشراف مستقبلها .

إزاء هذا كله، نبذت المنهجين بعد استيعابها، وقطعت صلتني بالطريقتين بعد اكتشافهما، ويممت شطر الشرع الحنيف، قرآنه وسنته، أبغي الهدى، والحقيقة المجردة كما وردت بالشرع وبالشرع وحده. وبعد وقوفي على الحقيقة الشرعية المجردة، شرعت بوضع خطة البحث، فقسمته إلى أربعة أبواب:

١ - الباب الأول: تناولت فيه الإمام وكيفية توليته، وسقت فيه:

- أ - رأي أهل السنة بموضوعية وتجرد علمي كاملين ومن مصادر أهل السنة .
- ب - رأي أهل الشيعة بموضوعية وتجرد علمي كاملين، ومن مصادر أهل الشيعة .

ج - ثم سقت الرأي الشرعي الحنيف على اعتبار أنه الميزان والحكم .

د - ورافقت الإمام وهو مواطن في الدولة الإسلامية، ثم ولياً للمعهد، ثم إماماً وكيف يمارس اختصاصاته .

هـ - ولم أتهرب، بل تصديت لكل سؤال بالجواب .

و - ولم يأت السياق عبثاً، إنما كان مستنداً لمثبات المراجع .

٢ - وفي الباب الثاني: بينت كيف أقام الرسول ﷺ دولته، وسرت معه وهو فرد محاصر في جزيرة الشرك حتى كَوّن مقومات الدولة ركناً ركناً وحتى مارس سلطاته كرئيس للدولة .

٣ - وفي الباب الثالث: بينت مفهوم الدولة وطبيعتها في الإسلام .

٤ - أما الباب الرابع والأخير، فأوضحت فيه الأحزاب السياسية في الإسلام، حتى إذا انتهى القارئ المتصف من قراءة هذا البحث، يشعر أنني بفضل الله ومشيتته

قد أجبت على كل سؤال، وأنني قد وضحت النظام الإسلامي تماماً. فجاء
البحث جديداً بمنهجه، فريداً بتبويبه، شاملاً بمضمونه.

اللهم اجعل عملي هذا خالصاً لوجهك الكريم، لا اشتهاه فيه ولا ادعاء،
وهدية خالصة إلى رسوله الأمين محمد ﷺ، وإلى أهل بيته الطاهرين وآله الأكرمين،
وإلى بني هاشم وبني المطلب، ملحة الأرض الماجدين الذين طوقوا كل مسلم
بصنائعهم المجيدة إلى يوم الدين.

اللهم اجعل عملي هذا صدقة تطفئ بها خطاياي، ومجلبة لرضاك. اللهم إن
أخطأت فمن نفسي، إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي. وإن أصبت، فمنك
إنك نعم المولى ونعم النصير.

﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾.

[المؤلف]

الباب الأول

تولية الإمام

تولية الإمام

أولاً: ألقاب رئيس الدولة في النظام السياسي الإسلامي :

اطلق على رئيس الدولة الإسلامية عبر التاريخ السياسي الإسلامي ، مجموعة من الألقاب . ولكل واحد منها مداه ومفهومه وزمانه . لكنها أطلقت على شخص واحد ، وهو الذي يتولى رئاسة دولة المسلمين ، ولكل واحد من هذه الألقاب سنده الشرعي ، وأهمها :

أ - ولي الأمر :

لغة من ولي أمر أحد فهو وليه ، فولي القاصر أبوه وجده لأبيه ثم وصي أحدهما ثم الحاكم الشرعي . ومعناه أن هؤلاء هم الذين يلون أمره ويتصرفون بشؤونه .

والمعنى الاصطلاحي لولي الأمر منسجم مع المعنى اللغوي الذي أوردناه وما يؤيده هذا الفهم قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ، وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (١) .

(١) راجع كتاب المراجعات للإمام شرف الدين العاملي ص ١٨٧ - ١٨٨ ، ويمكن مراجعة كلمة ولي في الصحاح وفي مختار الصحاح . وهناك اجماع بان هذه الآية نزلت في علي ، وقد نقل هذا الاجماع اكثر من واحد كالامام القوشجي في مبحث الامامة والتجريد وفي الباب ١٨ من غاية المرام ١٨ حديثا عن طريق أهل السنة ثبت نزولها في علي . ويمكن الاطلاع على تفسير هذه الآية في تفسير الامام أبي اسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري الثعلبي والذي قال عنه بن خلكان في وفياته « انه اُوحِدَ زمانه في علم التفسير » . والثابت عن ائمة أهل البيت الكرام ان هذه الآية نزلت في علي عندما تصدق بخاتمته وهو راكم . وراجع ذلك في صحيح النسائي وفي تفسير سورة المائدة من كتاب الجمع بين الصحاح الستة ، وراجع تفسير الآية في كتاب أسباب النزول للواحدي ، وقد اخرج الخطيب في المتفق . وراجع مسندي بن مردويه وأبي الشيخ . وراجع كنز العمال الحديث ٥٩٩١ - ٣٩١ ج ٦ وراجع منتخب الكتر ص ٤٣٨ ج ٥ من مسند الامام أحمد . راجع الآيات ٥٥ - ٥٤ من سورة المائدة .

فيكون المعنى : أن الذي يلي أموركم فيكون أولى بها منكم ، هو الله ورسوله وعلي ، وقد أثبت الله الولاية لنفسه ولنبيه على نسق واحد ، وولاية النبي والولي مثلها وعلى أسلوبها كما ستتولى إثبات ذلك في حينه .

وكان يعرف الرسول ﷺ بأنه ولي المؤمنين وولي المسلمين للدلالة على رئاسته للمسلمين قبل قيام الدولة ، وكدلالة على رئاسته للدولة بعد قيامها ، وكدلالة على اختصاصه بتصريف شؤون المسلمين ورئاسته لهم في الدنيا والدين معاً . والأهم من ذلك أن الرسول ﷺ قد بين هذا المعنى في أحاديث واضحة ومحددة ولا تحتمل التأويل ، ونورد على سبيل المثال أيضاً منها :

- قال ﷺ لعلي : « أنت ولي في الدنيا والآخرة »^(١) .
- وقال ﷺ لعلي أيضاً : « أنت ولي كل مؤمن بعدي »^(٢) .
- وقال ﷺ أيضاً : « عليّ مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي »^(٣) .
- وقال ﷺ لرجل : « لا تقع في عليّ فإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي »^(٤) .

وهكذا ، فهم الصحابة الكرام كلمة ولي :
فهذا أبو بكر الصديق ، يبرر اختياره لعمر خليفة له من بعده ، فيقول : (اني ما وليت ذي قرابة)^(٥) .

إنه يصف عملية تنصيب رئيس الدولة بالتولية ، والمحصلة أن رئيس الدولة هو

ولي الأمر .

(١) راجع مسند الامام أحمد ج١ ص ٣٣٠ ، وراجع الخصائص العلوية للنسائي ص ٦ وراجع المستدرك للحاكم ج٣ ص ١٢٣ .

(٢) أخرجه النسائي في خصائصه واحمد بن حنبل في مسنده ج٤ ص ٤٣٨ والحاكم في مستدركه ص ١١١ والذهبي في تلخيص المستدرك . وابن أبي شيبه والمتقي الهندي في كنز العمال ج٦ ص ٤٠٠ والترمذي ، وعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد في شرح النهج ج٣ ص ٤٥٠ .

(٣) راجع مسند الامام أحمد ص ٣٥٦ ، ٣٤٧ ج٥ ص ١١٠ ج٣ من المستدرك للحاكم ص ٤٨٣ ج٢ من مسند الامام أحمد ، وأخرجه الطبراني وراجع ص ١٠٣ من الصواعق المحرقة لابن حجر وراجع ج٦ ص ٢٩٨ من كنز العمال .

(٤) راجع الحديث ٢٥٧٥ ص ١٥٥ ج٦ ص ٣٩٧ ج٦ من كنز العمال ص ١٨٧ من المراجعات للامام العاملي .

(٥) راجع على سبيل المثال : تاريخ الطبري ج٣ ص ٤٢٩ وراجع سيرة عمر لابن الجوزي ص ٣٧ وراجع الطبقات لابن سعد ج٣ ص ٣٦٤ وراجع الامامة والسياسة لابن قتيبة ص ٢٣ وما فوق .

ثم هذا هو عمر يردد كلمة التولية مرات ومرات وهو على فراش الموت، فتراه يقول: (لو كان أبو عبيدة حياً لوليته، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لوليته، ولو كان خالد بن الوليد حياً لوليته). وأحياناً يستعمل مع كلمة التولية كلمة (استخلفته ووليته) كأن كلمة الاستخلاف لا تغني عن كلمة التولية^(١).

وقد استعملت كلمة التولية من الصديق والفاروق مرات ومرات إشارة إلى عملية تنصيب رئيس الدولة واستخلافه. وليس أوضح من كلمة أبي بكر في أول خطبة سياسية له (إني قد وُلِّيتُ عليكم ولست بخيركم).

ومن الملفت للانتباه أن الفاروق والصديق لم يجدا كلمة تغني عن كلمة التولية على الرغم من التصاق هذه الكلمة شرعاً بعلي بن أبي طالب. ودلينا على ذلك أنه لم يصدف على الإطلاق أن الرسول ﷺ قد قال لمسلم قط «أنت وليهم من بعدي، أو من كنت مولاه فهذا فلان مولاه»... أقول على الإطلاق لم تقل هذه الكلمة شرعاً إلا لعلي. ولم تطلق هذه الكلمة شرعاً إلا على علي. مما يدل دلالة قاطعة على عمق التصاق الكلمة بالمعنيين اللغوي والشرعي.

فلم يجد الخليفان أي كلمة تعبر عن معنى رئاسة الدولة مثل كلمة التولية المشتقة من الولي، حتى ولا كلمة الاستخلاف. فلذلك تجد عمر يقول لو كان... حياً وليته واستخلفته، فكأن كلمة الاستخلاف لا تغني، فجاءت كلمة التولية لتوضحها.

والرسول ﷺ كان ولي أمر المؤمنين حتى قبل أن تنشأ الدولة يوجههم ويصرف أمورهم، ويرتبطون به برابطة التبعية واطاعة أوامره، حتى إذا قامت الدولة أعلن ذلك وشمل هذا الاعلان كافة رعايا الدولة^(٢).

(١) راجع الامامة والسياسة ص ٢٣ وراجع تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٢٧ وما بعد وفان ولوا والياً فأحسنوا مؤازرته وراجع ص ٢١٥ نظام الحكم للقاسمي. - راجع ص ٣٥٣ ج ٣ سطر ١٥ من شرح النهج لابن أبي الحديد.

(٢) راجع ج ١ ص ٥٠١ من سيرة ابن هشام، وراجع مجموعة الوثائق السياسية ص ١٥ وما بعدها، وراجع الرسول العربي وفن الحرب عند العرب لمصطفى طلاس، وراجع نظام الحكم لطاهر القاسمي ص ٣٠.

وفي زمن الخلفاء الراشدين كان ينظر لرئيس الدولة (ال خليفة) على أنه ولي الأمر وينادى كذلك . ولم يختلف الأمر من حيث التسمية في زمن الخلفاء الأمويين والعباسيين والعثمانيين ، فقد كان يعرف كل (خليفة) على أنه ولي الأمر .

حتى إذا انتقل الأمر إلى بني عثمان استقل السلاطين على أنفسهم أن يتسموا بالخلفاء (تأثراً) بالقاعدة الشرعية القائلة : (الأئمة من قريش) وبنو عثمان ليسوا عرباً .
فلذلك كانوا يعرفون بالسلاطين ، ومع هذا كان العامة والخاصة يعرفون أن السلطان هو ولي الأمر كناية عن رئاسة الدولة الإسلامية أو التعبير عن لقب رئيسها . ولتعلم أن اللقب الحقيقي لرئيس الدولة الإسلامية هو (ولي) ، إرجع إلى كنز العمال^(١) .

يقول أبو بكر : (أنا ولي رسول الله) ، ويقول عمر : (أنا ولي رسول الله وولي أبي بكر وأمرهما إلي وإلى من ولي الأمر)^(٢) .

ب - الإمام :

يأتي لقب الإمام متزامناً ومتزاملاً مع لقب ولي الأمر تاريخياً .
وأمّ القوم لغة تقدمهم ، والإمام كل من أؤتم به قوم ، سواء أكانوا على الخطأ أو الصواب ، وإمام كل شيء قيمه والمصلح له ، ويعني المثال ، ويعني المقصود .
والإمام هو الخيط الذي يمد على البناء ويسوى عليه ، والحادي إمام الإبل لأنه الهادي لها^(٣) .

وقد وردت كلمة إمام اصطلاحاً في القرآن الكريم بمعان مختلفة ، ولكنها تتفق جوهرياً مع المعنى اللغوي . قال تعالى :

﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾^(٤) وهي عن سيدنا إبراهيم وتعني القدوة .
﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾^(٥) وتعني الزعامة الكافرة .

(١) راجع الحديث ١٨٧٦٨ و ١٨٧٦٩ جـ ٧ .

(٢) لسان العرب لابن منظور جـ ١ = ١ والقاموس المحيط مادة امه .

(٣) سورة البقرة الآية ١٢٤ .

(٤) سورة البقرة الآية ١٢ .

﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا﴾^(١) وتعني الزعامة المؤمنة والقُدوة .
 ﴿واجعلني للمتقين إماماً﴾^(٢) يعني هادياً وولياً وهي عن الرسول ﷺ .
 ﴿فانتقمنا منهم وانهما ليمام مبين﴾^(٣) .

وما يعيننا أن الإمامة تعني الزعامة والرئاسة برة كانت أم فاجرة، وبالتحديد رئاسة الدولة، لأن الغلبة تكون للرئاسة، والمغلوبون عادة يقلدون غالبهم ويقتدون به صالحاً كان أم طالحاً. ولذلك قيل: الناس على دين ملوكهم، والفرق في الحاليتين أنها إما أن تكون مثال خير أو مثال شر.

وقد أخذت كلمة إمام معناها الواضح في الدين اصطلاحاً، فقد عرف الرازي الإمام بأنه كل شيء يقتدى به في الدين، فالإمام أبو حنيفة هو القُدوة في الفقه، والبخاري هو القُدوة في الحديث، والغزالي هو القُدوة في التوحيد^(٤).

وقيادة الأمة تسمى الامامة الكبرى أو العظمى، وإمامة الصلاة تسمى الإمامة الصغرى، واطلاق لفظ الإمام يعني صاحب الإمامة الكبرى^(٥).

والخلاصة أن كلمة إمام استقرت اصطلاحاً على أنها تعني رئيس الدولة المعين وفق الشرع تماماً. والشيعية يسمون ولاية الأمور الذين لا يعترفون بولايتهم «بالخلفاء»، ويسمون علياً والحسن والحسين وبقية الأئمة الاثني عشر «بالأئمة» ويطلقون هذا اللقب على كل إمام يعترفون بإمامته^(٦).

والحقيقة أن إمام المسلمين هو قُدوتهم ومثلهم الأعلى، وهو الوارث الحقيقي لعلم النبوة، وهو القائم مقام رسول الله ﷺ. والرجل الذي يخلف الرسول ويقوم مقامه ينبغي أن يكون أصلح أهل زمانه، وأعلم أهل زمانه، وأقرب أهل زمانه لرسول

(١) سورة الانبياء الآية ٧٣.

(٢) سورة السجدة الآية ٢٤.

(٣) سورة الحجر الآية ٧٩.

(٤) راجع تفسير الرازي ج ١ ص ٧١٠.

(٥) الفصل في الملل والنحل.

(٦) النظريات السياسية في الإسلام ص ١٠٥ د. محمد ضياء الدين الرئيس.

الله ﷻ مما يجعله قدوة . ومما يرتفع به عن الزلل ، لأن من مهام الرسول أن يبين للناس ما أنزل إليهم من ربهم ، ومن مهام خليفته أن يقوم بهذه الوظيفة لأن الدعوة إلى الله لا تتوقف . وبيان أحكام الدين مستمر إلى يوم القيامة . وبالتالي يجب أن يكون رئيس الدولة الإسلامية قدوة ومرجعاً دينياً بذاته وعلومه . وهكذا يصبح لقب الإمام أكثر الألقاب التصاقاً وملاءمة بمنصب رئيس الدولة الإسلامية . وهذا رأي الشيعة^(١).

أما أهل السنة ، فيتمنون لو تحقق ذلك ، ولكنهم اصطدما بحقائق واقعية مفروضة فجعلوا المنى هدفاً وحاولوا أن يلائموا بين الواقع وبين الشرع ، وجوزوا شرعية الواقع ، بحكم الحال والاضطرار كما يقول الغزالي في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد .

ج - الخليفة :

كلمة خليفة لغة ، تجمع على خلفاء وخلائف^(٢) . قال تعالى :
﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد نوح﴾^(٣) .
﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض﴾^(٤) .
﴿وجعلناكم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا﴾^(٥) .
﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾^(٦) .

ويلاحظ أن الخلافة لا تكون إلا لمن يموت أو يغيب ، ومعنى خلفه أي كان خليفته ، وتعني حلول شخص مكان شخص أو قوم مكان قوم ، وهي في حق الغائب ،

(١) راجع اعيان الشيعة للمجتهد الأكبر محسن الأمين ج١ قسم ٢ ص (٦ و ٧) وراجع النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر للطوسي ص ٥٢ ، وراجع عقيدة الشيعة في الامام الصادق وسائر الائمة حسين يوسف مكّي العاملي ص ١٢ و ١٣ .

(٢) راجع مختارات الصحاح للرازي ج١ ص ٢٥٠ وراجع المعجم الوسيط ولسان العرب لابن منظور مادة خلف .

(٣) سورة الاعراف الآية ٦٩ .

(٤) سورة الاعراف الآية ٧٤ .

(٥) سورة يونس الآية ٧٤ .

(٦) سورة يونس الآية ١٤ .

أما الحاضر فلا^(١). وهي بالتالي ليست خلافة الله اصطلاحاً، إنما هي خلافة لرسول الله ﷺ لأن الله تعالى لا يحول ولا يزول^(٢).

ألم تر أن الخليفة أبو بكر الصديق استهجن على الذي ناداه يا خليفة الله وقال له الصديق: إنما أنا خليفة رسول الله^(٣).

واصطلاحاً عنت كلمة الخليفة الشخص الذي يتولى إدارة شؤون المسلمين ورئاسة دولتهم بعد وفاة رسول الله ﷺ، وسمي خليفة لكونه قد خلف الرسول بهذه المهمة فيقال خليفة بالاطلاق ويقال خليفة رسول الله.

والخليفة مأخوذة من الخلافة، والخلافة عنت دينياً الإمارة على أمة من الناس والحكم بشرعية الهية.

﴿وإذ قال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح﴾^(٤).

﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى﴾^(٥). ويستفاد من ذلك:

١ - أن من يخلف الرسول ﷺ ويقوم مقامه يجب أن يكون أفضل أهل زمانه وعلى درجة من الكمال والعلم لأنه قائم مقام النبوة.

٢ - إن خلافة الرسول ﷺ هي اصلاح وتطبيق لشرع الله ويستبعد عقلاً أن تكون تسمية الخليفة أو ترشيحه متروكاً لأهواء الناس. ومن المحال أن لا تنظم الشريعة هذه الناحية.

د - أمير المؤمنين:

أول مرة يطلق فيها هذا اللقب كان على عمر بن الخطاب تاريخياً كما يقول ابن خلدون^(٦). والمناسبة أن رجلاً دخل المدينة وأخذ يسأل عن عمر ويقول: أين

(١) نظام الحكم لظافر القاسمي ص ١٣٣.

(٢) (٣ و ٢) المقدمة لابن خلدون فصل ٢٦ ص ١٥٩.

(٤) سورة الاعراف الآية ٨١٤٣

(٥) سورة ص الآية ٢٦.

(٦) راجع مقدمة ابن خلدون ص ١٨٩ فصل ٣٢.

أمير المؤمنين؟ فقالوا: أصبت إسمه، إنه أمير المؤمنين حقاً. وسمعه الصحابة فاستحسنوه وقالوا: أصبت والله إسمه، وإنه والله أمير المؤمنين حقاً. فدعوه بذلك. وذهب لقباً له في الناس وتوارثه الخلفاء من بعده.

والخلاصة أن هذه الألقاب كلها القاب للشخص الذي يتولى رئاسة دولة المسلمين، ولا تناقض بينها فهي منسجمة ومؤلفة مع المعقول. فأمر سهل أن ينادى أول خليفة بخليفة رسول الله، لكنه صعب أن تقول للخليفة الثاني يا خليفة خليفة رسول الله، وتزداد الصعوبة بتتابع الخلفاء الذين خلفوا النبي ﷺ.

وإمام المسلمين هو قدوتهم ومثلهم الأعلى بعد الرسول ﷺ، وبالتالي هو وفد المسلمين إلى الله. فمن باب التقدير والتنويه بذلك ومن باب الدقة باستعمال الألفاظ فيمكن بكل الارتياح تسمية رئيس الدولة الإسلامية بالإمام «طبعاً إذا كان معيناً وفق الشرع وأفضل أهل زمانه».

والمجتمع الذي يرأسه الخليفة أو الإمام هو مجتمع عقائدي، يركز على عقيدة الإيمان بالله، وأفراد المجتمع ملتزمون بهذه العقيدة، فكل فرد منهم مؤمن بها، والخلافة بمعناها الحقيقي، كما يقول ابن خلدون: حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي. والحمل هو الأمر والنهي أو بتعبير آخر هو السلطة، فالمتأمر شرعاً في هذا المجتمع هو الولي أو الخليفة أو أمير المؤمنين أو الإمام، وهو أمير الأفراد المؤمنين وللجماعة التي تعتق الإسلام. وبالرغم من هذا، فليس لولي الأمر أو الخليفة أو أمير المؤمنين أو الإمام أي امتياز شخصي، والفرق بينه وبين غيره من حيث التكليف هو أنه أثقلهم حملاً، وفي العقوبة على جنایات النفس والمال لا فرق بين حاكم ومحكوم^(١).

(١) راجع نظام الحكم في الإسلام يوسف موسى ص ١٣٢، وراجع متن الكتر وشرحه للزبيلي جـ ٣ ص ١٨٧.

علاقة تسمية الدولة بلقب الإمام أو بالإمام :

للقب رئيس الدولة في النظام السياسي الإسلامي علاقة بتسمية الدولة الإسلامية . فقد أطلق على أتباع محمد طوال وجودهم في مكة لقب المسلمين أو أتباع محمد .

وبعد هجرة الرسول إلى المدينة عرفوا كذلك بأتباع محمد ، فقد كان من جملة شروط صلح الحديبية أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريش ممن مع محمد لم يردوه عليه^(١) .

ويلاحظ أنه قد أُشير للدولة الإسلامية بمحمد ، ولشعب الدولة بالذين مع محمد . وسميت الدولة فيما بعد بلقب رئيسها ، فقيل : دولة الخلافة ، وقيل دولة امارة المؤمنين ، وقيل الإمامة ، ولقب الإمام الصق بالشرع إن كان متصفاً بصفاته . وسميت الدولة الإسلامية باسم عائلة رئيسها ، فقيل الخلافة الأموية نسبة إلى العائلة الأموية التي ينتمي رئيس الدولة لها . وقيل الخلافة العباسية نسبة إلى العباس بن عبدالمطلب الذي يعود نسب رئيس الدولة إليه . وقيل الخلافة العثمانية نسبة إلى عثمان مؤسس الدولة العثمانية ، مما يدل على أهمية رئيس الدولة في النظام السياسي الإسلامي .

وقد أُشير للدولة الإسلامية بكلمة المؤمنين ، فقد وردت كلمة المؤمنين وكلمة المسلمين في مستهل الكتاب الذي أصدره الرسول ﷺ في بداية عهده بالمدينة المنورة^(٢) .

(١) راجع تاريخ الطبري ج-٣ ص ١٢١ و ١٢٩ .

(٢) راجع سيرة ابن هشام ج-١ ص ٥٠١ ومجموعة الوثائق السياسية محمد حميد الله ص ١٥ ونظام الحكم للقاسمي ص ٣١ والرسول العربي لمصطفى طلاس .

٢ - تسمية رئيس الدولة أو ترشيحه في النظام السياسي الإسلامي

أ - معنى التسمية والترشيح :

معناها أن يقوم الإمام الحالي أو رئيس الدولة الفعلي المعين حسب الشرع بتسمية ولي عهده وخليفته لتقوم الأمة بمبايعة ولي العهد، هذا بعد وفاة الإمام أو رئيس الدولة الفعلي أو خلوه منصب الرئاسة.

وهذا أمر على جانب كبير من الأهمية، فقد يموت الإمام فجأة فتختلف الأمة على من يتولى أمرها، ويؤدي هذا الاختلاف إلى الفتنة فالعداء. وتنفق الأمة بعد أن كانت موحدة، ويطمع بها أعداؤها، وتضعف شوكتها ويملك أمرها فيما بعد من يغلب، وهكذا يوسد الأمر إلى غير أهله كما حدث في التاريخ.

ومن ناحية ثانية، فإن الإمام أثناء قيامه بمهام رئاسة الدولة بحاجة إلى من يساعده في تصريف شؤون الدولة والتخطيط لمستقبلها وتنفيذ خططها المستقبلية بنبدأً بنبدأً حسب أهميتها، فلا بد إذن من تسمية ولي العهد وترشيحه للأمة ليضمن الاستمرارية للدولة وللنظام، ويضمن النقلة الطبيعية إذا ما حدث لرئيس الدولة مكروه.

أعلى الأقل، ليقوم ولي العهد بتصريف الأمور حتى ينصب هو أو أي رئيس جديد، وهكذا يتجنب الناس غوائل الفتنة ومغبة الانقسام.

وتلك أمور لم تفت المشرع الوضعي نفسه - على قصوره وعجزه - فبين وحدد الشخص الذي يخلف رئيس الدولة على الأقل ريثما ينتخب الرئيس الجديد، فأحياناً يقوم نائب الرئيس المنتخب بإدارة الدولة بعد شغور منصب الرئاسة، وأحياناً تقوم هيئة منتخبة أو معينة، وأحياناً يأتي ابن الملك مكان أبيه أو الشقيق مكان شقيقه حسب قواعد الوراثة السياسية المعروفة في هذا النظام أو ذاك.

وهنا يثور التساؤل : هل يعقل أن يموت الرسول ﷺ دون أن يسمي أو يرشح للأمة خليفة من بعده؟. وهل يعقل أن يترك الأمة التي أحبها تتقاتل وتتعذب وبالتالي

تغلب على أمرها ويتولاها من يغلب بغض النظر عن ماهيته وإيمانه؟ . وهل يعقل أن يفوت الرسول المعصوم من ربه أمراً بهذه الأهمية؟ . وهل يعقل أن لا يبين الشرع - وهو الذي يبين كل شيء - الطريقة التي تنتقل بها السلطة في حالة وفاة الإمام أو خلو منصبه لأي سبب كان؟ . ألا يناقض هذا - لو حدث - كمال الدين وتمام النعمة؟ .

وقد رأينا أن المشرع الوضعي المعرض للسقوط بالخطأ لم يغفل هذه الناحية، فكيف يغفلها المشرع الإلهي الذي أحاط بكل شيء؟ وكيف يغفلها الرسول المعصوم من ربه؟ مع أن الرسول ﷺ لم يفاجأ بالموت، إنما خير وأمهل فاختار ما عند الله . . .

ب - المواقف السياسية من تسمية الإمام وترشيحه :

- ما هو موقف الشيعة من تسمية الإمام وترشيحه؟ .
- ما هو موقف السنة من تسمية الإمام وترشيحه؟ .
- ما هو موقف الشرع نفسه من تسمية الإمام وترشيحه؟ .

فليس بالضرورة كما علمتنا أحداث التاريخ أن يكون الشيعة مع الشرع، وليس بالضرورة أيضاً أن تكون السنة مع الشرع، فقد يكون للسنة رأي لأنها حزب سياسي قائم بذاته بغض النظر عن حسن أو سوء تنظيم هذا الحزب .

وقد يكون للشيعة أيضاً رأي، لأنها حزب قائم بذاته بغض النظر عن حسن سمعة هذا الحزب أو سوءها، وبغض النظر عن كونها حكم أو معارضة .

ولكن المؤكد أن للشرع حكماً في كل قضية، لأنه تبيان لكل شيء . ومن المدهش حقاً أنه لا يوجد في الإسلام، أو بتعبير أدق، لا يوجد في النظام السياسي الإسلامي إلا حزب واحد هو حزب الله، كما سنوضح .

فهذا يعني أن أحدهما على خطأ، إما السنة وإما الشيعة، وربما كان الإثنين على خطأ، السنة والشيعة، وربما مزج كل واحد من الحزبين السنة والشيعة قليلاً من الحق مع قليل من الباطل فأصبح المزيج (لا حق ولا باطل) . فبأي ميزان نزن الحزبين؟ وما هو الحكم بينهما؟ .

إنه لا حكم إلا للشرع، فهو الوحيد الثابت، وهو الوحيد الذي تكفل الله بحفظه، توزن الآراء بميزان الشرع، فما صوّبه الشرع فهو صواب وما خطأه الشرع فهو خاطيء، فقد يصيب أعرابي ويخطيء عمر، وقد تعلم امرأة ويجهل عمر، وقد يهتدي للحق زنجي أو أعجمي ويضل قرشي. فالله يؤتي فضله من يشاء.

١ - موقف حزب الشيعة من تسمية الإمام أو ترشيحه (ولاية العهد)^(١):

يقول أهل الشيعة أن الله تبارك وتعالى هو الذي اختار محمداً ﷺ نبياً ورسولاً، وسماه إماماً ورئيساً للدولة بعد قيامها، وأنه تعالى قد رعى محمداً وعصمه وأكمل له دينه، وأتم عليه نعمته، وأن هذا الدين قد بين كل شيء.

ويقولون أيضاً أن الرسول ﷺ قد سمى خليفته وولي عهده حال حياته بأمر من ربه وأعدّه ورباه وصنع على عين الله وعينه وهو علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -، وقد أعلن الرسول هذه التسمية بأكثر من مناسبة، وطوال حياته وهو يعد ولي عهده وخليفته لذلك.

ويقولون أن القرآن الكريم والسنة المطهرة زاخران بالنصوص الشرعية القاطعة التي تؤيد ذلك. ويقولون أيضاً أن الأئمة الشرعيين بلغوا لحد الآن اثني عشر إماماً، وهم:

- | | |
|-----------------------|---------------------------------|
| ١ - علي بن أبي طالب. | ٧ - ابنه موسى الكاظم. |
| ٢ - الحسن بن علي. | ٨ - ابنه علي الرضا. |
| ٣ - الحسين بن علي. | ٩ - ابنه محمد الجواد. |
| ٤ - زين العابدين. | ١٠ - ابنه علي الهادي. |
| ٥ - ابنه محمد الباقر. | ١١ - ابنه الحسن العسكري. |
| ٦ - ابنه جعفر الصادق. | ١٢ - ابنه محمد بن الحسن المهدي. |

ويقولون أن كل إمام يعين بنص من سبقه (بنص كل واحد على من بعده). ولم تبائعهم الأمة على الرغم من أنهم الأئمة الشرعيون، ولذلك لم يتمكنوا من رئاسة الدولة ومن ممارسة واجبات الإمامة الدنيوية لعدم مبايعة الأمة لهم، ولأنهم والأمة غلبوا على أمرهم.

(١) راجع اعيان الشيعة للمجتهد الأكبر محسن الأمين ج١ قسم ١ ص ٦-٧.

ويقولون أن الإمام الثاني عشر موجود ولاخر زمان التكليف منذ ولادته سنة ٢٥٦هـ، لأن كل زمان لا بد فيه من إمام معصوم لعموم الأدلة.

وسبب اختفاء هذا الإمام هو لمصلحة استأثر الله بعلمها أو لكثرة العدد وقلة الناصر.

— كمال الأئمة :

ويقولون أن من يخلف الرسول معصوم من الله تعالى ، والعصمة لا يطلع عليها إلا الله تعالى ، وعصمة الإمام ضرورية ، لأنه لو كان غير ذلك لم يؤمن من اتباع الهوى خاصة وأنه معلم الأمة ما يجهلونه من أحكام الشرع وصدور الذنب منه يؤدي لعدم الوثوق بأقواله ، وذلك ينافي الغرض المطلوب من إمامته . فالدليل الدال على عصمة الرسول دال على عصمة خليفته ، لأنه القائم مقامه في حفظ الشرع وتأديته إلى الأمة . وقد أمد الله الأئمة بفيض من القابليات والاستعدادات والكمالات النفسية^(١).

وقد ثبت - لي بالسنة المطهرة - أن علياً معصوم من الله . فهو مع الحق والحق معه يدور حيث دار ، وهو مع القرآن والقرآن معه لا يفترقان حتى يرثي الحوض على رسول الله ﷺ ، وسأوثق ذلك وأثبتته عند بيان حكم الشرع من التسمية .

٢ - موقف أهل السنة من تسمية الإمام أو ترشيحه (ولاية العهد) :

امتزج الواقع التاريخي عند أهل السنة بالدين ، فأصبح جرح هذا الواقع أو خدشه جرحاً للدين نفسه . بل والأهم من ذلك ، أن هذا الواقع التاريخي الذي حدث خاصة عهد الخلفاء الراشدين ، أصبح في نظر أهل السنة عملياً جزءاً من النظام السياسي الإسلامي يقتدى كسوابق تاريخية ودستورية ويقاس عليه ولا يسمح إلا بتمجيده عند أهل السنة .

(١) راجع النافع يوم ال حشر في شرح الباب الحادي عشر للطوسي ص ٥٢ وراجع عقيدة الشيعة في الامام الصادق وسائر الاائمة حسين يوسف مكّي العاملي ص ١٢-٢٣ راجع أعيان الشيعة للمجتهد الأكبر محسن الأمين ج ١ ص ٢١ و٦ و٧ وراجع النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر للطوسي ص ١٥٢ وراجع عقيدة الشيعة في الامام الصادق وسائر الاائمة لحسين يوسف مكّي العاملي ص ١٢ و١٣.

ومن الطبيعي والحالة تلك، أن يكافح أهل السنة وأن يتذرعوا بكل وسيلة ممكنة لاثبات ملائمة هذا الواقع التاريخي للشرعية الإسلامية وانطباقه عليها. لأن هذا الواقع التاريخي خاصة الصدر الأول من عهد الخلفاء الراشدين في نظر أهل السنة هو المثال وانهيائه في رأيهم يعني انهيار الإسلام كنظام وانهيائه صلاحيته للحياة السياسية.

ولعمري لقد أخطأوا باجتهادهم، فالإسلام كنظام ميزان تقاس به الأفعال ويقاس به الرجال، والرجال يقاسون بالحق ولا يقاس الحق بالرجال، فمن أصاب فلنفسه، ومن ضل فعليها.

نظريات أهل السنة بموضوع تسمية الإمام أو ترشيحه

١ - نظرية الصلاة:

يحتج كثير من علماء أهل السنة بأن الرسول ﷺ قد سمي خليفته ضمناً، وعيّن ولي عهده ضمناً، لأنه كلفه بوساطة زوجته وابنة الخليفة وهي عائشة أم المؤمنين رضي الله عنهما بأن يؤم الناس في الصلاة أثناء مرضه. وبما أنه قد أمّ الناس بالصلاة فعلاً، وبما أن الصلاة عماد الدين، فكان الرسول ﷺ قد كلفه بالإمامة الكبرى أو إمارة المؤمنين^(١).

— النظرية في الميزان العلمي:

١ - كان سالم مولى ابن حذيفة يؤم المهاجرين والأنصار في مسجد قباء^(٢)، وكان عتاب بن أسيد إمام مكة^(٣).

٢ - في غزوة ذات السلاسل كان عمرو بن العاص يؤم المهاجرين والأنصار بما فيهم أبو بكر وعمر وكان أميرهم^(٤).

(١) راجع الطبقات لابن سعد ج٣ ص ١٧٨ و ص ٦ من الامامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري.

(٢) راجع شرح النهج لابن ابي الحديد ج٢ ص ٢٦٤ ونقلها عن الجوهرى.

(٣) راجع الطبقات لابن سعد ج٣ ص ٨٧ و ٨٨ السير الجلية ج٢ ص ٢٣ الخلفاء الراشدين مجلد ٤ طه حسين ص ٢٣٢.

(٤) راجع تاريخ الطبري ج٣ ص ١٢٦.

(٥) وتلك حقيقة ذكرها اكثر المؤرخين.

٣ - وأثناء مرض عمر بن الخطاب كان صهيب الرومي يؤم المسلمين بما فيهم التسعة المبشرين في الجنة^(١).

ألا يستطيع هؤلاء كلهم بناء على ذلك أن يطالبوا بإمارة المسلمين تحت شعار أنهم أموا الناس في الصلاة والصلاة عماد الدين؟ ثم إن صح التكليف فإنه كان أثناء مرض الرسول وقد حيل بين الرسول وكتابه وصيته التي وصفها الرسول بأنها تشكل تأمينا ضد الضلالة. وحجة الذين عارضوه في كتابة وصيته أن المرض قد اشتد به في ألطف أقوالهم ولا حاجة لهم بوصية الرسول لأن عندهم القرآن. فإذا كان مرض الرسول يمنعه من التصرف فماذا يقولون لو قال شخص أن أمر الرسول لأبي بكر بالصلاة كان أثناء المرض وقد منعموه من كتابة وصيته لأنه مريض فكيف تجوزون أمره لأبي بكر بالصلاة مع أنه مريض؟

وفكرة منع الرسول بأبي هو وأمي من كتابة وصيته حقيقة لا يمكن لأحد انكارها^(٢). وحسب اجتهداهم أن الرسول ﷺ «حاشا له» قد هجر، وبكلامهم الملطف قد اشتد به الوجع. مع أن الرسول يؤكد أن الوحي أكثر ما كان يأتيه وهو مريض^(٣). وإلى إمامة أبي بكر بالصلاة استند حقه بالخلافة^(٤).

(١) راجع الامامة والسياسة ص ٢٤ مثلاً.

(٢) راجع كتاب المرضى من صحيح البخاري وراجع ص ٢٢ ج ١ من بخاري وراجع ص ٣٢٥ ج ١ من مسند الامام أحمد وراجع كتاب السقيفة للجوهري وراجع ص ٢٠ مجلد ٣ من شرح النهج لعلامة المعتزلة الحديدي وراجع ص ١٨٨ ج ٢ من صحيح بخاري و ص ٣٥٥ ج ١ ن مسند الامام احمد وراجع ص ٢٢٢ ج ١ من صحيح مسلم وراجع الطبراني ص ١٣٨ ج ١ من كنز العمال وراجع طبقات بن سعد ج ٢ ص ٢٤٢-٢٤٥ وراجع ص ١١٤ مجلد ٢ من الشرح الحديدي سطر ٢٧ وراجع تاريخ بغداد لابي الفضل أحمد بن أبي طاهر و ص ٣٩٧ مجلد ٣ من شرح النهج وراجع ص ٣٦٤ ج ٣ من الطبقات.

(٣) راجع الطبقات لابن سعد ج ٢ ص ١٩٣.

(٤) انظر الحديث ١٤١١٦ من الكنز ج ٥ ص ٦٣٤ والحديث ١٤١٣٤ ج ٥ ص ٦٤٥ والحديث ١٤١٣٢ ج ٥ ص ٦٤٤ من الكنز.

٢ - نظرية الصحبة والوزارة^(١):

ويدعم أهل السنة النظرية الأولى فيقولون أن الرسول ﷺ قد اختار أبا بكر للإمامة بالصلاة لأنه صاحبه ووزيره ويستدلون على ذلك بقوله تعالى : ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾^(٢)، ويستدلون على ذلك بالحديث القائل : إن وزيره ﷺ من أهل الأرض أبو بكر وعمر^(٣).

— النظرية في الميزان العلمي :

من المسلم فيه أن الرسول قد اصطحب أبا بكر معه بهجرته بناء على طلب أبي بكر وأنه قد صحبهما ابن اريقط الدليل المشرك المؤتمن . ماذا يكون الموقف لو أن دليلهما المشرك والذي أسلم فيما بعد طالب بالخلافة لأنه صحب الرسول في هجرته ؟.

وكيف لا يطالب بالخلافة من نام في فراشه ليوهم المشركين الذين التفوا حول دار محمد أن النائب محمد ليفديه بنفسه فيقتلوه نيابة عن النبي^(٤) ؟ .

وكيف نفسر النص الشرعي القائل : (هذا أول من آمن بي وأول من يصافحني يوم القيامة) ، وهذا الصديق الأكبر وهذا فاروق هذه الأمة يفرق بين الحق والباطل وهذا يعسوب المؤمنين^(٥) .

وكيف نفسر النص الشرعي القائل : (أنت أخي وصاحبي ورفيقي في الجنة ، وأنت أخي وأبؤولدي ومني وإلبي)^(٦) .

ثم كيف نفسر النصوص الشرعية القاطعة بولاية علي ؟ ، كما سثبت ذلك بعد قليل .

أما من حيث الوزارة ، فحقيقة أن أبا بكر رضي الله عنه ، كان واحداً من وزراء الرسول ، ولكن أبا بكر نفسه يفرق بين منصب الإمارة ومنصب الوزارة . أنظر إلى قوله للأنصار في سقيفة بني ساعدة (نحن الأمراء وأنتم الوزراء)^(٧) .

(١) راجع الامامة والسياسة ص ٦ و ص ١٧٨ جـ ٣ من الطبقات .

(٢) أخرجه اصحاب السنن في مسانيدهم وذكره الامام فخر الدين الرازي في تفسيره جـ ٢ ص ١٨٩ .

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير وأخرجه البيهقي في سننه وابن عدي في الكامل وهو الحديث ٢٦٠٨ من

احاديث الكنز ص ١٥٦ جـ ٦ .

(٤) راجع الحديث رقم ٦١٠٥ من احاديث الكنز جـ ٦ ص ٤٠٢

(٥) راجع ص ١٩٨ جـ ٣ من تاريخ الطبري وراجع ص ٧ من الامامة والسياسة لابن قتيبة .

فالوزير، حسب مفهوم أبي بكر نفسه، يأتي بمرحلة تالية بعد الأمير. ثم إن هنالك أعداداً كبيرة من الوزراء، انظر إلى جواب زيد بن ثابت لخطيب تميم (نحن أنصار الله ووزراء رسول الله).^(١)

٣ - القرابة:

لقد ركز أهل السنة على نظرية القرابة، وأخذوا الأمر من الأنصار لأنهم أهل الرسول وعشيرته، ولأن العرب تأبى أن تولي الخلافة إلا من كانت النبوة فيهم. وقد قال عمر رضي الله عنه: (من ينازعنا سلطان محمد ونحن أهله وعشيرته)؟، ولكن العرب لا ترضى أن تؤمركم ونبوها من غيركم، والعرب لا ينبغي أن تولي الأمر إلا من كانت النبوة فيهم. . . من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم)^(٢).

— النظرية في الميزان العلمي:

محمد ﷺ من بني هاشم، وأبوبكر من بني تميم، وعمر من بني عدي، تلك حقائق وأبوعبيدة من بني الحارث، فما هي علاقة بني هاشم بهذه البطون الثلاثة؟ إنه لم يكن لهذه البطون أي منصب من مناصب الشرف في الجاهلية، ولا تعتبر هذه البطون من نواصي قريش^(٣).

ثم أن عدي وقيم لم يحاصروا في شعاب أبي طالب، بل كانوا من الذين حاصروا بني هاشم وبني المطلب ثلاث سنوات في الشعب^(٤).
ثم أن الله بنص الشرع قدم هاشماً وأخبرهم ورفع هاشماً ووضعهم^(٥).

(١) راجع نظام الحكم لظافر القاسمي.

(٢) راجع تاريخ الطبري ج٣ ص ٢٠٩ وراجع الامامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري ص ٧ و ٨.

(٣) راجع الطبقات لابن سعد ج١ ص ٢٠-٢٥ وراجع تاريخ الطبري ج٢ ص ١٨٠ والسيره الحلبية ج١ ص ٥٠ و ج١ من الطبقات و ص ١٧٩ ج٢ ن تاريخ الطبري و ج١ ص ٨٠ من الطبقات و ج١ ص ٤ من السيرة الحلبية و ج٢ ص ١٧٧ من تاريخ الطبري و ج١ ص ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ من السيرة الحلبية و ص ٢٧.

(٤) راجع الطبقات ج١ ص ٢٠٩ و ص ٣٣٦-٣٣٨ من السيرة الحلبية و ص ٤٤٣-٤٤٥ ج٢ من تاريخ الطبري.

(٥) راجع الطبقات لابن سعد ج١ ص ٢٠-٢١.

وباختصار، فإذا كانوا أقرباء الرسول ﷺ فهل حوصروا في شعاب أبي طالب؟ قال عمر للأنصار: (إن العرب لا ترضى أن تؤمركم ونييها من غيركم وليس تمنع العرب أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم^(١)).

٤ - نظرية كبر السن والخبرة بالأنساب:

ويستعين أهل السنة بكل شيء لتبرير الواقع. فقد قالوا أن أولى الناس وأحقهم بالخلافة من بعد الرسول ﷺ هو أبو بكر الصديق، لكبر سنه وعلمه بالأنساب، كما ذكر ذلك العقاد في كتابه «عبقريّة الصديق».

— النظرية في الميزان العلمي:

هنالك أنبياء أوحى الله إليهم وهم غلمه كيوسف وعيسى ويحيى، واختارهم الله للنبوة وهم كذلك. ثم أن هنالك من ولد قبل النبي ﷺ نفسه.

أما علم أبي بكر بالأنساب فكان سلاحاً بيد المسلمين ولا ينكر كغيره من الأسلحة كعلم علي في مجال الحرب.

٥ - نظرية الافتراض:

وتستند هذه النظرية إلى قول عائشة رضي الله عنها عندما سُئلت: (لو أن الرسول استخلف من يستخلف؟، فقالت: لو أن الرسول استخلف لأستخلف أبا بكر ومن بعده عمر ومن بعده أبا عبيدة).

أي أن أم المؤمنين تعرف الرسول وتعرف ماذا ينوي أن يفعل ويلاحظ أن الأمور قد جرت وفق هذا الافتراض. فأبو بكر هو الخليفة الأول، واتخذ عمر ولياً لعهدده وسماه خليفة من بعده، وقد صرح عمر بأنه لو كان أبو عبيدة حياً لولاه واستخلفه^(٢).

(١) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد جـ ٢ ص ٢٦٥ وراجع علي والمسالمون ص ١٠٤-١٠٥ حيث نقل رسالة أبي بكر الصديق لآبيه ورد الوالد عليها، وراجع شرح النهج للخولي جـ ٢ ص ٣٩ نقلاً عن اجتماع الطبري.

(٢) راجع الطبقات لابن سعد ص ١٨١ جـ ٣.

راجع الامامة والسياسة ص ٢٣ وراجع الكنز جـ ٥ ص ٦٤٤ الحديث ١٤١٣٢.

— النظرية في الميزان العلمي :

١ - أن أم المؤمنين تسلم ضمناً بأن الرسول لم يسم أباه خليفة له ، وتسلم ضمناً بأن الرسول عندما كلفها بأن تأمر أباه ليؤم الناس في الصلاة لم يكن يقصد توليته .

٢ - والأهم من ذلك أن امراً خطيراً كهذا الأمر لا يمكن أن يترك للافتراض .

٦ - نظرية التخلية :

إن الرسول ﷺ قد خلى على الناس أمرهم ولم يسم أحداً ، وتستند هذه النظرية إلى قول عمر : (إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني) يعني أبا بكر عندما استخلفه ، وإن ادع فقد ودع من هو خير مني) يعني أن الرسول لم يستخلف^(١) .

وهذا اعتراف صريح من الفاروق رضي الله عنه كاعتراف السيدة عائشة بأن الرسول ﷺ قد خلى على الناس أمرهم ولم يسم خليفة له وبالتالي نسفت كل النظريات السابقة تماماً .

— النظرية في الميزان العلمي^(٢) :

(ولكم في رسول الله أسوة حسنة) . فإذا كان الرسول ﷺ قد خلى على الناس أمرهم ، فلماذا لا يقتدى به سيدنا أبو بكر ويخلي على الناس أمرهم ؟ . ولماذا لم يفعل عمر ما فعل رسول الله ﷺ ؟ .

٧ - نظرية الشورى :

ومن أقوال أهل السنة ونظرياتهم بأن الخليفة يسمى عن طريق الشورى ، كما حدث في سقيفة بني ساعدة ، فأبو بكر كمسلم سمي عمر أو أبا عبيدة ، ولكن عمر رفض تسمية أبي بكر وسمى أبا بكر ثم بايعه الناس^(٣) .

(١) راجع الامامة والسياسة ص ٢٣ وراجع الكنز ج ٥ ص ٦٥٣ الحديث ١٤١٤٣ وراجع الكنز ج ٥ ص ٦٥٢ الحديث ١٤١٤٠ وراجع ج ٥ ص ٦٤٥ من الكنز الحديث ١٤١٣٤ وراجع ج ٥ ص ٦٤٩ ، الحديث ١٤١٣٧ .

(٢) راجع الامامة والسياسة ص ٦ وراجع تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٩٩ .

(٣) راجع الامامة والسياسة ص ٥ وما فوق وراجع ص ١٩٩ ج ٣ من تاريخ الطبري .

— النظرية في الميزان العلمي :

- ١ - هنالك اجماع بأنه لم يحضر من المهاجرين سوى أبي بكر وعمر وأبي عبيدة، وأن بقية أهل الشورى كانوا غيباً^(١).
 - ٢ - وهنالك اجماع أيضاً بأن الخزرج بزعامة سعد بن عباد عارضوا بشدة مبايعة أبي بكر، وهدد زعيمهم سعد بن عباد بالقتل بل صدر أمر بقتله^(٢). ولكنه لم يقتل حينذاك لأسباب أمنية وقتل فيما بعد في زمن عمر بن الخطاب غيلة، وقيل أن الجن قد قتلت سعد بن عباد^(٣).
 - ٣ - أن الثلاثة الذين حضروا اجتماع السقيفة أحدهم أصبح خليفة والآخر أصبح ولياً لعهد والثالث أصبح الخليفة الثالث المرتقب وأحد نواب الخليفة، بدليل أن أبا بكر اختار عمر خليفة له، أو على الأقل سماه خليفة من بعده وبدليل أن عمر قد قال لو كان أبو عبيدة حياً لوليته واستخلفته، وهناك اجماع على هذه الحقائق بغض النظر عن الأسلوب^(٤).
 - ٤ - ثم طريقة البيعة فقد خرج أبو بكر كأمر من السقيفة، وخرج عمر كنائب للأمير، وخرج الذين بايعوه كجيش منظم للأمير ووجدوا الناس مجتمعين في المسجد، وصاح بهم عمر كنائب للأمير: (مالي أراكم حلقاً شتى، قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعته وبايعه الأنصار)^(٥). فليس أمام الناس إلا أن يبايعوا، ماذا يكون مصير من يعارض أو يمتنع عن البيعة؟ ألم يصدر الأمر بقتل سعد بن عباد وهو سيد الخزرج^(٦)؟، وقتل بالفعل فيما بعد ونسب قتله إلى الجن^(٧).
- ألم يهدد علي بن أبي طالب بالقتل إن لم يبايع^(٨) وهو ولي الله؟ ألم تهدد

(١) راجع الامامة والسياسة ص ٥ وما فوق وراجع ص ١٩٩ ج ٣ من تاريخ الطبري.

(٢) راجع تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٠ وراجع ص ١٠ من الامامة والسياسة.

(٣) راجع طبقات بن سعد ج ٣ ص ٦١٧ وراجع هذا الموضوع مفصلاً في ج ٥ ص ١٥٩ من شرح النهج لابن أبي الحديد.

(٤) راجع الامامة والسياسة ص ١٣.

(٥) راجع الامامة والسياسة ص ١١.

(٦) راجع ص ٢١٠ ج ٣ من تاريخ الطبري وراجع ص ١٠ من الامامة والسياسة.

(٧) راجع الطبقات لابن سعد ج ٣ ص ٦١٧.

(٨) راجع الامامة والسياسة ص ١٣.

فاطمة الزهراء بنت محمد بحرق بيتها^(١)؟
ألم يبك علي ويلتحق بقبر النبي صائحاً: (يا ابن أمّ، إن القوم استضعفوني
وكادوا يقتلونني)^(٢). ألم يهدد الحباب بن المنذر بالقتل^(٣)؟

من له مثل مكانة علي بن أبي طالب فهو ولي الله، ومع هذا يهدد بالقتل. من
له مكانة فاطمة الزهراء أو حرمة كحرمة بيتها فهو جزء من المسجد الشريف، ومع هذا
تهدد بحرق بيتها^(٤).

من يجرو على الامتناع عن المبايعة في مثل هذه الظروف، وهل كان هنالك
بديل عن المبايعة إلا مواجهة سلطة حقيقية.

يقول علي ابن أبي طالب مخاطباً أبا بكر:

فإن كنت بالقربي حججت خصيمهم فغيرك أولى بالنبي وأقرب
وإن كنت بالشورى ملكت أمورهم فكيف بذلك والمشيرون غيب^(٥)؟

كل هذا يلقي ظلالاً كثيفة من الشك على نظرية الشورى بالمعنى البراق الذي
يعرضه علماء السياسة عند أهل السنة. ومع هذا فإن عمر رضي الله عنه يؤكد بأنه لا
ينبغي أن تكون خلافة إلا عن شورى^(٦). وأن خلافة أبي بكر كانت فلتة^(٧).

(١) راجع الامامة والسياسة ص ١٢-١٣ على سبيل المثال وقد اوردناه مراجع التحريق بأكثر من مناسبة.

(٢) راجع الامامة والسياسة ص ١٣.

(٣) راجع الامامة والسياسة ص ٧ والمراجعات ص ٢٩٥.

(٤) راجع بن قتيبة ص ١٢-١٣ وراجع تاريخ الطبري في موضعين من احداث السنة الحادية عشر ج ٣ من
تاريخه، وابن عدي بن عبدربه المالكي في حديث السقيفة ج ٢ من العقد الفريد وأبو بكر أحمد بن عبدالعزيز
الجوهري في كتاب السقيفة، وراجع ص ١٣٤، مجلد ١ من شرح النهج الحديدي، والمسعودي في
مروج الذهب نقلاً عن عروة بن الزبير في مقام الاعتذار عن اخيه اذ هم بتحريق بيوت بني هاشم
والشهرستاني نقلاً عن النظام عن ذكر الفرق النظامية من كتاب الملل والنمل، وراجع قصيدة حافظ
ابراهيم في ديوانه المطبوع ٨٢/١ وراجع كتاب المراجعات للامام شرف الدين العاملي ص ٢٩٥.

(٥) ذكر هذين البتين بن أبي الحديد راجع ص ٣١٩ مجلد ٤ من النهج الحديدي.

(٦) كنز العمال ج ٥ ص ٦٤٨ الحديث ١٤١٣٦.

(٧) الكنز ج ٥ ص ٦٤٩ الحديث ١٤١٣٧.

٨ - نظرية حق الحاكم القائم بتسمية خليفته أو ولي عهده :

أمام النقد الذي تعرضت له النظريات السابقة، ظهرت نظرية جديدة، منسجمة مع الواقع ومفادها (أن رئيس الدولة كائناً من كان هو الذي يسمى خليفته من بعده). والدليل الشرعي عند أهل السنة على ذلك، هو:

١ - ما فعله أبو بكر فقد سمي عمر خليفة له ^(١).

٢ - ما فعله عمر فقد سمي عثمان خليفة له بغض النظر عن تفصيلات الشورى، فطلحة كان غائباً، فبقي من الستة خمسة، ووصية الخليفة واضحة، وهي أن يفوز الجانب الذي معه عبدالرحمن بن عوف، وعبدالرحمن صهر عثمان رضي الله عنهم. وعثمان قبل قضية الشورى كان موضع سر أبي بكر وعمر، أنظر إلى قول أبي بكر لعثمان عندما كتب له عثمان وصيته (والله لو كتبت نفسك لكنت أهلاً لها) ^(٢).

فضلاً عن ذلك، فإن عثمان كان أول زعيم من زعماء المهاجرين بايع أبا بكر وتبعه قومه بنو أمية ^(٣).

وكان عثمان يدعي في اشارة عمر بالرديف، والرديف بلسان العرب هو الرجل الذي بعد الرجل، والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد زعيمهم ^(٤).

وفي خلافة بني أمية، كان رئيس الدولة هو الذي يسمى خليفته على الغالب أو كان الخليفة هو الغالب.

وفي خلافة بني العباس وبني عثمان كان الأمر كذلك.

وهذا المبدأ منسجم تماماً مع المبدأ الذي سنه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

(١) راجع ص ١٩٩ جـ ٣ الطبقات لابن سعد وص ٢٠٠ وراجع ص ١٩ من الامامة والسياسة لابن قتيبة وراجع ص ٥٢-٥٣ جـ ٤ من تاريخ الطبري.

(٢) راجع ص ٢٣ من الامامة والسياسة وما فوق وص ٦١ جـ ٣ من الطبقات وراجع ص ٣٧ من سيرة عمر لابن الجوزي وتاريخ بن خلدون جـ ٢ ص ٨٥.

(٣) راجع الامامة والسياسة ص ١١.

(٤) راجع نظام الحكم لظافر القاسمي نقلها عن الطبري ص ١٩٧-١٩٨ وراجع جـ ٥ ص ٢٣٧.

والفرق أن أبا بكر وعمر كانا يتوخيان أن لا يسندا هذا الأمر لقريب لهما . بينما كانت الأمور فيما بعد عكس ذلك . وكان ما يعني الخليفة عمر بالدرجة الأولى أن يترجم الارادة الشعبية التي ترفض أن يجمع بنو هاشم النبوة مع الملك . ونفس المبررات تقريباً . أنظر إلى قول عائشة أم المؤمنين لعمر : استخلف عليهم قبل موتك ولا تدعهم بعدك هملاً^(١) .

وقد جرت العادة فيما بعد أن يسمي رئيس الدولة الحالي خليفته ويرشحه للأمة . وقد صور هذا الأمر كأنه حق للخليفة القائم ، وقد فهم كثير من العلماء ومنهم ابن خلدون : (أن الشرع قد أعطى الإمام القائم «الفعلي» الحق بأن يعين خليفة من بعده واستدل على ذلك بما فعله أبو بكر وعمر ، فقال : «إن الإمام ينظر للناس في حال حياته ، وتبع ذلك أن ينظر لهم بعد وفاته ويقيم لهم من يتولى أمورهم»^(٢) .

وربما كان ذلك حرصاً على وحدة المسلمين ومصلحتهم وهروباً من الفتنة وحتى لا تبقى أمة محمد هملاً بغير راع على حد تعبير السيدة عائشة أم المؤمنين .

ويبدو أن الإمام الوحيد برأي أهل السنة الذي لم يسم خليفة له ولم يتخذ ولياً لعهد هورسول الله ﷺ . فهو بالمفهوم عند ابن خلدون : أنه ينظر للناس عند حياته وتبع ذلك أن لا ينظر لهم بعد وفاته . بعكس بقية الخلفاء ، ينظر الخليفة للناس عند حياته وتبع ذلك أن ينظر لهم بعد وفاته .

لكنهم نسوا أو تناسوا أنه عندما أراد الرسول ﷺ أن يوصي حتى لا يضلوا بعده ، حالوا بيته وبين ذلك تحت شعار أن المرض قد اشتد به^(٣) .

(١) راجع الامامة والسياسة ص ٢٣ .

(٢) راجع مقدمة بن خلدون ص ١٧٧ .

(٣) راجع كتاب المرضي من صحيح بخاري وراجع ص ٢٢ ج ١ من صحيح بخاري وراجع ص ٣٢٥ ج ١ من مسند الامام أحمد وراجع كتاب السقيفة للجوهري و ص ٢٠ مجلد ٣ من شرح النهج لابن أبي الحديد و ص ١٨٨ ج ٢ من صحيح بخاري و ص ٣٥٥ ج ١ من مسند الامام أحمد و ص ٢٢٢ ج ١ من صحيح مسلم وراجع الطبراني و ص ١٣٨ ج ١ من كنز العمال وراجع طبقات بن سعد ج ٢ ص ٢٤٢-٢٤٥ وراجع ص ١١٤ ج ٢ من شرح النهج السطر ٢٧ وتاريخ بغداد لابي الفضل احمد بن ابي طاهر و ص ٣٩٧ مجلد ٣ من الشرح وراجع ص ٣٦٤ ج ٣ من الطبقات مع ان الرسول اكثر ما كان يأتيه الوحي يأتيه وهو مريض ج ٢ ص ١٩٣ من الطبقات .

والخلاصة ، أن بعض الصحابة الكرام اكتشفوا بعد طول معاناة أن الوصية والتسمية أفضل لمصلحة المسلمين .

٣ - تحليل موقف أهل الشيعة وأهل السنة من تسمية الإمام :

بعد تقليب الأمر على وجوهه ، اكتشف أهل السنة أن الحل العملي الوحيد هو أن يسمى رئيس الدولة قبل وفاته من يخلفه ، وتقوم الأمة عند خلو منصب الخلافة بمبايعة الرجل الذي سماه الخليفة .

وحقيقة ، فإن فكرة موت رئيس الدولة القائم دون أن يعين نظامها السياسي أو يخول رئيسها بتسمية من يخلفه فكرة ليست عملية وليست معقولة أبداً ، وترفّع الشارع الوضعي عن السقوط فيها ، فلا يوجد في الدساتير المعاصرة ولا حتى في الأنظمة السياسية البائدة ما يؤيدها أبداً .

فعادة دستور الدولة أو رئيسها هو الذي يسمى سلفاً الشخص الذي يتولى رئاسة الدولة في حالة خلو منصب الرئاسة لأي سبب أو عند اللزوم ، يصف هذا الشخص سواء أكان شخصاً طبيعياً أو اعتبارياً ليقوم بادارة دفة الدولة وتصريف أمورها ريثما ينتخب أو يعين رئيس جديد .

تلك حقيقة لا يملك عاقل أن يجادل بها . لأن البديل الآخر هو الشر ، وتعريض وحدة الأمة للخطر ، ووضع مستقبل الدولة في مهب الرياح ولعل هذه العواقب هي التي قادت الخليفة عمر إلى القول (بأن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها) .

والأهم من ذلك ، أن الشريعة الإسلامية شريعة سماوية ، وقد بينت كل شيء أجمله القرآن الكريم أو فصله ، وبينه الرسول ودعّمه ، وخلو الدين من هذا الأمر الجوهري يناقض كمال الدين وتمام النعمة ، خاصة وأن الرسول قد خير واختار الموت ومرض قبل الموت ، وعرف أنه ميت في مرضه ذاك . وأن الله قد قذف في قلبه محبة هذه الأمة وجعله بالمؤمنين رؤفاً رحيماً ، وأطلعه على مستقبل هذه الأمة ، فهل من الممكن عقلاً أن يموت الرسول دون أن يسمى للناس من يخلفه ؟ .

هذا أمر غير وارد قطعاً تدحضه النصوص الشرعية القاطعة وتكذبه ، بالرغم من احترامنا للواقع التاريخي الذي ساد .

فأهل السنة تشبثوا بكل شيء ليبرروا الواقع الذي حدث، تشبثوا بالنص، وعندما خذلهم النص تشبثوا بالافتراض، وعندما انهار الافتراض تشبثوا بالشورى، وعندما انهارت الشورى تشبثوا بالرأفة بالمسلمين والحرص على وحدتهم ومستقبلهم حتى لا يتركوا هملاً وبلا راع.

واستقروا بعد طول ترحال على مبدأ أن الإمام القائم أو الخليفة القائم هو الذي يسمى من بعده خليفته، أي يرشحه للخلافة.

— الوحدة بين الموقفين من حيث التسمية :

- ١ - أهل السنة استقروا أخيراً على أن الخليفة القائم هو الذي يسمى من بعده من يخلفه. وأهل الشيعة يقولون أن كل إمام يعين بنص من سبقه عليه.
- ٢ - أهل السنة يقولون، ولو نظرياً، أن الإمام لا يصبح إماماً إذا لم تباعه الأمة وبالتالي لا يتمكن من ممارسة مهام رئاسة الدولة ولذلك يحرصون بأي وسيلة على أن تتم البيعة ولو بالإكراه. وأهل الشيعة يقولون أن الإمام مسمى حقيقة وبالطريقة الشرعية ولكنه لا يستطيع أن يمارس مهام رئاسة الدولة إذا لم تباعه الأمة.

وهكذا، من الناحية العملية تلتقي السنة مع الشيعة.

— الفارق الدقيق بين الموقفين من حيث التسمية :

- ١ - أهل الشيعة يقولون أن محمداً ﷺ قد عين خليفته، ومحمد معصوم، فمن الطبيعي أن الرسول لن يخطيء باختيار خليفته لأن الله هو الذي أمره بالاختيار، فمن الطبيعي والحالة تلك أن يكون الخليفة معصوم لأن الله هو الذي أمر باختياره، وأنه قد أعد وصنع على عين الله وعين رسوله. والنصوص الشرعية بالفعل تؤكد تلك الحقيقة (علي مع الحق والحق مع علي)، (علي مع القرآن والقرآن مع علي) . . .
- ومن المؤكد أن هذا الخليفة المعصوم وهو علي، سيمسى خليفة من بعده يرضي الله ومن أهل البيت الطاهر، لأنهم اعدال الكتاب ومن يتمسك بهم لن يضل، وهم جبل الله المتين. والهدى الحقيقي لا يدرك إلا بهم. وهذا تؤكد النصوص الشرعية القاطعة.

والحقيقة، أن الخليفة قائم مقام الرسول ﷺ، والمبين للناس ما جهلوا من أحكام دينهم، ويجب أن تتوفر فيه صفات معينة وبالتالي لا ينبغي أن يترك أمر تسمية الخليفة للناس.

٢ - لو سلموا بذلك، لما كان هنالك أي أساس شرعي لحكمهم. ولكنهم اجتهدوا وكرهوا أن يجمع بنو هاشم مع النبوة الملك، وسيطرت دولتهم، وصيغ التاريخ الرسمي تحت إشرافها وعرض رأي المعارضة من خلالها فجاء مشوهاً. ومع الأيام، استقرت الأوضاع وصورت المعارضة على أنها مشركة أو كافرة لأنها تخذش الصحابة الكرام، وبالتالي أضيف حجج كثيرة مثل الفتنة نائمة ولعن الله من أيقظها، ووحدة المسلمين أهم من أي شيء، ثم أخذ أهل السنة يصفقون لمن غلب، وتلك نظرية تعود بجذورها إلى قول عبدالله بن عمر يوم الحرة (نحن مع من غلب).

ولو آمن أهل السنة بالشرع كله، وأنزلوا أهل البيت بالمنزلة التي أنزلها لهم الشرع بأنهم أعدال الكتاب، وأن الله أذهب عنهم الرجس، وأنهم لهذه الأمة كسفينة نوح، وأن الهدى لن يدرك إلا بهم، وأن الله رفعهم ووضع سواهم، وقدمهم وأخر سواهم، كما تدل على ذلك النصوص الشرعية القاطعة لو آمن أهل السنة بذلك، لتوحدت الأمة ولألقى الإسلام أجرانه في الأرض عزاً وتمكيناً. ولكن لا أحد يعرف سر العدا بين أهل السنة وبين أهل البيت الطاهر.

يحوقل أهل السنة عندما يسمعون ذلك، ويستثقلون هذا القول ويصيحون بالتأييد لبني هاشم وأهل البيت الكرام. لكنهم عملياً آخروهم وقدموا سواهم ووضعوهم ورفعوا غيرهم، بعكس أمر الله.

لقد بشر الحسن والحسين بالجنة قبل أن يبشر المبشرون في الجنة، وأعلنت سيادتهما على شباب أهل الجنة. ومع هذا، يسم الحسن ويقتل الحسين وهو عطشان وينكل به، بالوقت الذي يصلون فيه على النبي وآله. وما فعل بعلي أمر وأنكى، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

٤ - ولاية العهد وصلاحيه الخليفة بتعيين ولي عهده :

وهكذا، نرى أن التسمية ليست إلا إعلاناً لولاية العهد، فالشيعة ومعهم الشرع والمنطق يقولون أن رسول الله سمي خليفته وولي عهده وهو علي بن أبي طالب، ولكن الناس تظاهروا عليه وبايعوا غيره رهبة أو رغبة، وأن الرسول ﷺ لم يترك المدينة قط إلا وقد استخلف عليها^(١)، أفحين يتركها بأبي هو وأمّي بغير رجعة يترك أمته دون خليفة، وتقول الشيعة أن الخليفة الذي سماه الرسول بناءً على أمر ربه هو علي وكل إمام يسمى بنص من سبقه عليه^(٢)

واقنع أهل السنة أخيراً أن هذا هو الحل الأمثل، فهذا أبو بكر قد عهد لعمر وهو علي فراش الموت^(٣). وأن أبا بكر قد قال لعثمان عندما كتب وصيته (لو كتبت نفسك لكنت أهلاً لها)، يعني الخلافة^(٤).

ثم هذا هو عمر، وهو علي فراش الموت، يفكر بأمر المسلمين ويتأوه ويقلب الأمر على وجوهه المختلفة، ويبحث عن الرجل الذي يستطيع أن يقوم مقامه، فيقول: (لو كان أبو عبيدة حياً لوليته واستخلفته، ولو أدركت خالداً استخلفته ووليته، ولو أدركت سالم مولى أبي حذيفة لاستخلفته)^(٥).

ومعنى هذا، أن سالم مولى أبي حذيفة لو كان حياً لكان بإمكانه أن يتسلم الخلافة، مع أن سالم ليس قريشياً ولا يعرف له نسب في العرب، ومع هذا كان يؤم المهاجرين والأنصار في مسجد قباء كما يروي البخاري.

وبالمناسبة نتساءل إذا كانت خلافة سالم جائزة وهو الذي لم يعرف له نسب

في العرب، فكيف لا تكون جائزة خلافة الأنصار؟ أليس الأنصار أقرب عرقياً لرسول

(١) راجع على سبيل المثال طبقات بن سعد ج ٢ ص ٨ و ٩ و ٢٧ و ٢٩ و ٣١ و ٣٤ و ٣٦ و ٤٩ و ٥٨ و ٥٩

و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ و ٦٤.

(١١) راجع اعيان الشيعة ج ١ ص ٦-٧ والنافع يوم الحشر للطوسي ص ٥ وعقيدة الشيعة للعالمي

ص ١٢-١٣.

(٢) راجع الامامة والسياسة تولية عثمان.

(٣) راجع ص ٤٢٩ ج ٣ من تاريخ الطبري وص ٣٧ من سيرة عمر لابن الجوزي وص ٥٨ ج ٢ من تاريخ

ابن خلدون.

(٤) راجع مرض عمر وموته في تاريخ الطبري، وفي طبقات بن سعد وراجع ص ١٥ وما فوق من الامامة

والسياسة.

الله؟ ثم ألم يحتج الثلاثة الذين حضروا السقيفة بأنهم أولى من الأنصار لأنهم أهل النبي وعشيرته^(١)، ثم ماذا تبقى من القاعدة الشرعية القائلة (الأئمة من قريش)؟. ثم كيف أن معاذ بن جبل من الأنصار وكان لا يجوز تولية الأنصار يوم السقيفة، فكيف جازت فكرة تولية معاذ فيما بعد؟. ثم أن خالد بن الوليد قاتل الإسلام بكل فنون القتال حتى أسلم، وعلي قاتل مع الإسلام بكل فنون القتال، فبأي مبدأ يقدم خالد على علي؟!.

وقيل لعمر استخلف عبدالله بن عمر ورفض عمر ذلك لسبب بسيط جداً، وهو أن عبدالله بن عمر عجز عن طلاق امرأته كما قال عمر^(٢). وتصور أن عمر فكر أخيراً بأن يعهد بالخلافة لعلي، ولكن رهقته غشيه^(٣).

ألم تر أن صلاحيات الخليفة القائم بتسمية ولي العهد أو الإمام الجديد في نظر أهل السنة شبه مطلقة؟.

لو كان سالم موجوداً وهو من الموالي لعينه عمر خليفة، لو كان معاذ بن جبل وهو من الأنصار وحسب حجة المهاجرين الثلاثة لا يجوز للأنصار أن يتولوا الخلافة لأنهم ليسوا أهل الرسول ﷺ، كان بإمكان عمر أن يختار ابنه عبدالله لولا أنه عجز عن طلاق زوجته. لو أن أبا عبيدة حياً لاختاره. لو أن خالد بن الوليد حياً لاختاره.

وتصور أنه لولا الغشية التي رهقته لاختار علياً. ألا ترى أن حرية الخليفة مطلقة باختيار خليفته عند أهل السنة، «أي بترشيحه على الأقل».

وأخيراً، وعمر على فراش الموت، يعهد بالخلافة لواحد من ستة اختارهم. ومن يدقق في وصية عمر يكتشف بأقل جهد ممكن أنه قد عهد بالخلافة لعثمان^(٤).

دقق في كل المصادر التي روت عهد عمر تجد أنه بالمآل سيكون الخليفة عثمان حسب وصية عمر، فعثمان وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص في شقه، وعلي والزبير في جانب آخر، وطلحة غائب، وعمر صريح جداً، فقد أوصى:

(١) راجع عمر تولية أبي في الإمامة والسياسة ص ٥ وما فوق وتوليته في تاريخ الطبري ثم راجع جـ ١ ص ١٩ و ٢٠ من الطبقات وراجع ص ١٩٧ جـ ٣ من تاريخ الطبري وص ٢٥٠ وما فوق.

(٢) راجع شرح النهج ص ٦٤ جـ ١.

(٣) راجع شرح النهج ص ٦٤ جـ ١.

(٤) راجع ص ٣٦٤ جـ ٣ من الطبقات وراجع تولية عثمان في الإمامة والسياسة على سبيل المثال.

(إذا كانوا ثلاثة ثلاثة، وهذا لن يحدث لأن طلحة غائب فاختراروا الذي في صف عبد الرحمن). فمحكوم حكم إذا أن يكونوا ثلاثة ضد اثنين، ولنفترض جدلاً أن طلحة جاء أثناء فترة المشاورات فشكل مع علي ومع الزبير ثلاثة، فإن عثمان سينجح قطعاً. ثم لنفترض أن عبد الرحمن والأربعة الباقين وقفوا مع علي، فإن علياً لن يفوز بالخلافة لأنه سيرفض شرط عدم تولية أي هاشمي حتى ولو كان ذي قوة وذو أمانة. لأن تعليمات الخليفة عمر واضحة بأن يقطع علي عهداً بأن لا يولي هاشمياً أبداً حتى ولو كان ذا قوة وذا أمانة^(١).

وقبل قضية الشورى، كانت الأمور واضحة، فعثمان رضي الله عنه كان موضع سر أبي بكر وعمر: أنظر إلى قول أبي بكر لعثمان عندما عهد لعمر (والله لو كتبت نفسك لكنت أهلاً لها) أي أهلاً للخلافة^(٢).

فضلاً عن ذلك، فقد كان عثمان أول زعيم من زعماء المهاجرين بايع أبا بكر^(٣). وكان عثمان يدعي في إمارة عمر بالرديف والرديف بلسان العرب الرجل الذي يأتي بعد الرجل، والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد زعيمهم^(٤).

لذلك تجد علياً يقول لعبد الرحمن بن عوف: حبوته حبودهر ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك^(٥).

ويجدر بالذكر أن ولاية العهد أصبحت جائزة ومشروعة في نظر علماء أهل السنة بسبب عهد أبي بكر لعمر، وعهد عمر للسته أو عملياً لعثمان، ومن يخالف تعليمات عمر رضي الله عنه تلك فإن مصيره القتل، وأي مناقشة تخرج عن هذا الإطار هي شق لعصا الطاعة واتباع غير سبيل المؤمنين (وتلك أوامر الخليفة القائم)^(٦).

(١) الامامة والسياسة ص ٢٧.

(٢) راجع سيرة عمر لابن الجوزي ص ٣٧ وتاريخ بن خلدون ج ٢ ص ٥٨ مثلاً.

(٣) راجع الامامة والسياسة ص ١١.

(٤) راجع نظام الحكم للقاسمي ص ١٩٧-١٩٨.

(٥) راجع الامامة والسياسة ص ١١ ونظام الحكم فقد نقلها عن الطبري.

(٦) راجع ج ٢ ص ٣٧٦ من شرح النهج لابن أبي الحديد.

وبعد أن تولى الأمويون رئاسة الدولة، أصبح العهد هو الطريقة المتبعة على الأغلب في تولية الخليفة، وهكذا الحالة في عهد العباسيين والعثمانيين^(١)، فيما عهد إلى الولد أو عهد لأحد أفراد الأسرة المالكة^(٢). وأصبحت تسمية ولاية العهد أمراً شرعياً، وذلك حرصاً على مصلحة المسلمين. أنظر إلى قول عائشة: استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملاً^(٣).

ثم أنظر إلى رد عمر عليها، ومن تأمرني أن أستخلف؟ ألا ترى ثانية أن صلاحيات الخليفة مطلقة؟ فلو أمرته أم المؤمنين أن يستخلف شخصاً ما لفعل لسبب بسيط هو أنه وأم المؤمنين يكرهون أن تبقى أمة محمد بلا راعٍ وهملاً من بعده ورأفة ورحمة بهذه الأمة.

وأهل السنة، ينكرون بشدة أن يكون الرسول ﷺ قد عهد لأحد وعلى الأخص علي بن أبي طالب^(٤).

وهكذا ضمناً، يسلم أهل السنة بأن الرسول ﷺ ترك هذه الأمة بلا راعٍ وأراد أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أن يتداركا ذلك. مع أن هذا غير وارد.

والمشير للانتباه أن وصية أبي بكر لعمر ووصية عمر لعثمان بالتسمية أو بولاية العهد كانت أثناء مرض أبي بكر وأثناء مرض عمر، وأن المرض قد اشتد بكل واحد منهما حتى أن أبا بكر ذهب في غيبوبة قبل أن يملي على عثمان كلمة عمر، فكتبها عثمان وأبو بكر مغمى عليه^(٥).

(١) راجع نظام الحكم للقاسمي ص ١٩٧-١٩٨، راجع ولاية العهد في الاحكام السلطانية للماوردي.

(٢) راجع نظام الحكم للقاسمي ص ١٩٧-١٩٨.

(٣) راجع الامامة والسياسة ص ٢٣.

(٤) راجع المقدمة لابن خلدون وراجع ص ٦٥٣ ج ٥ من الكنز الحديث ١٤١٤٣.

(٥) راجع تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٢٨/٤٢٩ و ص ٣٧ من سيرة عمر لابن الجوزي و ص ٨٥ ج ٢ من تاريخ ابن خلدون.

والملفت للانتباه أيضاً كيف يؤذن لهما بكتابة الوصية وهما بهذه الحالة ، ولا يؤذن لرسول الله ﷺ ويحال دون كتابة وصيته ، مع أنها عصمة من الضلال ؟ ، وهذا المنع كان تحت شعار أن الرسول قد اشتد به الوجع^(١) .

وفي الشرائع الوضعية لا أعلم أن دستوراً مكتوباً أو عرفياً لم ينص على من يتولى السلطات في حالة غياب رئيس الدولة أو موته . أقول هذا على التعميم ، حتى أن ريغان رئيس الولايات المتحدة قرر أن يعمل عملية طبية بسيطة يوم ١٣/٧/١٩٨٥ ، فأبلغ الكونغرس والأمة الأمريكية أنه قد عهد بسلطاته إلى نائبه جورج بوش .

وباختصار ، أصبح العهد الطريقة الوحيدة المتبعة ، وأن العهد الوحيد الذي لم ينفذه المسلمون هو عهد رسول الله ﷺ .

ونتساءل ، لماذا حدثت الردة ؟ ، لماذا عارض الناس ؟ ، لماذا رجت الجزيرة العربية ؟ ، لماذا أصبح المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية ؟ ، لماذا حدثت الفتن ؟ ، لماذا سقط مئات الألوف من القتلى للوصول إلى رئاسة الدولة ؟ .

أليس لأنهم تجاهلوا عهد الرسول ﷺ ومنعوه من كتابة وصيته إيماناً بالمقولة الخالدة ؟ ، تأبى العرب أن تجمع بنو هاشم النبوة مع الملك^(٢) .

والشرع ، تبيان لكل شيء ، كيف يكون التغوط شيء والتبول شيء آخر ، ويبين الرسول للناس كيف يتبولون وكيف يتغوطون ولا يبين لهم من يخلفه ولا كيف يخلفه ؟ ! .

(١) راجع صحيح بخاري ج١ ص ٢٢ و ص ٣٢٥ ج١ من مسند الامام أحمد وراجع كتاب السقيفة للجوهري و ص ٢٠ مجلد ٣ من شرح النهج و ص ١٨٨ ج٢ من صحيح بخاري و ص ٣٥٥ ج١ من مسند الامام أحمد ج١ من صحيح مسلم وراجع الطبراني وراجع ص ١٣٨ ج١ من كنز العمال وراجع ص ١١٤ مجلد ٢ سطر ٢٧ من شرح النهج وراجع الطبقات ص ٢٤٢-٢٤٥ ج٢ وراجع تاريخ بغداد لابي الفضل أحمد بن أبي الطاهر ص ٩٧ مجلد ٣ من شرح النهج وراجع ص ١٩٣ ج٢ .

(٢) راجع ص ٣٤ ج٣ من تاريخ بن الاثير وراجع ص ١٠٧ مجلد ٣ من شرح النهج و ص ١٠٥ مجلد ٣ و ص ٢٢٢ من الامامة والسياسة وعمر رضي الله عنه هو واضح الشرط القائل : بان لا يولي أي هاشمي على رقاب الناس حتى ولو كان ذي قوة وذي امانة وراجع ص ٢٢٢ من نظام الحكم كما نقله عن الطبري وراجع نور البقين في سيرة سيد المرسلين الشيخ محمد الحصري ص ١٢١-١٢٢ .

ثم لو كانت القضية انتخاباً لفاز أبو سفيان ، ولساد بنو أمية ، ثم لو كانت القضية شرفاً أسروياً ومكانة قريش لتراجع أبو بكر ولتراجع عمر ، ولأفسحوا المجال لأبي طالب ولأبي سفيان . فأبو سفيان له القيادة في الجاهلية ، وبنو عبد مناف عامة خير من بني عدي وخير من بني تيم في الجاهلية وفي الإسلام . فقد رفع بنو عبد مناف على غيرهم بالنص الشرعي وقدم هاشماً ووضع هذين البطينين بنص الشرع .

لكن القضية ليست قضية شرف أسروي ، ومكانة من قريش البطاح أو قريش الظواهر^(١) . لكن القضية قضية دين ، وقضية علم الغيب من هو الأصح ؟ ، ومن الذي تأمن الأمة بوائقه ويأتمنه الشرع على الدين ويأتمنه على اختيار خليفته بالشكل الذي يرضي الله ، وبصورة مستمرة .

ألم تركب قالوا في السقيفة أنهم أولى بهذا الأمر من الأنصار وبميراث محمد لأن محمداً منهم ولأن العرب تأبى أن تولي الخلافة إلا من كانت النبوة فيهم^(٢) . وعندما تمت البيعة قالوا لقد بايعنا الناس بالشورى وأن الرسول عندما مات خلى على الناس أمرهم^(٣) .

ثم أنهم لم يخلوا على الناس أمرهم ، إنما صار من حق كل خليفة قائم أن يوصي من بعده حتى لا تترك أمة محمد هملاً^(٤) .

كيف يحق لرئيس الدولة من بعد النبي أن يوصي بمن يخلفه ولا يحق لمحمد أن يوصي بمن يخلفه . . . فإن قالوا أنهم يخشون على أمة محمد من أن تبقى بغير راعٍ ، فكيف لا يخشى محمد على أمته وهو الأخشى منهم والأبعد نظراً ؟ ، وهو الذي وصفه الله بأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم . لماذا لم يسمحوا له أن يوصي وهو مريض ؟ ، وسمحوا لأنفسهم بالوصية وهم على فراش الموت ؟ .

(١) راجع الطبقات لابن سعد ج١ ص ٢٠ وراجع تاريخ الطبري ج٢ ص ١٨٠ والسيرة الجلية ج١ ص ٤ و ج٢ ص ١٧٧ من تاريخ الطبري / راجع نظرية القرابة في معرض تسمية الامام عند أهل السنة .

(٢) راجع حجة المهاجرين الثلاثة في سقيفة بني ساعدة في كل المراجع خاصة بالطبري وابن قتيبة ص ٥ وما فوق .

(٣) راجع الامامة والسياسة وراجع تسمية الامام عند أهل السنة وولاية العهد .

(٤) راجع الامامة والسياسة ص ٢٣ .

حكم الشرع من تسمية الإمام أو من ولاية العهد

استعرضنا موقف الشيعة من هذا الموضوع ، واستعرضنا بتفصيل علمي موقف أهل السنة من هذا الموضوع أيضاً . وقد أثبتنا أن أهل الشيعة يؤمنون بالتسمية والعهد ، ويؤمنون أيضاً أن الرسول ﷺ لم يغفل عنها ، وأنه قد عهد لعلي بن أبي طالب وجاء بعده إحدى عشر إماماً ، وهم يعرفون حتى الآن إمامهم الشرعي^(١) .

وسقنا كيف تسلسل أهل السنة بالفهم حتى تبين لهم أن في العهد مصلحة للمسلمين ، فآمنوا به واجازوه ، ولكنهم أنكروا أن النبي قد عهد لعلي ، وإذا قيل لهم ولو تلميحاً أن الرسول قد عهد لأبي بكر ضمناً صدّقوا^(٢) ، وهذا قمة الولاء للواقع التاريخي .

وبفضل الله ومنته فإن الله قد حفظ الذكر وحفظ البيان ، وبفضله ومنته أيضاً فإن الله قد جعل من الإسلام شريعة وعقيدة كميزان توزن به الأفكار وتقاس به المعتقدات والأفعال ، ويعرف الرجال به ولا يعرف هذا الدين من خلال الرجال . وبفضل الله أيضاً فإنه لا يوجد دين خاص بأهل السنة ولا دين آخر خاص بأهل الشيعة ، إنما يوجد للفريقين دين واحد هو الإسلام ، وهما يتسابقان بالانتماء إليه والدفاع عنه مما يتيح لنا الفرصة برغبة الطرفين لعرض موقف الشرع وحكمه على موقفيهما من هذه الناحية .

وقد ثبت بالمنطق والعقل صواب رأي الشيعة في هذا الموضوع ، وهو تسمية الإمام أو ولاية العهد . أقصد بصواب رأيهم القائل بأنه يستحيل عقلاً أن يموت الرسول ﷺ دون أن يعين خليفة له ، وأن هذا التعيين ضرورة .

(١) راجع اعيان الشيعة جـ ١ قسم ص ٦-٧ وراجع النافع يوم الحشر ص ٥٢ ، للطوسي وراجع عقيدة الشيعة حسين العاملي ص ١٢-١٣ .

(٢) راجع الامامة والسياسة ص ٦ و ص ١٧٨ جـ ٣ من الطبقات .

الفصل الثالث

حكم الشرع في تسمية الإمام أو ولي العهد

الأدلة الشرعية التي تثبت أن الرسول ﷺ (قد سمي خليفته وعين ولي عهده بأمر من ربه).

١ - من القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . وَمَنْ يَتَوَلَّى اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنْ حَزَبَ اللَّهُ هُمْ الْغَالِبُونَ ﴾ ^(١).

— أسباب نزول الآية :

١ - وردت في الباب ١٨ من غاية المرام ٢٤ حديثاً عن طريق الجمهور تثبت أن هذه الآية نزلت في علي .

٢ - فضلاً عن الأحاديث الصحاح المتواترة عن أئمة العترة الطاهرة .

٣ - وكما تعود الناس بعكس أوامر النبي فإننا نترك جانباً ما ورد عن طريق أهل البيت ونعتمد فقط على ما وصلنا عن طريق غيرهم .

— مراجع أهل السنة التي تثبت أن هذه الآية نزلت في علي :

١ - هنالك شبه إجماع من المفسرين على أن هذه الآية نزلت في علي ^(٢).

٢ - ورد في غاية المرام الباب الثامن عشر ٢٤ حديثاً عن طريق أهل السنة تثبت أن هذه الآية نزلت في علي .

٣ - فضلاً عما ورد في مراجع أخرى ^(٣).

(١) سورة المائدة آية ٥٤-٥٥ . راجع سيرة ابن هشام غزوة ذات الرقاع وراجع المراجعات للإمام شرف الدين العاملي ص ١٨٩-١٩٥ .

(٢) نقل هذا الإجماع غير واحد كالامام القوشجي في مبحث الامامة من شرح التجريد وراجع تفسير الامام أبي اسحاق أحمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي الذي قال عنه بن خلكان في وفياته انه أوحده زمانه في علم التفسير .

(٣) راجع حديث بن عباس في كتاب اسباب النزول للواحدي . وراجع صحيح النسائي وتفسير سورة المائدة من كتاب الجمع بين الصحاح الستة وقد اخرج الخطيب في المتفق ، وراجع مسندي بن =

— السبب المباشر لنزول هذه الآية (كما هو مفصل في تفسير الثعلبي على سبيل المثال):

(إن علياً تصدق بخاتمة وهوراكع كما هو مفصل في تفسير الثعلبي ، هنالك دعا محمد ربه بالدعاء الذي دعا فيه موسى ربه والوارد في القرآن الكريم إلى أن قال : (. . .) واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري . . .) قال أبوذر، فوالله ما أتم الرسول دعاءه حتى نزل عليه جبريل ومعه آية الولاية تلك : ﴿إنما وليكم الله . . . ﴾ .

— حل الاشكالات :

- ١ - طالما أن الآية نزلت في علي ، فلماذا يعبر الله عن علي بصيغة الجمع ؟ .
- ٢ - ثم كلمة «ولي» لها معانٍ مختلفة ، ومن هذه المعاني : القيادة والإمرة . فما الذي يدرينا أن الآية وكلمة ولي الواردة فيها تعني الإمارة والخلافة ؟ .

— حل الاشكال اللغوي : لماذا عبر عن علي (بالذين آمنوا) وهو شخص واحد؟ .

العرب يعبرون عن المفرد بالجمع لنكتة تستوجب ذلك ، فالله سبحانه وتعالى عبر عن علي بالجمع لنكتة استوجبت ذلك ، وهذه الآية عنت أن علياً وحده هو ولي الأمر من بعد الرسول ﷺ . وهنالك سوابق في القرآن الكريم عبر الله فيها عن المفرد بصيغة الجمع ، وهي على سبيل المثال :

- ١ - قال تعالى : ﴿الذين قال لهم الناس أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم﴾ ، فقد كان القائل نعيم بن مسعود الأشجعي بإجماع المفسرين والمحدثين وأهل الأخبار ، فأطلق الله تعالى على نعيم وهو مفرد لفظ الناس وهو جمع تعظيماً لشأن الذين لم يصغوا إليه .

- ٢ - وقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا أذكروا الله عليكم إذ هم قوم أن يسلطوا إليكم أيديهم﴾ ، فقد كان الذي بسط يده رجل واحد من بني مجارب يقال له غورث ، وقيل إنما هو عمر بن جماش من بني النضير استل سيفه ، فهم أن يضرب به رسول الله ﷺ فمنعه الله . وقد أطلق الله تعالى على ذلك الرجل لفظ قوم وهي للجماعة تعظيماً لنعمة الله عليهم بسلامة نبيهم . ذكره المحدثون والمفسرون

= مردويه وأبي الشيخ وراجع الحديث ٥٩٩١ من احاديث الكنز ص ٣٩١ ج٦ وراجع مسند الامام احمد ص ٣٨ ج٥ من الهامش وراجع الحديث ٦١٣٧ من احاديث الكنز ص ٤٠٥ من كنز العمال .

وأهل الأخبار^(١).

٣ - ثم أنظر إلى آية المباهلة، فقد أطلق الله تعالى لفظ الأبناء والنساء والأنفس وهي حقيقة في العموم على علي وفاطمة وحسن وحسين بالخصوص، إجماعاً وقولاً واحداً تعظيماً لشأنهم.

وتلك أدلة قاطعة من القرآن الكريم وسوابق داحضة على جواز إطلاق لفظ الجماعة على المفرد لنكتة بيانية. فكلمة الذين آمنوا لا تنفي بأن الآية مختصة بعلي ونزلت فيه.

ما هي النكتة البلاغية في إطلاق لفظ (الذين آمنوا) على علي وحده؟.

١ - برأي الإمام الطبري في تفسير الآية من مجمع البيان:
المقصود من إطلاق لفظ الذين آمنوا على علي، تفخيمه وتعظيمه، لأن أهل اللغة يعبرون بلفظ الجمع على الواحد على سبيل التعظيم، وقال أن ذلك أشهر في كلامهم من أن يحتاج إلى الاستدلال عليه.

٢ - برأي الزمخشري في كشافه في معرض تفسير هذه الآية، قال:
إن الله أطلق على الإمام علي لفظ الذين آمنوا ليرغب الناس في مثل فعله حتى وهو في الصلاة لن يؤخر الزكاة إلى الفراغ من الصلاة.

٣ - وذكر الإمام شرف الدين العاملي في مراجعته التي أخذنا عنها هذا التحليل رغبة بوضع الحقيقة تحت تصرف طلابها:

يذكر العاملي نكتة أخرى، وهي: أن الله أتى بلفظ الجماعة دون المفرد بقياً منه على كثير من الناس، فإن شائني علي وأعداء بني هاشم وسائر المنافقين وأهل الحسد لا يطبقون أن يسمعوها بصيغة المفرد، إذ لا يبقى لهم حينئذ مطعم في تمويه فيكون منهم ما تخشى عواقبه على الإسلام، فجاءت الآية بصيغة الجمع مع كونها مفرد اتقاء معرفتهم^(٢).

(١) راجع سيرة ابن هشام ج٣ غزوة ذات الرقاع.

(٢) راجع المراجعات للإمام شرف الدين العاملي ص ١٩٣-١٩٥.

— حل الاشكال الثاني وهو كلمة (ولي) الواردة في الآية :

كلمة ولي لها معانٍ كثيرة، ومن هذه المعاني الإمارة والقيادة والإدارة، والآية كما سنثبت ذلك بالبيان تعني بالولي القيادة والإمارة، فهي :

١ - استجابة لدعاء دعاه محمد ﷺ لعلي، واستعمل فيه نفس الألفاظ التي استعملها موسى - عليه السلام - عندما دعاه ربه ليشد أزره بأخيه هارون، وزاد محمد ﷺ على الدعاء، فقال: «واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشد به ظهري»، ولم يقل إزري.

٢ - إن النصوص الشرعية (السنة المطهرة) تثبت بالدليل القاطع أن الله اختار علياً ولياً باللفظ وخليفة باللفظ.

٣ - وحتى لا يكون عند أهل السنة حرج، فإننا نختار ثلاثة من كبار المسلمين ومن أجلاء الصحابة ولهم مكانة عند أهل السنة خاصة تشبه مكانة الأنبياء، حتى أن رجال الفقه السياسي إذا لم يجدوا لأمر من الأمور مخرجاً يقولون هكذا فعل أبو بكر، أو هكذا فعل عمر، أو هكذا فعلت عائشة، فتحول قولهم رضي الله عنهم عند هؤلاء الفقهاء إلى شرع بما للكلمة من معنى، فهم عملياً يصلحون ليرجع إليهم لفهم مدلول كلمة ولي :

- يقول أبو بكر، عندما استخلف عمر: (إني ما وليت ذي قرابة)^(١).

- ويقول لنفس المعنى: (إني استخلف عليكم عمر)^(٢).

- ويقول عمر: (لو أدركت أبا عبيدة حياً استخلفته ووليته، فإذا سألتني ربي من وليت على أمة محمد...) (٣). فقد ذكر عمر كلمة التولية مرات، وذكر كلمة الاستخلاف لنفس الغاية. ثم ها هي عائشة تقول لعمر: (استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملاً)^(٤).

(١) راجع تاريخ الطبري ج٤ ص ٥٢-٥٣ وص ١٩ الامامة والسياسة.

(٢) راجع المراجع السابقة.

(٣) راجع ج٤ ص ٥٢-٥٣ من تاريخ الطبري وص ١٩ من الامامة والسياسة وص ١٩٩ ج٣ من تاريخ الطبري وج٣ ص ١٨٠ من الطبقات لابن سعد.

(٤) راجع الطبقات لابن سعد ج٣ ص ١٨٠ وص ١٨٠ وص ٢٣ من الامامة والسياسة.

فهؤلاء يفسرون كلمة ولي في تلك الآية كما نرى بأنه الخليفة ، وهو الذي يتولى أمور المسلمين من بعد النبي . وحتى لا يكون في الصدر حرج ، أنظر إلى قول أبي بكر (أنا ولي رسول الله) . ويقول عمر (أنا ولي رسول الله وولي أبي بكر ، وأمرهما إلي ومن ولي الأمر)^(١).

بقية الأدلة من القرآن والتي تثبت أن علياً معين ولياً بالنص

٢ - آية المباهلة :

﴿فمن حاكك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكافرين﴾^(٢).

فلما أصبحوا قدم الرسول ﷺ ومعه فاطمة وعلي وحسن وحسين ، فسأل أبو حارثة عنهم فقيل هذا ابن عمه وهذه ابنته وهذان ابناه فرفضوا المباهلة^(٣) ، وكان النبي محتضناً الحسين ، أخذاً بيد الحسن ، وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها^(٤) . قولاً واحداً بالإجماع وبلا مخالف ، لماذا لم يدع عمه العباس ، لماذا لم يدع أياً من بناته أو أزواجهن ، لماذا لم يدع أبا بكر وعمر . . . ؟ ،

٣ - ﴿وانذر عشيرتک الأقربين﴾^(٥).

ماذا جرى عندما دعا الرسول عشيرته الأقربين ومن أعلن يومئذ أنه وليه في الدنيا والآخرة .

٤ - عندما نزلت آية ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ قال النبي ﷺ : «أنا النبي وعلي الهادي» ، وهذا تصريح بثبوت الإمامة لعلي علماً وسياسة^(٦) .

٥ - ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي ، هارون أخي﴾ . عندما خرج الرسول لغزوة تبوك وترك علياً في المدينة ، بكى علي واشتكى وقال للنبي : أتخلفني في

(١) راجع الحديث ١٨٧٦٨ و ١٨٧٦٩ ج ٧ من كنز العمال .

(٢) سورة آل عمران الآية ٦١ .

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢ ص ١٦ و ٢٠ .

(٤) راجع تفسير البضاوي ص ٧٠ .

(٥) سورة الشعراء الآية ٢١٤ .

(٦) راجع منهاج الكرامة ص ١٥٥ و راجع تفسير الطبري ج ٣ ص ٦٣ .

النساء والصبيان؟ فرد عليه النبي قائلاً: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدي^(١). وعد ابن حجر هذه الآية من الآيات الواردة في علي^(٢).

٦ - ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾^(٣).

٢ - الأدلة الشرعية من السنة التي تثبت أن الرسول ﷺ قد سمى خليفته وولي عهده:

الدليل الأول:

قال ﷺ عن علي بن أبي طالب: «إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا»^(٤). هذا نص صريح وواضح لا يُجادل به، وهو حديث قد وصل إلى مرحلة التواتر.

(١) راجع البلاذري انساب الاشراف ج٢ ص٢٦ وتاريخ الطبري ج٣ ص١٠٣ ومروج الذهب للمسعودي ج٢ ص٤٢٧ والكامل في التاريخ لابن الاثير ج٢ ص٢٣٩.

(٢) راجع ص١٠٦ من الصواعق المحرقة لابن حجر وص١٩ من الخصائص العلوية للنسائي وص١٥٤ ج٦ وص٣٩٥ ج٦ من كنز العمال وص٣١ ج٥ من سند الامام أحمد الهامش.

(٣) سورة المائدة الآية ٦٧ راجع علي والحاكمون د. محمد الصافي ص٥٦ وقد نقل ذلك عن الدرر المنثور وعن كتاب الغدير ج١ ص٢١٣ و٢١٤ للعلامة الاميني وعلى الصفحات ٥٧ من هذا الكتاب يبين المراجع راجع الدرر المنثور ج٢ ص٢٩٨.

(٤) راجع تاريخ الطبري ج٢ ص٢١٧ وتاريخ ابن الاثير ج٢ ص٢٢ وتاريخ ابي الفداء ج١ ص١١٦ ونقض العثمانية لابي الاسكفي الامام المعتزلي ص٢٥٧ وراجع ص٢٨١ وص٢٦٣ مجلد ٣ من شرح النهج لابن ابي الحديد وص٢٥٧-٢٨١ ج٣ من الشرح وص٣٨١ ج١ من السيرة الحلبية باب استخفاء الرسول وراجع عدد جريدة السياسة لمحمد حسين هيكل عمود ٢ ص٥ من الملحق رقم ٢٧٥١ الصادر في الصادر في ١٢ ذي القعدة ١٣٥٠هـ والعدد ٢٧٨٥ من جريدة السياسة ونقل هذا الحديث عن مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده وعبدالله بن أحمد في زيادات المسند وابن حجر الهيثمي في جمع الفوائد وابن قتيبة في عيون الاخبار وأحمد بن عبدربه في العقد الفريد وعمرو بن الجاحظ في رسالته عن بني هاشم وراجع الامام ابي اسحاق الثعلبي في تفسيره وراجع مقالة في الاسلام ص٧٩ لجرجس الانكليزي الذي نقله عن من يسمي نفسه بهاشم العرب واختصره توماس كارليل في كتابه الابطال واخرجه بهذا المعنى الطماوي والضياء المقدسي في المختاره وسعيد بن منصور في السنن وراجع أحمد بن حنبل ص١١١ وص١٥٩ ج١ من المستدرک للحاكم وص٣٣١ =

— صحة هذا الحديث :

وهو حديث صحيح : وقد صححه بن جرير وأبو جعفر الاسكافي إذ أرسله
صحته ارسال المسلمات^(١).
الدليل الثاني : من السنة والذي يثبت أن رسول الله ﷺ قد سمي خليفته وولي عهده
وجعله ولياً من بعده :

قال ﷺ لعلي : «أنت ولي في الدنيا والآخرة»^(٢).
وقال ﷺ لعلي : «أنت ولي كل مؤمن بعدي»^(٣).
وقال ﷺ لعلي أيضاً : «من كنت وليه ، فإن علياً وليه»^(٤).
وقال ﷺ : «إن لعلي أكثر من الجارية التي أخذ أنه وليكم بعدي»^(٥).
وقال ﷺ : «إنك ولي كل مؤمن بعدي»^(٦).
وقال ﷺ : «إنك ولي المؤمنين بعدي»^(٧).
وقال ﷺ : «من كنت وليه فهو وليه»^(٨).
وقال ﷺ : «من كنت مولا فهذا علي مولا»^(٩).

= جـ ١ من المسند أيضاً وراجع ص ٦ من الخصائص العلوية للنسائي وراجع ص ١٣٢ جـ ٦ من كنز
العمال الحديث ٦٠٠٨ والحديث ٦٠٤٥ ص ٣٩٦ جـ ٦ والحديث ٦٠٥٦ ص ٣٩٧ جـ ٦ والحديث
٦١٠٤ ص ٤٠٤ والحديث ٦١٥٥ ص ٤٠٨ وراجع ص ٢٥٥ مجلد ٣ من شرح نهج البلاغة لابن أبي
الحديد راجع المراجعات للامام شرف الدين العاملي .

(١) راجع الحديث ٦٠٤٥ ص ٣٩٦ جـ ٦ من الكنز تجد تصحيح بن جرير وراجع ص ٤٤ جـ ٥ من مسند
الامام أحمد تجد تصحيح بن جرير لهذا الحديث وص ١١ جـ ١ من مسند الامام أحمد وقد أخرجه
الذهبي في تلخيص المستدرک واعترف بصحته .

(٢) راجع المراجعات للامام علي ص ١٦٣-١٦٤ وقد صرح الذهبي بصحته على تعنته في تلخيص
المستدرک ص ٢٦ وابن حجر الهيتمي ذكره في صواعقه باب ١٢ ص ١٦ وأخرجه في باب ١١ ص ١٠٧
من صواعقه وقال ان الامام أحمد أخرجه وصححه . وأخرجه صاحب الجمع بين الصحيحين في
فضائل علي وفي غزوة تبوك وهو موجود في غزوة تبوك من صحيح بخاري ص ٥٨ جـ ٢ وراجع صحيح
مسلم ص ٣٢٣ جـ ٢ و ص ٢٨ جـ ١ . وراجع ص ١٠٩ من مسند الامام أحمد و ص ١٧٢ و ١٧٥ و ١٧٧
و ١٧٩ و ١٨٢ و ١٨٥ جـ ١ من المسند و ص ٣٣١ و ص ٢٦٩ و ص ٤٣٨ جـ ٦ من المسند . وراجع
الصواعق المحرقة باب ١١ ص ١٠٧ وراجع فصل ٢ باب ٩ ص ٧٢ من الصواعق ، وذكر السيوطي في
تاريخ الخلفاء وذكر ان الطبراني أخرجه والبيهقي في مسنده راجع ص ٦٥ من تاريخ الخلفاء وأخرجه
الترمذي كما يدل الحديث ٢٥٠٤ وراجع ص ١٥٢ جـ ٦ من الكنز وأورده بن عبد البر في احوال علي
من الاستيعاب .

(٣-٩) أخرجه النسائي في خصائصه وأحمد بن حنبل في مسنده ص ٤٣٨ جـ ٤ والمحاكم في مستدرکه =

وقد أوضحنا كلمة (ولي) عند تفسير آية الولاية، وهذه الأحاديث التي تنصب على آية الولاية تبينها وتوضحها بما لا يدع مجالاً لأي لبس. وقد سقنا تفسير أبي بكر وعمر وعائشة لكلمة الولي^(١).

وبعد هذا، يتضح بكل وضوح وجلاء أن الرسول ﷺ قد سمي علياً ولياً لعهد وخليفة من بعده وقد استعمل كل الألفاظ الدالة على كلمة الخلافة والولاية وكلمة الإمارة كما سأوضح ذلك.

الدليل الثالث: من السنة والذي يثبت أن رسول الله ﷺ سمي خليفة وولي عهده: لما خرج رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قال علي: (أخرج معك، فقال ﷺ: لا، فبكي علي، فقال ﷺ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس بعدي نبي، إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي»^(٢).

ص ١١١ ج ٣ والذهبي في تلخيص المستدرک واخرجه بن أبي شيبه وابن جرير والمتقي الهندي في ص ٤٠٠ ج ٦ من الكنز، والترمذي باسناد قوي. وقال ﷺ لرجل اشكى علياً لا تقع في علي فانه مني وانا منه وهو وليكم بعدي، راجع مسند الامام أحمد ص ٢٥٦ وص ٣٤٧ ج ٥ وص ١١٠ ج ٣ من المستدرک وص ٤٣٨ ج ٢ من مسند الامام أحمد واخرجه الطبراني بتفصيل آخر وقال: من ابغض علياً فقد ابغضني ومن فارق علياً فقد فارقتي، ان علياً مني وانا منه خلق من طيبتني وانا خلقت من طين ابراهيم، وانا افضل من ابراهيم، راجع بن حجر في ص ١٠٣ من صواعقه وص ٢٩٨ ج ٦ من كنز العمال وص ١٨٥ من المراجعات وراجع ص ١٣٤ ج ٣ من المستدرک والذهبي والنسائي في الخصائص العلوية ص ٦ والامام احمد في مسنده ص ٣٣١ والحديث ٦٠٤٨ ج ٦ ص ٣٩٦ ج ٦ والحديث ٢٥٧٥ ص ١٥٥ ج ٦ وص ٣٩٧ ج ٦ من الكنز وص ١٨٧ من المراجعات وابن ماجه ص ١٩٢ من سننه والترمذي والنسائي في صحيحهما وراجع الحديث ٢٥٣١ من الكنز وص ١٥٣ ج ٦ وص ١٦٤ ج ٢ من المسند وص ١٥١ ج ١ من المسند.

(١) راجع الامامة والسياسة ص ٢٣ وراجع تاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٢٩ وراجع ص ١٩ من الامامة والسياسة وص ٢٣ و ٢٤ وراجع ص ٩٧ مجلد ٣ من شرح النهج الحيدري كما نقله عن صاحب تاريخ بغداد أبو الفضل أحمد ابن أبي الطاهر.

(٢) حتى ان الذهبي على تعنته اعترف بصحة هذا الحديث في تلخيص المستدرک وابن حجر في صواعقه على محاربته اعترف بصحة هذا الحديث في ص ٢٩ من صواعقه واخرجه البخاري في ص ٣٢٤ ج ٢ من صحيحه، وامام الفتة الباغي معاوية الذي ناصب أمير المؤمنين العدا و امر بلعه لم يجحد هذا الحديث. واخرجه مسلم في فضائل علي ص ٣٢٤ والحاكم في مستدرکه ص ١٠٩ ج ٣ وصححه على شرط الشيخين واورده الذهبي في تلخيصه. وراجع باب ١١ ص ١٠٧ من الصواعق لابن حجر

— منزلة هازون من موسى تشبه منزلة علي من محمد :

الرسول ﷺ أنزل علياً منه بنفس المنزلة التي أنزلها موسى لهارون، ولم يستثن من جميع المنازل إلا النبوة، واستثناء النبوة دليل على العموم، ومن الواضح أن أظهر المنازل التي كانت لهارون من موسى وزارته وشدة إزره . . . واشراكه معه في أمره وخلافته عنه، وفرض طاعته على جميع أمتة بدليل قوله تعالى : ﴿ واجعل لي وزيراً من أهلي . هارون أخِي . أشد به أزي . وأشركه في أمري ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ أخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ قد أوتيت سؤلك يا موسى ﴾ .

فعلي بحكم هذا النص خليفة رسول الله ﷺ وشريكه في أمره على سبيل الخلافة لا على سبيل النبوة . وأفضل أمتة وأولاهم برسول الله ﷺ حياً وميتاً . وله عليهم فرض الطاعة بعد وفاة الرسول ﷺ مثل الذي لهارون على أمة موسى أثناء غياب موسى .

وقوله ﷺ : « لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي » نص صريح في كونه خليفة بل نص جلي في أنه لو ذهب ولم يستخلفه كان قد فعل ما لا ينبغي له أن يفعل . وهذا ليس إلا لأنه مأمور من الله عز وجل باستخلافه كما ثبت في تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ .

فإذا أضيف النص الوارد « أنت ولي كل مؤمن بعدي » فإنه نص في أنه ولي الأمر ووليّه القائم مقامه، كما قال الكميّ :

(ونعم ولي الأمر بعد وليه ومنتهج التقوى ونعم المؤدب)

= وج ٢ ص ٥٨ من صحيح بخاري غزوة تبوك . وراجع ج ٢ ص ٣٢٣ من صحيح مسلم وراجع مسند بن ماجه ج ١ ص ٢٨ ، وراجع مناقب علي من المستدرک للحاكم ج ٣ وراجع مسند الامام أحمد ج ١ ص ١٧٥ و ١٧٧ و ١٧٩ و ١٨٢ و ٣٣١ ج ١ ص ٣٦٩ و ٤٣٨ ج ٦ ص ٣٢ ج ٣ و باب ١١ ص ١٠٧ من الصواعق المحرقة و باب ٩ ص ٧٢ من الصواعق وذكره في احوال من تاريخ الخلفاء والترمذي في صحيحه كما يدل الحديث رقم ٢٥٠٤ من احاديث الكنز ص ١٥٢ ج ٦ .

— صحة هذا الحديث :

حديث المنزلة من أصح الآثار وأثبت السنن حتى أن الذهبي على تعنته صرح بصحته في تلخيص المستدرک وابن حجر الهيتمي على محاربته في صواعقه ذكر هذا الحديث في الشبهة ١٢ ونقل القول بصحته في ٢٩ من صواعقه، وراجع المراجعات للعاملی .

الدليل الرابع : من السنة والذي يثبت أن الرسول ﷺ قد سمي خليفته من بعده واتخذ علياً ولياً لعهدہ :

وهو أن علياً وارث النبي بنص الشرع أيضاً .
وكان علي يقول : (والله إني لأخوه ووليّه وابن عمه ووارث علمه ، فمن أحق به مني)^(١) ؟ .

وقال ﷺ : « يا بني عبدالمطلب ، إني قد بعثت إليكم خاصة وإلى الناس عامة ، فأياكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووارثي ، فلم يقم إليه أحد ، فقام علي في المرتين وفي المرة الثالثة ضرب بيده على يد علي ، فلذلك ورث النبي ابن عمه دون عمه »^(٢) .

وسئل قثم بن العباس ، كيف ورث علي رسول الله دونكم ؟ فقال : كان أولنا لحوقاً به وأشدنا لصوقاً به . وكان الناس يعلمون أن علياً وارث النبي ، ويرسلون ذلك ارسال المسلمين^(٣) .

قال ﷺ : « إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه ، وجعل ذريتي في صلب علي »^(٤) . وقال ﷺ : « كل بني أنثى ينتمون إلى عصبتهم إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا

(١) راجع الحاكم في مستدرکه ص ١٢٦ ج ٣ واعترف الذهبي بصحته في تلخيص المستدرک .

(٢) أخرجه الضياء المقدسي في المختارة وابن جرير في تهذيب الآثار وهو الحديث ٦١٥٥ من احاديث الكنز راجع ص ٤٠٨ ج ٦ وأخرجه النسائي في ص ١٨ من الخصائص العلوية ونقله ابن أبي الحديد في ص ٢٥٥ مجلد ٣ من شراح النهج وراجع ص ١٥٩ ج ١ مسند الامام أحمد .

(٣) راجع ص ١٥٥ ج ٣ من المستدرک للحاكم وأخرجه ابن أبي شيبة وأخرجه الذهبي في تلخيصه وراجع الحديث ٦٠٨٤ ج ٦ من الكنز .

(٤) راجع الحديث ٢٥١٠ ص ١٥٢ ج ٦ من كنز العمال .

عصبتهم وأنا أبوسهم»^(١). وقال ﷺ: «إن الله أطلع إلى أهل الأرض فاختار منهم محمداً فجعله نبياً، ثم أطلع ثانية فاختار علياً فأوصى إلى نبيه أن يتخذه وارثاً ووصياً» .

الدليل الخامس: من السنة الذي يثبت أن رسول الله ﷺ قد سمي علياً ولياً لعهدته وخليفة من بعده:

هو أنه وصى الرسول ﷺ، والوصية متواترة عن أئمة العترة الطاهرة، وحسبك ما جاء عن طريق غيرهم من أهل السنة. فقد أخذ النبي بركة علي، وقال: «إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فاسمعوا له وأطيعوا»^(٢).

وقال ﷺ: «لكل نبي وصي ووارث، وأن وصيي ووارثي علي بن أبي طالب»^(٣). وقال ﷺ: «إن وصيي وموضع سري خير من أترك بعدي ينجز عدتي ويقضي ديني علي بن أبي طالب»^(٤). وقال ﷺ: «يا انس، أول من يدخل عليك هذا الباب إمام المتقين وسيد المسلمين ويعسوب الدين وخاتم الوصيين وقائد الغر المحجلين، وقال (انس) فجاء علي، فقام إليه رسول الله فعانقه وقال له أنت تؤدي عني وتسمعهم صوتي وتبين لهم ما اختلفوا فيه من بعدي»^(٥).
— انكار الوصية^(٦):

لقد أنكر بخاري ومسلم الوصية واستندوا إلى حديث عائشة بأن الرسول ﷺ مات بين سحرها ونحرها ورأسه على فخذه.

(١) أخرجه الطبراني عن الزهراء وهو الحديث ٢٢ من الأحاديث التي أوردها ابن حجر في الفصل الثاني من صواعقه ص ١١٢ ص ١٦٤ ج ٣ المستدرك للحاكم وقال انه حديث صحيح.

(٢) راجع المراجع التي أوردها في الدليل الأول من السنة وهي بفضل الله دامغة وكافية.

(٣) أخرجه محمد بن حميد الرازي وأورده الذهبي في تلخيصه في احوال شريك من ميزات الاعتدال وكذب به والحقيقة ان بن جرير وابن حنبل والبضوي وثقوا محمد بن حميد ورووا عنه فهو شيخهم كما يعترف الذهبي، وهو لم يهتم بالرفض ولا بالتشيع فلا وجه لاتهامه راجع ص ٢٥٣ من المراجعات.

(٤) راجع الحديث ٢٥٧٠ من احاديث الكنز آخر صفحة ١٥٥ ج ٦ وأورده في منتخب الكنز راجع الهامش ص ٣٢ ج ٥ من مسند الامام أحمد.

(٥) راجع شرح النهج لعلامة المعتزلة بن أبي الحديد وأورده أبونعيم في حيلة الاولياء.

(٦) راجع مراجع الدليل الخامس وبعض نصوص الوصية.

والصحيح أن الرسول ﷺ قد أوصى بكتاب الله وأوصى أن لا يغسله أحد غير علي، وقال: يؤدي ديني، ويواريني في حفرتي، وأوصى بالتمسك بالثقلين.

وأراد وهو يحتضر أن يكتب وصيته تأكيداً لعهوده اللفظية وتوكيداً لعرى نصوصه القولية، فقال: اثنوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع. فقالوا هجر رسول الله، عندها لم يبق بعد كلمتهم أثر لذلك الكتاب إلا الفتنة، فقال لهم: قوموا، واكتفى بعهوده اللفظية، ومع ذلك فقد أوصاهم عند موته بأن يخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأن يجيزوا الوفد بنحو ما كان يجيزه، وقالوا أنهم نسوا الثالثة^(٢).

كان ذلك يوم منعه من كتابة وصيته. (راجع مراجع المنع).

أما قول أم المؤمنين بأن الرسول ﷺ قد مات بين سحرها ونحرها ورأسه على فخذاها ففيه معارضة ويناقضه الواقع.

والحقيقة أن الرسول ﷺ قد مات على صدر علي وليس بالصورة التي نسبت لأم المؤمنين^(٣).

(١) راجع ص ٨٣ ج ٢ من صحيح بخاري وص ٦٤ ج ٣ وص ١٤ ج ٢ وص ٦١ ج ٢ من الطبقات لابن سعد وراجع ص ٥٩ ج ٣ من المستدرک للحاكم والذهبي في تلخيصه وراجع الحديث ١٠٩٤ ص ٥٤ ج ٤ من كنز العمال والحديث ١١٠٤ ص ٥٥ ج ٤ وص ١١١ ج ٣ من المستدرک للحاكم والحديث ٢٥٨٤ ص ١٥٥ ج ٦ من كنز العمال والحديث ٣٠٩٣ ج ٦ من الكنز وراجع ص ٤٥ ج ٥ من هامش مسند الامام أحمد، كهذه المراجع ثبت بأن الرسول قد أوصى بعكس ما قالت أم المؤمنين رضي الله عنها، ثم انه من المستحيل ان يموت الرسول دون أويوصي، ومن المستحيل ان يكل دينه إلى الاهواء أو ان يتكل في حفظ شرائعه على الآراء من غير وصية.

(٢) راجع الحديث ١١٠٧ ص ١٥٥ ج ٤ والحديث ٦٠٠٩ ص ٣٩٢ ج ٦ والحديث ١١٠٦ ص ٥٥ ج ٤ والحديث ١١٠٨ ص ٥٥ ج ٤ من احاديث الكنز وراجع ص ٥١ ج ٢ من طبقات بن سعد، وص ١٩٦ ج ٢ من شرح النهج الحديدي وص ٥٦١ مجلد ٢ وص ٢٠٧ و ٥٠٩ من النهج مجلد ٢. وروى هذه الاحاديث علي، وابن عباس، وام سلمه، وعبدالله بن عمر، وعلي بن الحسين، وسائر ائمة أهل البيت. وفي زمان عمر كان الصحابة يجلسون فسأل كعب ما كان آخر ما تكلم به رسول الله، فقال عمر سل علياً فروى علي كيف مات رسول الله ﷺ وماذا قال، راجع ص ٢٦٢-٢٦٤ ج ٢ من الطبقات لابن سعد. ولما حضرته الوفاة ﷺ قال ادعولي اخي، فدعوا علياً فقال، ادن مني، فدنا منه، فلم يزل يكلمه حتى فاضت نفسه الزكية، فأصابه بعض ريعه، كما ذكر ذلك بن سعد في طبقاته ج ٢ ص ٥١ وراجع كنز العمال ص ٥٥ ج ٤.

الدليل السادس: الذي يثبت أن الرسول ﷺ قد سمي علياً ولياً لعهدده وخليفة من بعده:

— الاختيار الإلهي:

قال ﷺ لفاطمة: «أما ترضين أن الله عز وجل أطلع إلى أهل الأرض فاختار رجلين، أحدهما أبوك والآخر بعلك»^(١). وهذا واضح جداً، فإن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء وقد منّ الله على علي عندما اختاره ورعاه.

أوحى الله عز وجل ليلة المبيت على الفراش إلى جبريل وميكائيل أنني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة، فاختار كلاهما الحياة! أوحى الله إليهما: ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه ليفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، إهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه. فنزلاً، فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجله، وجبريل ينادي من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة، وأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾.

ولقد أعطى الولي من المكانة في الآخرة ما يؤكد هذا الاختيار الإلهي. قال ﷺ: «مكتوب على باب الجنة لا إله إلا الله محمد رسول الله علي أخورسوله»^(٢). وقال ﷺ: «علي بن أبي طالب باب حطة من دخله كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً»^(٣).

قال تعالى: ﴿وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم﴾. قال علي: (نقف يوم القيامة بين الجنة والنار فمن نعرف عرفناه فأدخلناه الجنة ومن أبغضنا عرفناه بسيماهم)^(٤).

(١) راجع الحديث ٢٥٣٩ ص ١٥٣ ج ٦ من كنز العمال.

(٢) أخرجه أصحاب السنن في مسانيدهم وذكره الامام فخر الدين الرازي في تفسيره ج ٢ ص ١٨٩.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط والخطيب في المفترق والمتفق ونقله صاحب الكنز مع هامش ص ١٥.

ج ٥ من مسند الامام أحمد و ص ٤٦ ج ١ نقله عن ابن عساکر.

(٤) راجع ص ١٥٣ ج ٦ من كنز العمال وراجع الحديث ٢٥٢٨.

(٥) أخرجه الحاكم ونقله الثعلبي في تفسيره لهذه الآية.

قال النبي ﷺ: يا علي إنك والأوصياء على الأعراف.. ويؤيد هذا الحديث ما أخرجه الدارقطني أن علياً قال للسته الذين جعل الأمر شورى بينهم كلاماً طويلاً من جملته: أنشدكم الله هل فيكم أحد، قال له رسول الله ﷺ: «يا علي، أنت قسم الجنة فيوم القيامة تقول للنار هذا لي وهذا لك»^(١).

وروى ابن السماك أن أبا بكر قال لعلي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي الجواز^(٢).

الدليل السابع: الذي يثبت أن الرسول ﷺ قد اتخذ علياً ولياً لعهد وخليفة من بعده:

— حديث الاسكان والأبواب:

١ - وقف الرسول ﷺ خطيباً، فقال: إن رجالاً يجدون في أنفسهم شيئاً أن أسكنت علياً في المسجد وأخرجتهم، والله ما أخرجتهم وأسكنته، بل الله أخرجهم وأسكنه. إن الله عز وجل قد أوحى إلى موسى أن تبوء لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبله وأقيموا الصلاة، وأن علياً مني بمنزلة هارون من موسى، وهو أخي ولا يحل لأحد أن ينكح فيه النساء إلا هو»^(٣).

٢ - وأخرج رسول الله عمه العباس وغيره من المسجد، فقال العباس: تخرجنا وتسكن علياً؟! فقال ﷺ: «ما أخرجتكم وأسكنته، ولكن الله أخرجكم وأسكنه»^(٤).

٣ - قال زيد بن أرقم: كان لنفر من أصحاب الرسول أبواب شارة على المسجد، فقال ﷺ: «سدوا هذه الأبواب إلا باب علي». فتكلم الناس في ذلك، فقام ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد، فإني أمرت بسد هذه الأبواب إلا

(١) راجع المراجعات للامام شرف الدين العاملي ص ٧٢.

(٢) راجع المراجعات للامام شرف الدين العاملي ص ٨٤.

(٣) راجع المراجعات ص ١٦١-١٧٥ وراجع ينابيع المودة لأخطب خوازم من كتاب فضائل أهل البيت وباب ١٨ من التنايع.

(٤) أخرجه بن ماجه ج ١ ص ٩٢ من سننه وخبره الترمذي والنسائي في صحيحهما وهو الحديث ٢٥٣١ ص ١٥٣ ج ٦ من احاديث الكنز واخرجه الامام أحمد في ص ١٦٤ ج ٤ من مسنده و ص ١٥١ ج ١ من المسند.

باب علي ، فقال فيه قائلكم وأني ما سددت شيئاً ولا فتحتة ، ولكن أمرت بشيء فاتبعته^(١).

وقال ﷺ : « ما أخرجتكم من قبل نفسي ولا أنا تركته ، إنما أنا عبد مأمور ما أمرت به فعلت أن أتبع إلا ما يوحى إلي^(٢) . وقال ﷺ : « إن الله أوحى إلى نبيه موسى ، أن ابن لي مسجداً طاهراً لا يسكنه إلا أنت وهارون ، وأن الله أوحى إلي أن أبني لي مسجداً طاهراً لا يسكنه إلا أنا وأخي علي^(٣) .

الدليل الثامن : الذي يثبت أن الرسول ﷺ قد اتخذ علياً ولياً لعهد وخليفة من بعده :
— جواز التأدية :

١ - قال ﷺ لعلي : ادرك أبا بكر فحيثما لقيته فخذ منه الكتاب فاذهب به أنت إلى أهل مكة فاقرأه عليهم . فلحقه بالجحفة ، فأخذ الكتاب منه . ولما رجع أبو بكر إلى النبي قال يا رسول الله : نزل في شيء؟ ، فقال ﷺ : لا ، ولكن جبريل جاءني فقال : « لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك » . والكتاب يتضمن عشر آيات من سورة براءة ، ولقد كان هذا في حجة الوداع وعلي رؤوس الأشهاد^(٤) . وواضح أنه لا يؤدي عن الرسول ولا يقوم مقامه أحد أبداً إلا علي .

٢ - قال ﷺ : « علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي^(٥) . قال ذلك يوم عرفة .

الدليل التاسع : الذي يثبت أن الرسول ﷺ قد سمى علياً ولياً لعهد وخليفة من بعده :

آخى الرسول بين المهاجرين ، وبين المهاجرين والأنصار ، وقال في كل واحد منها لعلي : أنت أخي في الدنيا والآخرة . وآخى الرسول بينه وبين علي في

(١) راجع سند الامام أحمد ص ٣٦٩ ج ٤ واخرجه الضياء المقدسي والطبراني ومنتخب الكنز ص ٣٩ ج ٥ من مسند الامام احمد .

(٢) اخرجه الطبراني ، كما ذكره صاحب منتخب الكنز ص ٢٩ ج ٥ من مسند الامام احمد .

(٣) راجع الصواعق المحرقة ص ١٠٦ لابن حجر الهيثمي المقصد الخامس من مقاصد الآية ١٤ .

(٤) و٥) اخرجه بن ماجه في باب فضائل الصحابة ج ١ ص ٩٢ من سننه واخرجه الترمذي والنسائي في صحيحهما وهو الحديث ٢٥٣١ من احاديث الكنز ص ١٥٣ ج ٦ ، واخرجه الامام احمد في

ص ١٦٤ ج ٤ من مسنده وراجع ص ١٥١ ج ١ من مسند ، الامام احمد .

الحالتين^(١). وقال ﷺ: أن هذا أخي...^(٢)، وحديث المنزلة ليس إلا تنويجاً لهذه الإخوة^(٣). وقول علي: والله إني لأخوه^(٤). وقول الرسول لبني عبدالمطلب: أن هذا أخي...^(٥). وقوله ﷺ لعلي: أنت أخي ورفيقي في قصري...^(٦). وأن علياً مني بمنزلة هارون من موسى وهو أخي...^(٧). وقول الله عز وجل في الحديث القدسي (... أخيت بين علي بن أبي طالب وبين محمد...) ^(٨). وعندما حضرته الوفاة، قال ﷺ: ادعوا لي أخي علياً...^(٩). وقال ﷺ: ... لا يسكنه إلا أنا وأخي علي...^(١٠).

الدليل العاشر: الذي يثبت أن رسول الله ﷺ سمي علياً ولياً لعهدده وخليفة من بعده: — إعلان مكانته وأهليته:

فقد أعلن أنه الخليفة، وأنه الولي، وأنه الأخ، وأنه الوصي، وأن منزلته منه تماماً كمنزلة هارون من موسى، وأنه الوحيد الذي يمكن أن يقوم مقامه ولا يقوم مقامه غيره. وأعلن مكانته عند الله يوم القيامة، وأعلن الرسول ﷺ انما هو عبد مأمور فاتبع بنصوص صريحة قاطعة لا مجال فيها للمجادلة ولا للمحاكمة. فارجع إليها وتمعن بها، وبهذه النصوص يكشف الرسول ﷺ عن بعض الجوانب في علي:

- (١) راجع ص ٢٦ ج ٢ من السيرة الجلية وقد أخرجه الامام أحمد في كتاب مناقب علي وابن عساكر في تاريخه والبغوي والطبراني في مجموعيهما والبارودي في المعرفة وراجع ص ٤٠ ج ٢ من كنز العمال والحديث ٩١٨ ص ٣٩٠ ج ٦ والحديث ٥٩٧٢ ص ٤١ ج ٥ والحديث ٩١٩.
- (٢) راجع عشرات المراجع التي اوردناها في الدليل الأول رقم ١.
- (٣) راجع عشرات المراجع التي اوردناها في الدليل الثالث رقم ١.
- (٤) راجع ص ١٢٦ ج ٣ من المستدرك للحاكم وراجع تلخيص المستدرك.
- (٥) راجع الحديث ٦١٥٥ ص ٤٠٨ ج ٦ وراجع ١٨ من الخصائص العلوية للنسائي و ص ٢٥٥ مجلد ٣ من الشرح الحديدي و ص ١٥٩ ج ١ من مسند الامام أحمد على سبيل المثال فقط.
- (٦) راجع ص ٣١ و ٣٢ ج ٥ من مسند الامام أحمد.
- (٧) راجع ينابيع المودة لأخطب خوازم باب ١٧ وراجع ص ١٦١-١٧٥ من المراجعات.
- (٨) أخرجه بن سعد ج ٢ ص ٥١ وراجع ص ٥٥ ج ٤ من كنز العمال.
- (٩) أخرجه بن المغازلي في كتابه المناقب ونقله المتبع البلخي في باب ١٧ من ينابيعه وراجع ص ١٨١ من المراجعات.

- ١ - قال ﷺ : يا علي ، اخصمك بالنبوة فلا نبوة بعدي وتخصم الناس بسبع أنت أولهم إيماناً بالله ، وأوفاهم بعهد الله ، وأقومهم بأمر الله ، وأقسمهم بالسوية ، وأعدلهم بالرعية ، وأعظمهم مزية^(١) .
- ٢ - وقال ﷺ وهو أخذ بضبع علي : هذا إمام البررة ، قاتل الفجرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله^(٢) .
- ٣ - قال ﷺ : أوصى الله إليّ في علي ثلاثة : أنه سيد المسلمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين^(٣) .
- ٤ - وقال ﷺ لعلي : مرحباً بسيد المسلمين وإمام المتقين^(٤) .
- ٥ - وقال ﷺ أيضاً : إن الله عهد إليّ في علي : أنه راية الهدى ، وإمام أوليائي ، ونور من أطاعني ، وهو الكلمة التي ألزمها المتقين^(٥) .
- ٦ - وقال ﷺ : أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي^(٦) . وأنظر إلى قوله تعالى لنبيه : ﴿... الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة﴾ . ولاحظ قول رسول الله ﷺ : أنت تبين لأمتي .
- ٧ - قال ﷺ : من أراد أن ينظر إلى نوح في عزمه وإلى آدم في علمه وإلى إبراهيم في حلمه وإلى موسى في فطنته وإلى عيسى في زهده فليتنظر إلى علي بن أبي طالب^(٧) .

-
- (١) أخرجه أبونعيم في حلية الاولياء وراجع ص ١٥٦ ج ٦ من الكنز وص ١٩٩-٢١٣ .
 - (٢) راجع ص ١٢٩ ج ٣ من المستدرك للحاكم وقال انه حديث صحيح وراجع ص ١٥٣ ج ٦ من الكنز وراجع تفسير الثعلبي لآية الولاية .
 - (٣) راجع ص ١٣٨ ج ٣ من المستدرك للحاكم وأخرجه البارودي والبيزار وص ١٥٧ ج ٦ من كنز العمال .
 - (٤) أخرجه أبونعيم في حليته وراجع ص ٤٥٠ ج ٢ من الشرح وراجع ص ١٥٧ ج ٦ من كنز العمال .
 - (٥) أخرجه أبونعيم ونقله علامة المعتزلة بن أبي الحديد في ص ٤٤٩ مجلد ٢ من الشرح .
 - (٦) أخرجه الحاكم ص ١٢٢ ج ٣ من المستدرك وأخرجه الديلمي وصاحب الكنز ص ١٥٦ ج ٦ وهو حديث صحيح على شرط الشيخين .
 - (٧) أخرجه البيهقي في سننه والامام أحمد في مسنده ونقله عنهما بن أبي الحديد ص ٤٤٩ مجلد ٢ وأورده الرازي في تفسير آية المباهلة ص ٢٨٨ ج ٢ ومن اعترف ان علياً جامع اسرار الانبياء اجمعين شيخ الوفاء محي الدين بن العربي فيما نقله عنه العارف الشمراني في البحث ٣٢ من كتاب البواقيت والجواهر ص ١٧٢ .

- ٨ - قال ﷺ: كفي وكف علي في العدل سواء^(١).
- ٩ - قال ﷺ: سبق ثلاثة، السابق إلى موسى يوشع بن نون، والسابق إلى عيسى صاحب ياسين، والسابق إلى محمد علي بن أبي طالب^(٢).
- ١٠ - قال ﷺ: الصديقون ثلاثة، حبيب النجار مؤمن آل ياسين قال يا قوم اتبعوا المرسلين، وحزقيل مؤمن آل فرعون قال اتقتلون رجلاً يقول ربي الله؟!، وعلي بن أبي طالب، وعلي أفضلهم^(٣).
- قال ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب»^(٤). وقال ﷺ أيضاً: «علي باب علمي ومبين من بعدي لأمتي وما أرسلت به حبه إيمان وبغضه نفاق»^(٥).
- قال الإمام أحمد: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله من الفضائل ما جاء لعلي^(٦). وقال ابن عباس: ما نزل في أحد من كتاب الله ما نزل في علي^(٧). وقال مرة أخرى: نزل في علي ثلاثمائة آية من كتاب الله^(٨). وقال مرة ثالثة: ما أنزل الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا...﴾ إلا وعلي أميرها وشريفها^(٩).
- وأن علياً كان كثير الأعداء، ففتش أعداؤه عن شيء من عيوبه فلم يجدوه^(١٠).

-
- (١) راجع الحديث ٢٥٣٩ ص ١٥٣ ج ٦ من احاديث الكنز.
- (٢) اخرجه الطبراني وابن مردويه عن عباس واخرجه الديلمي عن عائشة راجع ص ٢٠٨ من المراجعات.
- (٣) اخرجه أبو نعيم وابن عساكر وابن النجار راجع الحديث ٣٠ و ٣١ من فصل ٢ باب ٩ من الصواعق لابن حجر ص ٧٤ وما فوق.
- (٤) اخرجه الطبراني في الكبير كما في صفحة ١٠٧ من الجامع الصغير للسيوطي واخرجه الحاكم في المناقب ص ٢٢٦ ج ٣ من المستدرک بسندين صحيحين واقام الأدلة القاطعة على صحته، وافرد الامام احمد بن محمد الصديق المغربي كتاباً لهذا الحديث سماه (فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي).
- (٥) اخرجه الديلمي من حديث أبي ذر راجع ص ١٥٦ ج ٦ من كنز.
- (٦) اخرجه الحاكم ص ١٠٧ من صحيحه ولم يتعقبه الذهبي.
- (٧) اخرجه عساكر راجع ص ٧٦ من الصواعق.
- (٨) من حديث اخرجه بن عساكر راجع ص ٧٦ من الصواعق.
- (٩) نقله عن ابن عباس أهل الاخبار واصحاب السنن راجع ص ٧٩ من الصواعق.
- (١٠) اخرجه الطبراني في الاوسط والصغير راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٨٣.

وقال ﷺ: «علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا على الحوض»^(١).
كان أبو بكر يقول الشعر، وكان عمر يقول الشعر وكان عثمان يقول الشعر وكان
علي أشعر الثلاثة .

قال علي بن أبي طالب: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيمن نزلت وأين نزلت
وعلى من نزلت، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً، ولساناً صادقاً ناطقاً^(٢).

وكان علي يقول: سلوني عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليلٍ
نزلت أم بنهار، وفي سهلٍ أم في جبل^(٣).

وقال علي يوماً: لقد علمتم موضعي من رسول الله، وقرابتي القرية منه،
وضعتني في حجره وأنا وليد يضمني إلى صدره، ويكتنفي فراشه، ويمسني جسده،
ويشمني عرقه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيهِ وما وجد لي كذبة في قول، أو خطلة
بفعل، وكنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي كل يوم من أخلاقه، ويأمرني
بالاقتداء به، وكنت في حراء فأراه، ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في
الإسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح
النبوة^(٤).

الدليل الحادي عشر:

قال ﷺ: يا علي، إن الأمة ستغدر بك بعدي، وأنت تعيش على ملتي، وتقتل
على سنتي، من أحبك أحبني ومن أبغضك أبغضني، وأن هذه ستخضب من هذا
- يعني أن لحيته ستخضب من رأسه^(٥) - .

قال ﷺ: إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله .
فاستشرف لها القوم، قال أبو بكر: أنا هو، قال لا . قال عمر: أنا هو، قال لا ولكن

(١) راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي .

(٢) راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٨٥ .

(٣) أخرجه بن سعد وغيره راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٨٥ .

(٤) راجع التصوف والتشيع لهاشم معروف الحسني .

(٥) أخرجه الحاكم في ص ١٤٧ ج ٣ من المستدرک وأورده الذهبي في تلخيصه معترفاً بصحته .

خاصف النعل، يعني علياً. قال أبو سعيد الخدري فبشرناه فلم يرفع رأسه كأنه قد سمعه^(١).

وقال ﷺ لعلي: ستقاتل الفئة الباغية وأنت على الحق، فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني^(٢).

الدليل الثاني عشر:

— النصوص المؤيدة:

قال ﷺ: يا أم سلمة، إن علياً لحمه من لحمي ودمه من دمي وهو مني بمنزلة هارون من موسى^(٣). وقال ﷺ: يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى^(٤). وقال ﷺ أيضاً: يا علي، أنت أول المؤمنين إيماناً وأولهم إسلاماً وأنت مني بمنزلة هارون من موسى^(٥).

وقال ﷺ أيضاً: والذي بعثني بالحق ما أخرجت إلا لنفسي، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي، وأنت أخي ووارثي. فقال علي: وما أرت فيك؟ قال ما ورث الأنبياء من قبلي كتاب الله وسنة نبيهم، وأنت معي في قصري مع فاطمة ابنتي، وأنت أخي ورفيقي، ثم تلا قوله تعالى: ﴿إخواناً على سرر متقابلين﴾^(٦).

(١) أخرجه الحاكم في ص ٢٢ ج ٢ من المستدرک وقال انه حديث صحيح على شرط الشيخين واعترف الذهبي بصحته أيضاً على شرط الشيخين وأخرجه الامام أحمد في ص ٨٢ و ٣٣ ج ٣ من مسنده، وأخرجه البيهقي في شعب الايمان وسعيد بن منصور في سننه وأبونعيم في حليته وأبويعلي في السنن وراجع الحديث ٢٥٨٥ ص ١٥٥ ج ٦ من الكنز.

(٢) أخرجه الحاكم من طريقين ص ١٣٩ ج ٣ من المستدرک.

(٣) راجع ص ١٥٥ ج ٦ من كنز العمال وراجع المراجع الموجودة في رقم ٢ من نفس الدليل ١١.

(٤) راجع الحديث ٢٥٥٤ ص ١٥٤ ج ٦ من الكنز وراجع ص ٣١ ج ٥ الهامش من مسند الامام.

(٥) أخرجه النسائي ص ١٩ من الخصائص العلوية.

(٦) أخرجه الحسن بن بدر والحاكم في الكني والشيرازي في الالغاب وابن النجار وراجع الحديث ٦٠٢٩

و ٦٠٣٢ ج ٦ ص ٣٩٥ من الكنز.

(٧) راجع ص ٣١ و ٣٢ ج ٥ من مسند الامام أحمد.

قال ﷺ: من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن عصى علياً فقد آذاني^(١). قال ﷺ: من أحب علياً فقد أحبني، ومن أبغض علياً فقد أبغضني^(٢).

قال ﷺ: يا علي، أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة، حبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله، وعدوك عدوي وعدوي عدو الله، والويل لمن أبغضك بعدي^(٣).

قال ﷺ: يا علي، طوبى لمن أحبك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك^(٤).

قال ﷺ: من أراد أن يحيا حياتي ويموت ميتتي، ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي فليتولَّ علياً بن أبي طالب، فإنه لن يخرجكم من هدى، ولن يدخلكم في ضلالة^(٥).

قال ﷺ: أوصي من آمن بي وصدقني بولاية علي بن أبي طالب، فمن تولاه فقد تولاني، ومن تولاني فقد تولى الله، ومن أحبه أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغضه أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله^(٦).

قال ﷺ: من سره أن يحيا حياتي أو يموت مماتي ويسكن جنة عدن غرسها ربي فليتولَّ علياً من بعدي وليوالي وليه وليقتدي بأهل بيتي^(٧).

قال ﷺ: يا عمار، إذا رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره فأسلك مع علي ودع الناس فإنه لن يدلك على ردى ولن يخرجك من هدى^(٨).

(١) راجع ص ٢١ ج ٣ من المستدرك للحاكم وراجع تلخيص الذهبي بنفس الصفحة.

(٢) أخرجه الحاكم ص ١٢٤ ج ٣ من المستدرك وصححه على طريق الشيخين.

(٣) أخرجه الحاكم ص ١٣٠ ج ٣ من المستدرك وراجع ص ٢٠٤ من المراجعات للامام شرف الدين العاملي.

(٤) راجع ص ١٢٨ ج ٣ من المستدرك للحاكم.

(٥) راجع ص ١٣٥ ج ٣ من المستدرك للحاكم.

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير وهو الحديث ٢٥٧١ ص ١٥٤ ج ٣ من الكنز وأخرجه بن عساكر.

(٨) راجع الحديث ٢٥٧٦ ص ١٥٥ ج ٦ من الكنز وأخرجه الطبراني في الكبير وراجع منتخب الكنز.

(٩) أخرجه الطبراني في الكبير وهو الحديث ٢٥٧١ ص ١٥٤ ج ٣ من الكنز وأخرجه بن عساكر.

(١٠) راجع ص ١٥٦ ج ٦ من الكنز.

الخلاصة:

تلك النصوص الواردة في الأدلة الاثني عشر تثبت موقعه القيادي أثناء حياة الرسول ﷺ .

الدليل الثالث عشر:

— جهاده المميز في سبيل الله :

كلم علي طلحة والزبير قبل وقعة الجمل ليقم عليهم الحجة البالغة فقال لهما: استحلفا عائشة بحق الله وبحق رسوله على أربع خصال أن تصدق فيها: هل تعلم رجلاً من قريش أولى مني برسول الله، وإسلامي قبل كافة الناس أجمعين، وكفايتي رسول الله كفار العرب بسيفي ورمحي . . . (١).

أول لواء عقد في الإسلام كان لحمزة بن عبدالمطلب، وفي كل معارك الإسلام في زمن النبي ﷺ كان اللواء إما بيد علي أو بيد حمزة (٢).

قال الرسول ﷺ: غداً سأعطي الراية لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه، فلما أصبح الناس غدواً كلهم على رسول الله كل يرجو أن يُعطاهَا، فقال الرسول ﷺ: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل هو يشتكي من عينيه ودعا له الرسول فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية (٣).

وتناول علي باباً عند حصن خيبر فترس به عن نفسه، فلم يزل في يديه وهو يقاتل حتى فتح الله خيبر ثم ألقاه، وعجز ثمانية نفر عن قلب ذلك الباب (٤).

في أول معركة كانت بين الكفر والإيمان، من الذي تصدى لعبة وشيبة والوليد بن عتبة سادات بني أمية وقتلهم؟. هنالك اجماع على أنهم: علي والحمزة وعبيد الله بن الحارث، وكلهم من العترة الطاهرة، ومقتل هؤلاء الأمويين أجاج نار الحقد والكراهية على علي.

(١) راجع الامام والسياسة ص ٧٠-٧٢ لابن قتيبة.

(٢) راجع الطبقات لابن سعد ج ٢ ص ٨ و ٩ و ٢٩ و ٣١ و ٤٩ و ٥٨ و ٥٩ و ٧٤ و ١٠٦ و ١٥٠.

(٣) راجع مسلم وبخاري والطبراني واكثر المؤرخين واصحاب السنن.

(٤) رواه مسلم وبخاري راجع ص ١٦٧ من تاريخ الخلفاء للسيوطي.

في غزوة الخندق، من أجاب عمرو بن ود وهو يقول: ولقد بحثت من النداء لجمعهم هل من مبارز؟، لم يجبه غير علي^(١).

من قتل العاص بن سعد بن العاص، وحظلة بن أبي سفيان والحارث بن عامر بن نوفل والعاص بن هشام بن المغيرة ونخال أمير المؤمنين عمر، من قتلهم غير علي؟^(٢).

سل بدران، وأحد وخيبر وحنين، سل كل المواقع، متى هرب علي أوتقاعس رجل واحد من العترة الطاهرة عن نصرة الإسلام؟، من يدعي بأنه بزهم، من يدعي بأنه قدم أو ضحى أكثر منهم.

(إلهم الغرم وللناس الغنم)، ما لكم كيف تحكمون؟!.

— الخلاصة من الأدلة :

تلك السنن أعطت علياً من المنازل ما لا يجوز على الله تعالى وأنبياؤه إعطاؤها إلا لخلفائهم وأمنائهم على الدين وأهله، فإذا لم تكن دالة على الخلافة بالمطابقة، فهي كاشفة عنها البتة ودالة عليها لا محالة بالدلالة الإلزامية واللزوم فيها بين بالمعنى الأخص.

وحاشا لسيد الأنبياء أن يعطي تلك المنازل إلا لوصيه من بعده وولي في عهده.

ومن سبر غور السنن المختصة بعلي وعجم عودها بروية وانصاف وجدها بأسرها ترمي إلى إمامته وتدل عليها إما بدلالة المطابقة كالنصوص السابقة وكعهده الغدير، وإما بدلالة الالتزام كباقي السنن. أنظر إلى قوله ﷺ: «علي مع القرآن، والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا على الحوض»^(٣).

ولاحظ قوله ﷺ: «علي مني بمنزلة راسي من بدني»^(٤).

(١) راجع ج٢ ص ٦٨ من الطبقات لابن سعد.

(٢) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ١٧-١٨.

(٣) راجع المراجعات للإمام العاملي ص ٢١٣ وراجع ص ١٢٤ ج٣ من المستدرک للحاكم وقد أخرجه الذهبي في تلخيصه وصرحاً بصحته.

(٤) أخره الخطيب ونقله عنه بن حجر في صواعقه ص ٧٥.

استدكار للجهات التي تعين رئيس الدولة في النظام السياسي الإسلامي :

تشارك في تعيين الإمام أو الخليفة أو الولي أو رئيس الدولة في النظام السياسي الإسلامي جهتان :

- **الجهة الأولى :** الشرع . فالله سبحانه وتعالى هو الذي اختار محمداً ﷺ نبياً ووجهه وتكونت عناصر الدولة فسماه إماماً وولياً فبايعه الذين آمنوا به إماماً للدولة . وقبل أن يموت رسول الله ﷺ سمي خليفته بناء على أمر به كما أثبتنا ذلك بالأدلة القاطعة التي سقناها في معرض بحثنا عن موقف الشرع من تسمية الإمام الجديد أو ولي العهد .

- **الجهة الثانية :** فإذا اختارت الأمة طريق السعادة تقرر اختيار الله ورسوله وتقوم بمبايعة ولي العهد .

يتقدم أهل الشورى فيبايعون ولي العهد بيعة خاصة . ثم يتبعهم العامة ويبايعون ولي العهد بيعة عامة . فإذا فعلت الأمة ذلك فقد تحول ولي العهد إلى إمام وتمكن من رئاسة الدولة ومن ممارسة مهام تلك الرئاسة .

وإن لم تبايعه الأمة ، يتعذر عليه أن يصبح رئيساً للدولة وأن يمارس مهام رئاسة الدولة . ولكن عدم تمكنه من ممارسة مهام رئاسة الدولة لأن الأمة لم تبايعه ولم تطعه ، لا ينفي عنه حقيقة أن الله أو رسوله أو الشرع قد اختاره إماماً .

فعندما اختار الشرع علياً بناء على أوامر الله وسماه خليفة لرسول الله ﷺ وولياً لعهد ، ولأن الأمة لم تبايعه نتيجة مقادير بل بايعة سواه ، فقد أصبح الخليفة أو الإمام أو الحاكم الفعلي شخص آخر وليس علي ، لأن الأمة لم تبايع علياً

ولكن هذا لا ينفي عن علي حقيقة أن الرسول ﷺ سماه إماماً وولياً لعهد ، وخليفته من بعده ، ولكن لا سلطة فعلية له على الأمة إلا السلطة الدينية في نظر الشرع .

— كيف تمارس الأمة حقها بالمساهمة بتعيين الإمام :

تمارس الأمة حقها بالمساهمة بتعيين الإمام بواسطة البيعة . فإذا بايعت الأمة الإمام يصبح إماماً ويتمكن من القيام بمهام رئيس الدولة بناء على تسمية الشرع من جهة وبناء على البيعة من جهة أخرى .

وإن لم تبايعه الأمة ، يبقى إماماً مسمى ولكن لا سلطة له على الأمة إلا السلطة الدينية في نظر الشريعة ونظر الشيعة . لأن السلطة الفعلية عملياً بيد سواه .

وبدوا أنه بهذه النقطة تتفق الفرقتان ، أهل السنة وأهل الشيعة وهي أن : الإمام لا يصبح إماماً فعلياً إلا إذا بايعته الأمة . وبتعبير أدق الخليفة لا يصبح خليفة إلا إذا بايعته الأمة .

البيعة

— معنى البيعة لغة :

المعاهدة ، والمعاقدة ، والإتفاق ، وهي عقد حقيقي لأنها تكون بين جانبين . وهي مأخوذة : بايعه أي عاهده^(١) .

— معنى البيعة اصطلاحاً :

وتعني اصطلاحاً أيضاً الإتفاق والمعاهدة والمعاقدة وهي عقد . وقد أمر الله بالسوفاء بالعقود في محكم التنزيل ، قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ، فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَنُفِثَ شَجَرَةً فَعْلَمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾^(٢) .

(١) راجع لسان العرب لابن منظور مادة بايع .

(٢) سورة الفتح آية رقم ١٠ .

(٣) آية ١٨ من سورة الفتح .

وهناك إجماع بأن سبب نزول هاتين الآيتين كان في صلح الحديبية خلال فترة مفاوضاته مع قريش، وعندما أصرت على منع الرسول وأصحابه من دخول مكة، وأشيع بأن قريشاً قتلت رسوله فأخذ البيعة من أصحابه الموجودين على مناجزة قريش الحرب وعلى أن لا يفروا ولا يولوا الأدبار... (١).

ونلاحظ أن البيعة وردت في هاتين الآيتين بمعنى اصطلاحي محدد وينطبق تماماً على المعنى اللغوي وهو اتفاق بين الرسول من جهة، وبين أصحابه الذين حضروا هذا الاتفاق من جهة ثانية على نقاط محددة، قال الرسول أنها ترضي الله وأنه يتعاقد معهم نيابة عن الله.

أي أن الرسول ﷺ طرف حقيقي، وأن الذين بايعوه طرف آخر، وأن مضمون العقد منسجم مع الشرع وفي خدمته.

فالمبايعة إذن، عبارة عن طرفين، وهما بهذه الحالة:

١ - الله عز وجل ورسوله الكريم من جهة، والصحابة الذين بايعوا من جهة أخرى.

٢ - على مضمون أو موضوع، وهو: الطاعة للقيادة وهو الرسول ﷺ، وعلى الحرب وعلى عدم الفرار من الحرب.

٣ - على نظام أساسي نظم هذا الاتفاق وهو الإسلام كله، وهو المرجع في حل كل خلاف ينشأ بين المتعاقدين. وهو عقد ضمن دائرة الإسلام التي تنظم كل عهوده وعقوده.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبَهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ﴾ (٢).

وفي هذه الآية أيضاً نواجه نفس المواقف ونفس التحليل يفرض فرضاً طبيعياً علينا.

(١) راجع محاسن التأويل للقاسمي ج ١٥ ص ٥٤٠١ و ص ٥٤١٦ وما بعدها كما نقل ذلك طاهر القاسمي في كتابه نظام الحكم ص ٢٥١-٢٥٢.

(٢) سورة الممتحنة الآية ١٢.

— البيان :

ولأن مهمة الرسول الأولى أن يبين للناس ما نزل إليهم من ربهم، فإن علينا أن نتبع أقوال الرسول وأفعاله وتقاريره لنفهم المعنى الإصطلاحي لكلمة البيعة.

(أ) في بيعة العقبة الأولى :

بايعهم الرسول ﷺ كمبايعة النساء، على أن لا يشركوا بالله شيئاً ولا يسرقوا، ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم، وأن يطيعوا الرسول، وأن لا يأتوا ببهتان يفترونه. ومقابل ذلك: إن وفوا، فلهم الجنة. وإن غشوا من ذلك شيئاً، فأمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم.

كأن المبايعة هنا تذكيرة دخول في المجتمع المسلم، والالتزام بقوانينه ومبادئه، وإطاعة قيادته المتمثلة برسول الله ﷺ ومن يعينهم الرسول بمساعدته.

(ب) في بيعة العقبة الثانية :

بايعهم الرسول ﷺ أن يمنعه كما يمنعون نساءهم وأولادهم، أي أن يحرصوا على قيادته وهو الرسول ومساعدته تماماً كما يحرصون على نساءهم وأولادهم^(١). وهذا العقد جزء من النظام الأساسي للعقد أو الشروط العامة وهو الإسلام.

— ونسجل على ذلك ثلاثة اشارات :

- ١ - إن كل مبايع التزم بالشرعية كقانون للمجتمع المسلم.
 - ٢ - إن كل مبايع أقر بقيادة الرسول ﷺ للمجتمع الجديد والتزم بطاعته.
 - ٣ - كل مبايع التزم بالتصورات الشرعية لمستقبل المجتمع المسلم، حتى أن أحدهم قال: إنكم تباعون على حرب الأسود والأحمر من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا أنهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلاً أسلمتموه، فهو والله إن فعلتم خزي في الدنيا والآخرة.
- فأجاباه المبايعون أننا نأخذ النبي على مصيبة الأموال وقتل الأشراف.
- وبالمقابل، قال لهم النبي ﷺ: إن وفيتم فلکم الجنة.

(١) راجع سيرة بن هشام ج ١ ص ٤٣٢-٤٣٣ و ٤٤٦.

ويلاحظ أن مصيبة الأموال وقتل الأشراف لم تكن من مضمون البيعة أو موضوعها، لكنها فهمت من إطار الإسلام كنظام يجري هذا العقد ضمن إطاره.

— شكل البيعة:

قال المبايعون لرسول الله ﷺ: أبسط يدك نبايعك، فبسط يده فبايعه كل واحد منهم على هذا الأساس، ويتمام المصافحة يتم عقد البيعة، وهذا هو شكل البيعة المحمدية.

فقال أحد المبايعين بعد تمام المصافحة، وهو العباس بن عباد: إن شئت لنميلن عليهم بأسيا فانا. فقال الرسول ﷺ: لم نؤمر بذلك، ولكن إرجعوا إلى رحالكم.

— مضمون البيعة:

١ - يعني مضمون البيعة كأساس اطاعة الرسول كقيادة أو اطاعة الإمام أو خليفة الرسول كقيادة أيضاً. والرسول أو الخليفة الشرعي يتعامل مع المبايعين نيابة عن الله والذين بايعوه في الحقيقة قد بايعوا الله.

٢ - الإلتزام بالشرعية الإسلامية كإطار عام للبيعة، والإلتزام بنصوصها ومقاصدها وقول الرسول ﷺ جزء من الشريعة.

٣ - الإلتزام بمناسبة البيعة أو الدافع لها، ففي صلح الحديبية كان الدافع للبيعة تشديد العزم وتوطيده لمناجزة قريش الحرب وعدم الفرار من هذه الحرب. وقد تكون البيعة على الإسلام، وبايع الرسول أناساً على الإيمان، وبايعهم على الشهادة، وعلى الطاعة، والتوحيد، وعلى اجتناب الكبائر، وعلى الهجرة، والموت، والصبر، وبايعهم صلى الله عليه وآله وسلم على فرائض الإسلام^(١).

— البيعة السياسية:

كل الذين أسلموا بايعوا الرسول وارتضوا برئاسته لهم وولايته عليهم ضمناً وصراحة وبإمامته ورئاسته للدولة ضمناً وصراحة أيضاً.

(١) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ / للقاسمي ص ٢٥٦-٢٥٨.

كل الذين أسلموا بايعوا رسول الله على الإلتزام بشرع الله ، وهي عبارة تعني الإسلام كله ، قرآنه ونبيه . وأهم بند في المبايعة ، هي طاعة الرسول ﷺ كقيادة وكناطق باسم الشريعة ومفسر لها .

وعليه ، فإن الذين يبايعون الخليفة من بعد الرسول يبايعون كإمام وخليفة للرسول ، ويتعاهد وإياهم على تطبيق الشريعة والسير على طريق الرسول ﷺ .

— أهمية البيعة السياسية :

من الناحية الشرعية ، لا يصبح الإمام رئيساً للدولة إلا إذا بايعته الأمة . فمبايعة الأمة له ، يعني اقرارها له بالطاعة ، والتزامها بقيادته ضمن الشرع ، ويعني أن الخليفة ملتزم معها بالشرع أيضاً .

ومن لا تبايعه الأمة ، لا يصبح رئيساً لها ، حتى وإن كان مسمى بالشرع ، فطاعة الرسول المعبر عنها بالبيعة ركن أساسي وفعلي لممارسة الإمام لمهام الرئاسة للدولة . وهذا هو السربحرص كل الذين حكموا طوال التاريخ الإسلامي على أن يحصلوا على بيعة الأمة ولو بالإكراه .

— رضائية البيعة :

عهد الرسول ﷺ تشريع ، لأنه سنة عملية وسوابق دستورية ، ولم يرو أي محدث أو مؤرخ أو باحث ولم يذكر قط أن الرسول ﷺ قد أكره مخلوقاً على البيعة أبداً ، مع أنه كان إمام المسلمين وسيدهم ، والإمام معناه رئيس الدولة ، ومع أن دولته كانت تضم :

١ - المهاجرين معه وإليه .

٢ - الأنصار .

٣ - اليهود .

٤ - المشركين .

فمثلاً ، المسلم سواء كان من الأنصار أو المهاجرين يجب أن يطيع الرسول ﷺ ، وكلهم أسلموا باختيارهم وبايعوا برضاهم . والمسلم من الأنصار والمهاجرين ،

بايع مختاراً وهاجر مختاراً وبرضاه أو آوى مختاراً وبرضاه وسلموا برضاهم واختيارهم قيادتهم للرسول ﷺ والتزموا بشريعة الدولة وما أجبروا على الإسلام.

المنافق: فعل ما فعله المسلمون من حيث الظاهر بغير إكراه، هكذا إدعى لم يتدخل الرسول في نواياه وترك ضميره لله تعالى.

اليهودي: يلتزم بالقوانين المرعية بناء على اتفاقه ورضاه، لكن الرسول ﷺ لم يجبر أي مخلوق يعيش في الدولة الإسلامية على البيعة، مما يؤكد أن البيعة في الإسلام بيعة رضائية تماماً، ولا مجال للإكراه فيها، وهي عقد ككل العقود، والعقود رضائية.

وإذا أُستعمل الإكراه في زمن أبي بكر أو عمر أو عثمان، وزمن الأمويين والعباسيين، فلا علاقة للإسلام كنظام بهذا الإكراه ولا يقره. والإكراه، علاقة بين المُكْرَه والمُكْرِه، والإسلام بريء منه.

أهل يثرب أتوا الرسول وبايعوه في العقبة الأولى بالرضا، ونشروا دينه بالرضا، وأهل يثرب أتوه في العقبة الثانية بالرضا، وبايعوه بالرضا، وطلبوا منه أن يهاجر إليهم بالرضا، واستعدوا لمصيبة الأموال وقتل الأشراف بالرضا، وقبلوا أن يحاربوا الأحمر والأسود بالرضا، ورضوه إماماً للدولة بالرضا أيضاً.

والمهاجرون، بايعوه ودخلوا في دينه بالرضا، وانتقلوا إلى مجتمعه وسلموه ولايتهم بالرضا، وحاربوا معه بالرضا. حتى أن أهل يثرب (المسلم والمنافق واليهودي والمشرِك) استقبلوا محمداً ﷺ بالرضا، حتى أن عبد الله بن أبي دُعاه ليكون في ضيافته، وهو المنافق الشهير، ومع هذا برضاه. وعقد الجميع اتفاقية اعترفوا فيها برئاسته للدولة، واختصاصه بفصل الخصومات بالرضا^(١).

وأبني علي أن يبايع إلا في المسجد، وعن رضا المسلمين. كما سأوثق

ذلك^(٢).

(١) راجع سيرة بن هشام ج ١ ص ٥٠١ وراجع مجموعة الوثائق السياسية محمد حميد الله ص ١٥ وما بعد وراجع فقه السنة سيد سابق آخر الجزء الثاني، وراجع نظام الحكم للقاسمي وراجع الرسول العربي وفن الحرب عند العرب لمصطفى طلاس.

(٢) راجع نظام الحكم للقاسمي ص ٢٤٢ وراجع ص ٤٢٧ و ٤٢٩ و ٤٣٢ ج ٤ من تاريخ الطبري كما نقلها صاحب نظام الحكم.

— مكان البيعة :

البيعة السياسية، بيعة الناس للإمام الجديد، ومكانها المسجد . لأن الشرع عين علياً مبيناً للأمة بعد الرسول . وقد أتى الناس علياً وقالوا له : أنت أحقُّ بهذا الأمر، وحاولوا بيعته في بيته، لكنه رفض .

وأمام اصرار الناس، قال الإمام : فإن بيعتي لا تكون خفية، ولا تكون إلا عن رضا المسلمين، ويجب أن تكون في المسجد .

قال عبد الله بن عباس : فكرهت أن يأتي المسجد مخافة أن يشغب عليه الناس، وأبى هو إلا في المسجد، فدخل المهاجرون والأنصار فبايعوه، ومن ثم بايعه الناس .

ففي المسجد، تكون عن رضا المسلمين، ولم تتكرر هذه الطريقة على النحو الذي تمت فيه من الإصرار على الشورى^(١) .

— أنواع بيعة الأمة للإمام :

عرف النظام السياسي الإسلامي مرحلتين أو نوعين من البيعة السياسية :

١ - البيعة الخاصة :

وهي مبايعة الخاصة أو أهل الشورى للإمام، ويتألفون من فئتين من الناس :

أ - القرابة الطاهرة .

ب - أفاضل الصحابة .

٢ - البيعة العامة :

وهي مبايعة عامة الناس للإمام، ويبايعه كل الذين يقولون (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، مباشرة أو بالنيابة .

(١) راجع نظام الحكم للقاسمي ص ٢٤٢ .

البيعة الخاصة

الفصل الخامس

ويمارسها أهل الشورى، وهم:

(أ) أهل البيت، العترة بنو هاشم، بنو عبدالمطلب.

(ب) أفاضل الصحابة: وسنفصل ذلك في حينه.

— ما معنى أهل البيت؟ وما معنى العترة، لغةً؟.

معنى الأهل: من الأهالة، والأهالة لغة الودك، والمستأهل هو الذي يأخذ الأهالة^(١)، والودك دسم اللحم^(٢)، والبيت عيال الرجل^(٣)، والعترة نبت يتداوى به، وعترة الرجل نسله ورهطه الأقربون^(٤)، والعترة والعتيرة بوزن الذبيحة وهي شاة كانوا يذبحونها في رجب لآلهتهم^(٥)، والأهل والأقارب والعشيرة والزوجة وأهل الشيء أصحابه، وأهل الدار سكانها^(٦)، والأهالة الشحم، الزيت، وكل ما يؤتدم به^(٧)، والعترة تعني الأهل.

— معنى أهل البيت اصطلاحاً:

في القرآن الكريم: وردت كلمة (أهل البيت) في القرآن الكريم مرتين:

- ١ - ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت...﴾ عن إبراهيم^(٨).
- ٢ - ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت...﴾ عن محمد^(٩).
- وردت كلمة (البيت) بمعنى المسجد الحرام ١٥ مرة^(١٠)!
- وردت كلمة (أهل) بمعاني مختلفة ٥٤ مرة^(١١)!

(١) مختارات الصحاح للرازي ص ٣١.

(٢) مختارات الصحاح للرازي ص ٧١٥.

(٣) مختارات الصحاح للرازي ص ٧٠.

(٤) مختارات الصحاح للرازي ص ٤١٠.

(٥) سورة هود الآية ٧٣.

(٦) سورة الاحزاب الآية ٣٣.

(٧) راجع الآيات ١٢٥ و ١٢٧ و ١٥١ من سورة البقرة و ٢٥ من الانفال و ٧٣ من هود و ٢٦ و ٢٩ و ٣٣ من سورة

الحج و ٩٦ و ٩٧ من آل عمران و ٢ و ٩٧ من المائدة و ٣٣ من الاحزاب و ٤ من الطور و ٢٧ من سورة

إبراهيم.

(٨) راجع المعجم المفهرس للقرآن الكريم وجرب احصاءها.

— أهل البيت في السنة المطهرة (بيان الرسول ﷺ):

ولفهم معنى أهل البيت، يجب أن نراجع البيان، وهو قوله ﷺ وفعله وتقريره، وستتبع ذلك من خلال عرضنا لما وقع في أيدينا من سنته ﷺ.

١ - قالت أم سلمة: في بيتي نزلت ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً...﴾ وفي البيت فاطمة وعلي وحسن وحسين، فجللهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»^(١).

٢ - قالت أم سلمة: إن النبي كان في بيتها على منامة له عليه كساء خيبري فجاءت فاطمة ببرمة فيها خزيرة، فقال ﷺ ادعي زوجك وابنك حسناً وحسيناً، فدعتهم، فبينما هم يأكلون إذ نزلت على النبي... فأخذ النبي بفضله كسائه فغشاهم إياها ثم أخرج يده من الكساء وألوى بها إلى السماء ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، قالها ثلاث مرات. قالت أم سلمة، فأدخلت رأسي في الستر فقلت يا رسول الله وأنا معكم؟، فقال أنت إلي خير مرتين^(٢).

٣ - وأخرج الإمام أحمد، وأخرجه الطبراني عنها من طريقين نحوه^(٣).

٤ - أخرج بن مردويه والخطيب من حديث أبي سعيد الخدري نحوه^(٤).

٥ - عن عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾، ذكر حديث أم سلمة^(٥).

٦ - عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود، فجاء الحسين والحسن فأدخلهما معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها

(١) راجع فتح الغدير للشوكاني ج٤ ص ٢٧٩ وقد نقله عن الترمذي، وابن جرير، وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي من طرق عدة.

(٢) راجع فتح الغدير من ص ٢٧٩ ج٤ وقد نقله عن ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه.

(٣) راجع فتح الغدير للشوكاني ج٤ ص ٢٧٩ وما فوق لغاية ٢٨٠.

(٤) راجع فتح الغدير للشوكاني ج٤ ص ٢٧٩ وما فوق لغاية ٢٨٠.

(٥) راجع فتح الغدير للشوكاني ج٤ ص ٢٧٩ وما فوق لغاية ٢٨٠ ونقله عن الترمذي وابن جرير والطبراني وابن مردويه.

معه ، ثم جاء علي فأدخله معه ، ثم قال : ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً...﴾^(١).

٧ - وعن واثلة بن الأسقع ، قال : جاء رسول الله ﷺ إلى فاطمة ومعه حسن وحسين وعلي حتى دخل ، فأدنى علياً وفاطمة وأجلسهما بين يديه ، وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه ، ثم لفَّ عليهم ثوبه وأنا مستدبرهم ، ثم تلا هذه الآية : ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً...﴾ ، وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم . قلت يا رسول الله : وأنا من أهلك ، قال ﷺ : وأنت من أهلي^(٢).

٨ - عن أنسٍ أن رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة إذا خرج لصلاة الفجر ، ويقول : «الصلاة يا أهل البيت . . الصلاة» ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾^(٣).

٩ - وأخرج مسلم عن زيد ابن أرقم أن رسول الله ﷺ قال : اذكركم الله في أهل بيتي ، فليل لزيد ومن أهل بيته أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال : لا ، ولكن من حرم الصدقة بعده وهم آل علي ، وآل عقيل ، وآل جعفر^(٤).

١٠ - وقد ذكر ابن كثير في تفسيره لحديث أم سلمة طرقات كثيرة في مسند الإمام أحمد وأضاف جزءاً من خطبة الرسول ﷺ يوم غدير خم . أما بعد : ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وأني تارك فيكم الثقلين ، أحدهما : كتاب الله فيه النور والهدى ، واستمسكوا بكتاب الله . ثم قال : وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي^(٥).

(١) راجع فتح الغدير للشوكاني ج٤ ص ٢٧٩-٢٨٠ ونقله عن ابن شيبة وأحمد ومسلم وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم .

(٢) راجع فتح الغدير للشوكاني ج٤ ص ٢٧٩-٢٨٠ ونقله عن ابن أبي شيبة وأحمد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في سننه . وله طرق عدة في مسند الإمام أحمد .

(٣) راجع فتح الغدير للشوكاني ص ٢٨٠ ج٤ وقد نقله عن ابن أبي شيبة وأحمد والترمذي وحسنه ، وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه .

(٤) راجع فتح الغدير للشوكاني ص ٢٨٠ ج٤ نقله عن مسلم .

(٥) راجع تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٣ ص ٤٨٦ وراجع طرق رواية ابن كثير لحديث أم سلمة ومن روى تلك الأحاديث ج٣ ص ٤٨٣-٤٨٦ .

- الإجتهااد في معرض النص :

يقولون : أن أهل البيت الذين عتتهم آية التطهير، هم :

١ - زوجات الرسول ﷺ ، وهذا قول عكرمة ومعه نفر مثل عطاء الكلبي ومجاهد وقتادة^(١) .

٢ - وروي أيضاً عن الكلبي ومجاهد وقتادة أن أهل البيت في آية التطهير، هم : علي وفاطمة وحسن وحسين خاصة^(٢) . ويدعم أهل الإجتهااد رأيهم القائل بأن هذه الآية خاصة بأزواج الرسول ﷺ حتى أن عكرمة كان يقول : من شاء باهله بأنها نزلت بأزواج الرسول .

٣ - ويجدر بالذكر أن هذه الآية قد نزلت قبل أن يدخل عكرمة في الإسلام ، فمن المعروف أنه طليق رضي الله عنه .

٤ - وهنالك فئة ثالثة ترى أن أهل البيت شاملة للزوجات بسبب سياقها ولعلي وفاطمة والحسن والحسين بسبب النسب^(٣) .

٥ - وهنالك فئة ترى أن أهل البيت هم : بنوهاشم أو بتعبير أدق : بنو عبدالمطلب . واستدلوا بحديث ابن عباس ، ويقول زيد أنهم الذين حرّموا من الصدقة .

٦ - وذكر الزمخشري في كشافه أنه نصب على النداء أو المدح ، مما يوحى بتسليمه ضمناً بأن قرابة الرسول هم أهل البيت^(٤) .

٧ - وذكر الخازن في تفسيره المسمى لباب التأويل موجز ما سبق ذكره^(٥) .

٨ - ومما قاله أيضاً : أن أهل البيت قد حرّموا من الصدقة وهم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس^(٦) .

(١) راجع ص ٢٧٨ ج ٤ من فتح الغدير للشوكاني .

(٢) راجع ج ٤ ص ٢٧٨-٢٧٩ من فتح الغدير .

(٣) راجع ج ٤ ص ٢٨٠ من فتح الغدير .

(٤) راجع الكشاف للزمخشري ج ٣ ص ٢٦٠ .

(٥) راجع تفسير الخازن ج ٥ ص ٢٥٩ .

(٦) راجع تفسير الخازن ج ٥ ص ٢٥٩ .

— توضيح المعنى الإصطلاحي بمزيد من البيان المحمدي :

١ - قال ﷺ : « إن الله قسم الخلق إلى قسمين ، فجعلني في خيرهما قسماً . ثم جعل القسمين أثلاثاً ، فجعلني في خيرهما ثلثاً ، ثم جعل الأثلاث قبائل ، فجعلني في خيرها قبيلة ، ثم جعل القبائل (بيوتاً) ، فجعلني في خيرها (بيتاً) ، وهذا معنى قوله ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ ، فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب »^(١).

٢ - قال ﷺ : « إن الله قسم أهل الأرض إلى قسمين ، فجعلني في خيرهما قسماً ، ثم قسم النصف إلى ثلاث ، فكننت في خيرها ثلثاً . ثم اختار العرب من هذا الثلث ، ثم اختار قريشاً من العرب ، ثم اختارني هاشم من قريش ، ثم اختار بني عبدالمطلب ، من بني هاشم ، ثم اختارني من بني عبدالمطلب »^(٢).

٣ - وقال ﷺ : « إن الله اختار العرب ، فاختر كنانة من العرب ، واختر قريشاً من كنانة ، واختر بني هاشم من قريش ، واخترني من بني هاشم »^(٣).

٤ - قبل خروج المسلمين لمعركة أحد ، قال ﷺ للمسلمين : « إني رأيت والله خيراً ، رأيت بقرأً تذبح ، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً ، ورأيت أنني دخلت في درع حصينة » ، وذكر ابن هشام أن الرسول ﷺ أولَ رؤياه بما يلي : « البقر : أناس من أصحابه يذبحون ويقتلون ، والدرع الحصينة : هي المدينة المنورة ، (الثلثم) - وهذا ما يعيننا - رجل من أهل بيته يقتل ، وكان المقتول فعلاً في معركة أحد حمزة عليه السلام .

— كشف الغموض عن طريق بيان وظيفة أهل البيت :

ما ذكرناه من الأحاديث بينٌ وجلّي ، ولولم يكن خاص بأهل البيت ما كثر فيه الجدل ، ولكان حديث رسول الله ﷺ مسك الختام . ولكنهم يجادلون مما يستدعينا لإقناعهم أن نبين وظيفة أهل البيت ، لعلهم يذكرون أو تحدث لهم تلك الأحاديث ذكراً .

(١) راجع الشوكاني فتح الغدير ج ٤ ص ٢٨٠ وقد نقله عن الترمذي والحاكم والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل .

(٢) راجع الطبقات لابن سعد ج ١ ص ٢٠ .

(٣) راجع الطبقات لابن سعد ج ١ ص ٢١ .

١ - قال ﷺ: «يا أيها الناس إني تركت فيكم ما أن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي»^(١).

وظيفة أهل البيت، كما حددها الشرع مع كتاب الله: منع ضلال هذه الأمة مما يدل دلالة قاطعة على أن أهل البيت هم العترة الطاهرة، والعترة لغة نسل الرجل ورهطه الأقربون.

٢ - قال ﷺ: «... كتاب الله حبل ممدود... وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض»^(٢).

هل يعقل أن تكون هذه وظيفة النساء؟، وهل يعقل أن لا يترك محمداً قيماً على دينه غير النساء؟.

٣ - قال ﷺ: «... كتاب الله... وعترتي أهل بيتي...»^(٣).
هذا دليل قاطع أن العترة هم أهل البيت أنفسهم.

٤ - قال ﷺ: «... إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي»^(٤).

٥ - ولما رجع ﷺ من حجة الوداع، قال: «كأنني دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتي، ثم قال: إن الله مولاي وأنا مولى كل مؤمن ومؤمنة، ثم أخذ بيد علي، فقال: من كنت مولاه، فهذا علي مولاه»^(٥).

٦ - وقال أثناء مرضه ﷺ في حجرته: «أيها الناس، يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي، وقد قدمت إليكم القول معذرة، ألا إني مخلف فيكم كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي، ثم أخذ بيد علي فرفعها، فقال: هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقا حتى يردا على الحوض»^(٦).

(١) راجع ص ٤٤ ج ١ من الكنز وقد نقله عن الترمذي والنسائي وراجع مختارات الصحاح ص ٤١٠ للرازي.

(٢) راجع ص ٤٤ ج ١ من كنز العمال الحديث ٨٧٤ ورواه الترمذي.

(٣) راجع مسند الامام أحمد ص ١٨٢ و ١٨٩ ج ٥ راجع ص ٤٧ ج ١ من كنز العمال وقد اخرج أبويعلي وابن أبي شيبة وابن سعد.

(٤) راجع الحاكم في المستدرك ص ١٤٨ ج ٣ واخرجه الذهبي وصرح الانان بصحته.

(٥) راجع ص ١٠٩ ج ٣ من المستدرك و ص ٥٣٣ واخرجه الذهبي في تلخيصه واعترف بصحته.

(٦) راجع المراجعات للامام شرف الدين العاملي ص ٥٥.

- ٧ - ويبدو أن المراد بأهل البيت هم أئمة العترة الطاهرة، لأن هذه المنزلة ليست إلا لحجج الله والقوامين بأمره، بحكم العقل والنقل ودليل ذلك قوله ﷺ: «ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»^(١).
- ٨ - قال ﷺ: «النجوم أمان لأهل الأرض، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من قبائل العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس»^(٢).
- ٩ - قال ﷺ: «في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي، ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين»^(٣).

وأنت تلاحظ من الحديثين الأخيرين استحالة أن تكون نساء النبي من أهل البيت الذين يعنيه القرآن الكريم والرسول ﷺ بأحاديثه المطهرة.

— توضيح المخول بالبيان بعد الرسول ﷺ :

لقد خول الشرع علياً ببيان ما تختلف فيه الأمة من بعد الرسول ﷺ، وقد عينه الله هادياً كما ثبت. فها هو علي يقول:

١ - (إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم)^(٤).

٢ - وقال علي أيضاً: (واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه، ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه، فالتمسوه ذلك عند أهله فإنهم عيش العلم وموت الجهل)^(٥).

٣ - وقوله أيضاً: (عترته خير العتر، وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حرم، وبسقت في كرم، لها فروع طوال وشجرة لا تنال)^(٦).

(١) راجع المراجعات للإمام شرف الدين العاملي ص ٥٥.

(٢) أخرجه الحاكم ص ١٤٩ ج ٣ من استدرك وقال انه حديث صحيح.

(٣) راجع ص ٩٠ من الصواعق المحرقة.

(٤) راجع شرح النهج ج ٢ ص ١٤٠.

(٥) راجع ج ٢ ص ٤٣ الخطبة ١٤٣.

(٦) راجع ص ١٨٩ ج ١ من النهج خطبه ٩٠.

- ٤ - وقال عليه السلام : (أنظروا أهل بيت نبيكم ، فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم ، فلن يخرجوكم من هدى ، ولن يعيدوكم في ردى . فإن لَبَدُوا ، فالبَدُوا وإن نهضوا فانهضوا ، ولا تسبقوهم فتضلوا ، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا) (١).
- ٥ - وقال أيضاً : (نحن النجباء ، وافراطنا افراط الأنبياء ، وحزبنا حزب الله ، والفئة الباغية حزب الشيطان ، من سوى بيننا وبين عدونا فليس منا) (٢).
- ٦ - وقال الإمام أبو محمد علي بن الحسين زين العابدين : (ومن الموثوق به على ابلاغ الحجة ، وتأويل الحكم ، إلا أعدال الكتاب وأبناء أئمة الهدى ومصابيح الدجى ، الذين احتج الله بهم على عباده ، ولم يدع الخلق سدى ، من غيرهم حجة ، هل تعرفونهم أو تجدونهم إلا من فروع الشجرة المباركة وبقايا الصفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، ويرأهم من الآفات وافترض مودتهم في الكتاب) (٣)؟

(١) راجع ١٨٩ جـ ١ من النهج خطبه ٩٣ .

(٢) راجع ذلك في اواخر باب وصية النبي بهم من الصواعق المحرقة ص ١٣٧ .

(٣) راجع ص ٩٠ من الصواعق المحرقة باب ١١ .

[تعليق]

ثم لوتجاهلنا كل تلك النصوص تقديراً للواقع التاريخي الذي حدث وحتى لا نخدشه، ومعذرة عن الذين أذلوا أهل البيت - مع أن هذا التجاهل فوق قدرتنا - فإنه من غير الممكن أن يكل الرسول مستقبل هذا الدين إلى نسائه. وعقلاً فقد تموت المرأة وقد تطلق من زوجها أو تطلق نفسها . ثم أن آيات القرآن الكريم زاخرة بعتاب نساء النبي وتهديدهن، وشاهدة بتظاهر بعضهن عليه .

ثم أن اللغة العربية، وهي لغة القرآن الكريم تؤكد أن أهل البيت هم دسمة هذه الأمة، وهي الشجرة التي يتداوى بها، وأن العترة هم أهل البيت، وأن عترة الرجل هم نسله ورهطه الأقربون .

ثم إن الأحاديث الشريفة فسرت النص وبينته بياناً لا يدع مجالاً للشك أو لمتشكك . ولو كانت هذه الأحاديث واردة في شأن غيرهم لمنحومهم مرتبة الأنبياء . لكن الناس، كما يبدو، أمعنوا في الاعتذار عن الواقع التاريخي، ويعتبرون عترة الرسول ﷺ على وزن العتيرة، وهي الشاة التي كان يذبحها أجدادنا في رجب لألهتهم، وربما كان هذا هو السر في ذبح ومطاردة وانقاص حق أولئك الذين جعلهم الله أعدال الكتاب وفرض مودتهم على العباد^(١) .

(١) راجع المعنى اللغوي لكلمة أهل البيت والكلمة عترة وكلمة عتيرة وقد مرت فيما سبق

• ما هو الدليل الشرعي على أن أهل البيت والعترة الطاهرة من أهل الشورى الذين يبايعون البيعة الخاصة؟.

— الدليل الأول:

١ - قال ﷺ: «يا أيها الناس، إني تركت فيكم ما أن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي»^(١).

٢ - قال ﷺ: «إني تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، كتاب الله حبلاً ممدوداً من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^(٢).

٣ - قال ﷺ: «إني تارك فيكم خليفتين، كتاب الله حبلاً ممدوداً ما بين السماء والأرض أو ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض»^(٣).

٤ - قال ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وأهل بيتي، وأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض»^(٤).

٥ - قال ﷺ: «إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله عز وجل، وعترتي. كتاب الله حبلاً ممدوداً من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي. وأن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^(٥).

(١) أخرجه الترمذي والنسائي عن جابر ونقله عنهما المتقي الهندي في ص ١٤٤ ج ١ من كنز العمال.

(٢) أخرجه الترمذي عن زيد بن ارقم ونقله صاحب الكنز ص ٤٤ ج ١.

(٣) أخرجه الامام أحمد من حديث زيد بن ثابت بطريقين صحيحين في أول صفحة ١٨٢ والثاني في آخر صفحة ١٨٩ ج ٥ من مسنده وأيضاً أخرجه ابن أبي شبة وأبو يعلى وابن سعد عن أبي سعيد وراجع الحديث ٩٤٥ من الكنز ص ٤٧ ج ١.

(٤) أخرجه الحاكم في ص ١٤٨ ج ٣ من المستدرک ثم قال هذا حديث صحيح الاسناد على طريق الشيخين ولم يخرجاه وأخرجه الذهبي في تلخيصه معترفاً بصحته على شرط الشيخين.

(٥) أخرجه الامام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري عن طريقين أحدهما في آخر صفحة ٢٦ ج ٣ من مسنده وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبه وأبو يعلى وابن سعد عن أبي سعيد وهو الحديث ٩٤٥ من احاديث الكنز ج ١ ص ٤٧.

٦ - ولما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونزل غدیر خم ، أمر بدوحات فضممن فقال : « كاني دعيت فأجبت . إني قد تركت فيكم الثقلين ، أحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله وعترتي ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض » . ثم قال : « إن الله عز وجل مولاي ، وأنا مولى كل مؤمن . ثم أخذ بيد علي ، فقال : من كنت مولاه فهذا وليه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . . . » الحديث بطوله ^(١) .

٧ - وخطب رسول الله ﷺ بالجحفة ، فقال : « ألسن أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : فإني سائلكم عن اثنين : القرآن وعترتي » ^(٢) .

٨ - والصحاح الحاكمة بوجوب التمسك بالثقلين متواترة وطرقها بضعا وعشرين صحابياً ، متضافرة وقد صدع بها الرسول ﷺ في أماكن مختلفة ^(٣) .

٩ - قال ﷺ أثناء مرضه في حجرته الخاصة بالصحابة : « أيها الناس ، يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي ، وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم ، إلا أنني مخلف كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي ، ثم أخذ بيد علي فرفعها ، فقال : هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا على الحوض » ^(٤) .

١٠ - قال ﷺ : « ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق » ^(٥) .

١١ - قال ﷺ : « إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطه في بني إسرائيل ، من دخله غفر له » ^(٦) .

(١) أخرجه الحاكم عن زيد ابن ارقم مرفوعاً في ص ١٠٩ ج ٣ من المستدرک ثم قال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله وأخرجه عن طريق زيد في ص ٥٣٣ ج ٣ من المستدرک وقال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وأورده الذهبي في تلخيصه واعترف بصحته .

(٢) أخرجه الطبراني كما في اربعين الاربعين للنهاني وفي احياء الميت للسيوطي

(٣) راجع المراجعات للامام العاملي ص ٥٣ .

(٤) راجعه في آخر الفصل ٢ من باب ٩ من الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي ص ٥٧ وراجع تفسيره في الآية الرابعة (وقوفهم انهم مسؤولون) ص ٨٩ من الصواعق المحرقة .

(٥) أخرجه الحاكم ص ١٥١ ج ٣ من المستدرک بالاسناد لأبي ذر .

(٦) أخرجه الطبراني في الاوسط عن أبي سعيد وهو الحديث ١٨ من الاحاديث الاربعين (راجع الاربعين اربعين للنهاني ص ٢١٦ من كتاب الأربعين) .

- ١٢- وفي حديث الثقلين عند الطبراني، قال ﷺ: «فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم»^(١).
- ١٣- قال ﷺ: «النجوم أمان لأهل الأرض، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من قبائل العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس»^(٢).
- ١٤- وخطب ﷺ فقال: «يا أيها الناس، إن الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله وذريته، فلا تذهبن بكم الأباطيل»^(٣).
- ١٥- قال ﷺ: «واجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد ومكان العين من الرأس ولا يهتدي الرأس إلا بالعينين»^(٤).
- ١٦- وقال ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع. عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله فيما أنفقه ومن أين اكتسبه، وعن محبتنا أهل البيت»^(٥).
- ١٧- قال ﷺ: «فلو أن رجلاً صف قدميه بين الركن والمقام فصلى وصام وهو مبغض لآل محمد، دخل النار»^(٦).
- ١٨- وحسبنا في إثارهم على سواهم إثار الله عز وجل لهم حتى جعل الصلاة عليهم جزءاً من الصلاة المفروضة على جميع عباده، فلا تصح بدونها صلاة أحد من
-
- (١) راجع في باب وصية الكلبي من الصواعق ص ١٣٥ ثم سله لماذا قدم عليهم في الحديث عمران بن حطاه وامثاله من الخوارج وقدم عليهم في النفير قاتل بن سليمان المرجئي المجسم راجع ص ٥٥ من المراجعات.
- (٢) أخرجه الحاكم في ١٤٩ ج ٣ من المستدرک عن ابن عباس ثم قال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه.
- (٣) أخرجه أبو الشيخ في حديث طويل ونقله ابن حجر في آخر المقصد ٤ من المقاصد ص ١٠٥ من الصواعق وآية المودة في القرى راجع تفسيرها.
- (٤) أخرجه جماعة من اصحاب السنن بالاسناد إلى أبي ذر مرفوعاً ونقله الامام الصبان في فضل أهل البيت من كتابه اسعاف الراغبين والشيخ يوسف النبهاني في ص ٣١ من الشرف المؤيد وغير واحد من الثقات راجع ص ٦٠ من المراجعات.
- (٥) لولا ان لهم منصبا من قبل الله يستوجب السمع والطاعة، ما كان مستهم بهذه المثابة، وهذا الحديث أخرجه الطبراني عن ابن عباس ونقله السوطي في احياء الميت والنبهاني وغير واحد من الاعلام.

العالمين صديقاً كان أم فاروقاً أو ذا النورين، بل لا بد لكل من عبد الله بفرائضه أن يعبدته في أثنائها بالصلاة عليهم، كما يعبدته بالشهادتين، وهذه منزلة عنت لها وجوه الأمة وتخضع أمامها الأبصار^(١).

١٩- يا أهل بيت رسول الله حاكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم الفضل أنكم من لا يصلي عليكم لا صلاة له^(٢)
٢٠- وقد ذكر الإمام شرف الدين مئآت الآيات التي نزلت بأهل البيت وفسرها كذلك
فحول المفسرين^(٣).

— الدليل الثاني :

إن قرابة الرسول الطاهرة من قريش . وقد تواترت الأحاديث التي تحصر رئاسة الدولة بالقريشيين ومشورتهم أمر لا بد منه باعتبار أن الإمام سيكون أحدهم .

١ - قال ﷺ : « الأئمة من قريش ما حكموا فعدلوا، ووعدوا فوفوا واسترحموا فرحموا »^(٤).

٢ - قال ﷺ : « الخلافة في قريش »^(٥).

٣ - قال ﷺ : « الأمراء في قريش، أبرارها أمراء أبرارها، وفجارها أمراء فجارها »^(٦).

٤ - قال ﷺ : « إن الأمر لا يزال في قريش ما بقي منهم إثنان »^(٧).

٥ - قال ﷺ : « إن هذا الأمر في قريش، لا يعاديهم أحد إلا كبه الله في النار على وجهه ما أقاموا الدين »^(٨).

(١) أخرجه الطبراني والحاكم وأربعين النبهاني وأحياء الميت للسيوطي .

(٢) راجع المراجعات للإمام العاملي وهي من مدائح الإمام الشافعي أرسلت عنه إرسال المسلمات ونقلها عنه غير واحد كابن حجر في تفسير آية إن الله وملائكته يصلون على النبي ص ٨٨ من الصواعق والنبهاني في ص ٩٩ من الشرف المؤيد والإمام أبي بكر شهاب الدين في رشفة الصادي .

(٣) راجع المراجعات ص ٦٥-٧٨ .

(٤) رواه الإمام أحمد .

(٥) رواه الترمذي .

(٦) رواه الإمام أحمد .

(٧) رواه الشيخان .

(٨) رواه بخاري .

- ٦ - قال ﷺ: «الناس تبع لقريش في الخير والشر»^(١).
- ٧ - قال ﷺ: «قريش صلاح الناس، لا يصلح الناس إلا بهم كما أن الطعام لا يصلح إلا بالملح»^(٢).
- ٨ - قال ﷺ: «النبوة فيهم والخلافة فيهم»^(٣).
- ٩ - قال ﷺ: «العلم في قريش والأئمة من قريش»^(٤).

— الدليل الثالث:

القراءة الطاهرة صفوة خلق الله، ومن الطبيعي جداً أن يستشاروا وأن يكونوا من أهل الشورى.

قال ﷺ: «خير العرب مضر، وخير مضر بنو عبد مناف، وخير بني عبد مناف بنو هاشم»، ويقول ﷺ: «والله ما افترقت فرقتان منذ خلق الله آدم إلا كنت في خيرهما»^(٥).

قال ﷺ: «إن الله قسم الأرض إلى قسمين، فجعلني في خيرهما قسماً، ثم قسم النصف إلى أثلاث، فكنت في خيرهما ثلثاً، ثم اختار العرب من هذا الثلث، ثم اختار قريشاً من العرب، ثم اختار بني هاشم من قريش، ثم اختار بني عبدالمطلب من بني هاشم، ثم اختاره ﷺ من بني عبدالمطلب»^(٦).

قال علي عليه السلام: «إن الأئمة من قريش، غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم، إلى أن قال: ... اثروا عاجلاً وأخروا آجلاً وتركوا صافياً وشربوا آجناً»^(٧).

(١) رواه مسلم.

(٢) (٤٣٥) راجع السيرة الحلبية الحاشية ج١ ص ٣-٤ على برهان الدين الحلبي وراجع الجامع للاصول في احاديث الرسول علي ناصيف مجلد ٣ ص ١٩ وما فوق.

(٥) راجع السيرة الحلبية ج١ ص ٤-١١ والحاشية - السيرة الدحلانية.

(٦) راجع طبقات بن سعد ج١ ص ٢٠ وراجع فتح الغدير للشوكاني ج٤ ص ٢٨٠.

(٧) راجع الخطبة ١٨٥ ص ١٥٦ ج٢ من شرح النهج لابن أبي الحديد.

— الدليل الرابع :

فضل القرابة الطاهرة على الإسلام ونبية .
فإذا أضيف هذا كله لفضلهم على الإسلام بالمحافظة على حياة نبي الإسلام، فإن من حقهم أن يكونوا من أهل الشورى، وأن يبايعوا البيعة الخاصة .

١ - على أثر تهديد زعامة قريش بقتل محمد، وغياب النبي ﷺ فترة، جمع أبو طالب بني هاشم وأعطى كل واحد منهم حديدة صارمة . وسار مع الهاشميين والمطلبيين ونادى، يا معشر قريش هل تدرون ما هممت به؟ قالوا لا، فأخبر الخبر وقال للفتيان اكشفوا عما في أيديكم فكشفوا، فإذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة، فقال: والله لو قتلتموه ما أبقيت منكم أحداً حتى نتفانى وإياكم، فأنكر القوم وكان أشدهم انكاراً أبو جهل^(١) .

٢ - وأخيراً قررت قريش بكل بطونها مقاطعة بني هاشم وكتبوا كتاباً على بني هاشم ألا يناكحهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم، وحصروا بني هاشم في شعاب أبي طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع من النبوة، وانحاز بنو عبد المطلب بن عبد مناف إلى أبي طالب في شعبه وقطعت عنهم قريش الميرة والمادة، فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم، وسمعت أصوات صبيانهم من وراء الشعب فأقاموا في الشعب ثلاث سنين . ثم أطلع الله رسوله على أمر صحيفتهم وأن الأرض قد أكلت ما كان فيها من جور وظلم وبقي منها ما كان من ذكر الله . فذكر الرسول ذلك لأبي طالب، فذكر أبو طالب ذلك لإخوته، وخرجوا إلى المسجد فقال أبو طالب لكفار قريش أن ابن أخي قد أخبرني ولم يكذبني قط أن الله قد سلط على صحيفتكم الأرض فلحست كل ما كان فيها من جور أو ظلم أو قطيعة رحم، وبقي فيها كل ما ذكر بها الله، فإن كان ابن أخي صادقاً نزعتم عن سوء رأيكم، وإن كان كاذباً دفعته إليكم فقتلتموه .

قالوا: قد أنصفتنا . فأحضروا الصحيفة، فوجدوها كما ذكر الرسول، فسقط في أيديهم ونكسوا على رؤوسهم، فقال أبو طالب: فعلام نحبس ونحصر وقد بان الأمر؟ ثم دخل هو وأصحابه بين أستار الكعبة، فقال:

(١) راجع الطبقات لابن سعد جـ ١ ص ٢٠٢-٢٠٣ .

اللهم أنصِرنا ممن ظلمنا، وقطع أرحامنا، واستحل ما يحرم عليه منا، ثم انصرفوا إلى الشعب.

فتلاءم أناس من قريش على ما صنعوا ببني هاشم فلبسوا السلاح ثم خرجوا إلى بني هاشم وبني عبدالمطلب فأمرهم بالخروج إلى مساكنهم ففعلوا، ولما رأت قريش ذلك سقط في أيديهم وعرفوا أن بني هاشم لن يسلموا النبي وكان خروجهم في السنة العاشرة من النبوة^(١).

وباختصار شديد، كل بطون قريش حاصرت بني هاشم واضطرتهم أن يأكلوا ورق الشجر في شعاب أبي طالب مدة ثلاث سنين بسبب محمد وبسبب حمايتهم له ودفاعهم عنه.

لم تحاصر بنوعدي، ولم تحاصر بنوتيم، ولم تحاصر بنوزهرة، ولم تحاصر بنو الحارث، إنما حوصرت القرابة الطاهرة وكل بطون قريش كانت مشتركة بالحصار وتلذذ بعذاب القرابة الطاهرة. فحين أعز الله الإسلام به، ونصر الإسلام بهم يحرمون حتى ان يستشاروا... ما لكم كيف تحكمون.

الشاذ الوحيد من بني هاشم كان أبولهب، ومع هذا لما نالت قريش من محمد في غياب أبي طالب، جاء أبولهب إلى محمد ﷺ وقال له:

يا محمد، امض لما أردت، وما كنت صانعا إذ كان أبوطالب حيا فاصنعه، لا واللات لا يوصل اليك حتى اموت. وسب ابن الغيطة النبي، فأقبل أبولهب ونال منه فولى وهو يصيح يا معشر قريش صبا أبوعتبه، فأقبلت عليه قريش، واكد أبولهب انه يمنع ابن أخيه ان يضام حتى يمضي لما يريد. فمكث أياما يذهب ويأتي دون أن يعترضه أحد من هبة أبي لهب، وما زالت قريش تراود أبالهب حتى تخلى عن النبي^(٢).

والخلاصة: لقد تحملت القرابة الطاهرة في سبيل حماية محمد ما لم تتحمله قبيلة من قبائل العرب. فقد حوصرت ثلاث سنوات في شعاب أبي طالب، واشتركت كل بطون قريش بحصارها. ولولا القرابة الطاهرة لما توانت قريش عن قتل النبي

(١) راجع الطبقات لابن سعد ج١ ص ٢٠٨-٢١٠ وراجع ج١ من السيرة الحلبية ص ٣٣٦.

(٢) راجع الطبقات لابن سعد ج١ ص ٢١٠-٢١١.

وخوفا من القرابة الطاهرة اضطرت قريش ان تختار فتية من كل بطونها لتشارك بقتل النبي ﷺ حتى يضع دمه، فلا تقوى القرابة الطاهرة على المطالبة بدمه اذا قتل.

يبدو وفقا لقوانين الهوى ان على القرابة الطاهرة الغرم ولغيرها الغنم. الدليل الخاص:

الدليل الخامس:

القرابة الطاهرة هي ناصية قريش في الجاهلية ومن المستحيل عقلا ومنطقا ان تقطع الامور دون مشورتهم.

فهاشم سليل عبد مناف (وعبد مناف هو المغيرة بن قصي بن كلاب) وكان يقال له قمر البطحاء لحسنه وجماله، وهو الجد الثالث للرسول ﷺ^(١).

وعندما مات قصي بن كلاب قام عبد مناف بن قصي على امر قصي وامر قريش اليه. وعلى عبد مناف اقتصر رسول الله ﷺ حين نزلت آية: ﴿وانذر عشيرتک الاقربين﴾ اذ صعد رسول الله حتى علا المروه ونادى آل فهر، فترجع بنو محارب وبنو الحارث، وبنو تميم، وبنو عامر، وبنو عدي، وبنو سهم، وبنو جمح وبنو مخزوم، وبنو تيم بن مره، وبنو زهره، ولم يبق الا بني عبد مناف فعندئذ قال الرسول ﷺ:

«ان الله امرني ان انذر عشيرتي الاقربين وانتم الاقربون من قريش واني والله لا املك لكم من الله حظا ولا من الآخرة نصيبا الا ان تقولوا لا اله الا الله فأشهد لكم بها عند ربكم وتدين لكم العرب وتذل لكم بها العجم».

وهكذا يتبين ان عشيرة الرسول الاقربين هم بني عبد مناف^(٢).

(١) السيرة الحلبية ج١ ص٧ والطبقات ج٢ ص١٨١.

(٢) راجع الطبقات ج١ ص٧٤.

— من هم أولاد عبد مناف؟ —

هم :

١ - المطلب بن عبد مناف

٢ - هاشم بن عبد مناف

٣ - عبد شمس بن عبد مناف

٤ - نوفل بن عبد مناف^(١)

موقعهم في الجاهلة على العموم :

يبدو جلياً انهم سادة قريش ، فقد سادوا بعد ابيهم وكان يقال لهم المجبرون وهم اول من اخذ لقريش العصم ، فانتشروا من الحرم فقد أخذ لهم هاشم حبلاً من ملوك الشام الروم وغسان .

واخذ عبد شمس حبلاً من النجاشي الاكبر فاختلفوا بذلك السبب إلى ارض الحبشه .

وأخذ لهم نوفل حبلاً من الاكاسرة فاختلفوا بذلك السبب إلى العراق وأرض فارس .

وأخذ لهم المطلب حبلاً من ملوك حمير فاختلفوا بذلك السبب إلى اليمن .
فجير الله بهم قريشا فسموا المجبرين^(٢) .

وكان يقال لهاشم واخوانه عبد شمس والمطلب ونوفل اقداح النضار «الذهب»
ويقال لهم المجبرون لفخرهم وسيادتهم على العرب^(٣) .

وقد مات هاشم بغزه ، وعبد شمس بمكة وقبره بأجباد ، ومات نوفل بالعراق ،
والمطلب بأرض اليمن^(٤) .

(١) راجع الطبقات جـ ١ ص ٧٥ .

(٢) راجع تاريخ الطبري جـ ٢ ص ١٨٠ .

(٣) راجع السيرة الحلبية جـ ١ ص ٥ .

(٤) راجع السيرة الحلبية جـ ١ ص ٥ .

يا ايها الرجل المحول رحله الا نزلت بآل عبد مناف
هبتك امك لو نزلت برحلهم منعوك من عدم ومن اقراف
الخالطين غنيهم بفقيهمهم حتى يعود فقيرهم كالكافي^(١)

وقد انقسم اولاد عبد مناف إلى قسمين :

- ١ - بنو هاشم وبنو المطلب يداً واحدة من قديم الزمان إلى اليوم .
 - ٢ - بنو عبد شمس وبنو نوفل يداً واحدة من قديم الزمان إلى اليوم^(٢) .
- وكانت بيد اولاد عبد مناف كل مناصب الشرف في قريش ، من قيادة وسقاية ورفادة .

موقع هاشم في الجاهلية :

اسمه عمرو العلاء ، وهو أول من سن الرحلتين لقريش ترحل احدهما في الشتاء إلى اليمن والحبشة فيكرمه النجاشي ويحبوه ، ورحلة في الصيف إلى الشام وغزه وربما بلغ انقره فيدخل على قيصر فيكرمه ويحبوه .

وفي السنين العجاف لم يكن لمكة غير هاشم وفي ذلك يقول الزبيري

عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف^(٣)

يطعم الناس ويشبعهم وسمي هاشماً لذلك ، وكان يقال له أبوالبطحاء وسيد البطحاء ، ولم تزل مائدته منصوبة لا ترفع في السراء والضراء ، وكان يحمل ابن السبيل ويؤمن الخائف . وقد ذكر انه كان اذا أهل هلال ذي الحجة قام صبيحته واسند ظهره إلى الكعبة من تلقاء بابها ويخطب ويقول في خطبته :

يا معشر قريش انكم سادة العرب ، أحسنهم وجوها وأعظمهم أحلاما ، وأوسطهم أنسابا ، وأقرب العرب بالعرب أرحاما .

يا معشر قريش إنكم جيران بيت الله الحرام ، أكرمكم بولايته ، وخصكم بجواره دون بني اسماعيل ، وأنه يأتكم زوار الله يعظمون بيته ، فهم أضيافه وأحق

(١) راجع تاريخ الطبري جـ ٢ ص ١٨٠ والسيرة جـ ١ ص ٥ .

(٢) راجع الطبقات لابن سعد جـ ١ ص ٧٩ .

(٣) راجع جـ ١ ص ٧٦ من الطبقات وجـ ٢ ص ١٧٩ من تاريخ الطبري .

من أكرم أضياف الله أنتم، فأكرموا ضيفه وزواره فانهم يأتون شعنا غربا من كل بلد على ضوامر كالقداح، أكرموا ضيف الله وزواره فورب هذه البنية لو كان لي مال يحتمل ذلك لكفيتكموه، وأنا أخرج من طيب مالي وحلاله، ما لم يقطع فيه رحم، ولم يؤخذ بظلم، ولم يدخل فيه حرام، فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل. - وأسألکم بحرمة هذه البنية ألا يخرج رجل منكم من ماله الا طيبا لم يؤخذ بظلم ولم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ غصبا^(١).

فأوسع أهل مكة من هشيم وشاب الخبز باللحم العريض
فظل القوم بين مكلات من الشيزاء حائرهما يفيض^(٢)
عمرو العلاء ذو الندى من لا يسابقه

مر السحاب ولا ريح يجاريه
اجفانه كالجوابي للوقود إذا
لبوا بمكة ناداهم مناديه
أو أمحلوا أخصبوا منها وقد ملئت
قوتا لحاضره منهم وباديه

وكان هاشم يكنى بأبي أسد^(٤).
وخرج هاشم إلى أرض الشام حتى بلغ غزه، فاشتكى فأقاموا عليه حتى مات
فدفنوه بغزه ورجعوا بتركته إلى ولده.

وأوصى هاشم بن عبد مناف إلى اخيه المطلب.

— ذرية هاشم:

- ١ - شبيه الحمد وهو عبد المطلب وهو سيد قريش حتى هلك.
- ٢ - عمرو أبو صيفي بن هاشم.
- ٣ - أسد بن هاشم.
- ٤ - نفله بن هاشم^(٥).

(١) السيرة الحلبية ج١ ص ٦ والطبقات لابن سعد ج١ ص ٧٨.

(٢) راجع تاريخ الطبري ج٢ ص ٨٠ وج١ ص ٧٦ من الطبقات.

(٣) السيرة الحلبية ج١ ص ٥.

(٤) الطبقات ج١ ص ٧٩-٨٠.

(٥) الطبقات ج١ ص ٨٠.

وله خمس بنات وهن : رقيه، الشفاء، الضعيفه، خالده، وحنه^(١).
وباختصار فقد اجمعت قریش على أن تكون السقاية والرفافة لهاشم^(٢).

قالت ابنته الشفاء ترثيه :

عين جودي بعبرة وسحوم واسفحي الدمع للجواد الكريم
هاشم الخير ذي الجلالة والمجد
وذى الباع والندى والصميم^(٣)

مكانة بني عبدالمطلب بن هاشم في الجاهلية :

عبدالمطلب بن هاشم، مستقر الخير، وخير العرب، وخير قریش بنص
الشرع. وهو سيد قریش في الجاهلية حتى هلك.

يدعى شيبة الحمد، لكثرة حمد الناس له، ويقال له الفياض لجوده، وهو
مطعم طير السماء، فقد كان يرفع مائدة للطير، ومائدة للوحوش على رؤوس الجبال
وهو حليم قریش وحكيمها^(٤).

وقيل انه قد سمي شيبه لانه كان في رأسه شيب^(٥) وهو الذي عقد الحلف
لقریش مع النجاشي في متجرها، وكان شريفاً في قومه مطاعاً وسيداً.

اشتراط والد سلمى على هاشم ان لا تلد ولداً الا في أهلها، ثم مضى هاشم
في وجهه. وبعد عودته إلى يثرب بنى بها، فحملت منه، ثم ارتحل إلى مكة، فلما
أنقلت ردها إلى أهلها، ومضى إلى الشام فمات بغزة. فولدت له سلمى عبدالمطلب
ومكث في يثرب سبع سنين أو ثمانين سنين. ثم ان رجلاً من بني الحارث مرّ يثرب
فإذا بها غلمان يتصلون، فجعل شيبة إذا خفق قال ابن هاشم أنا ابن سيد البطحاء
فقال له الحارث من أنت؟ قال انا شيبة بن هاشم بن عبد مناف. فلما أتى مكة قال

(١) الطبقات جـ ١ ص ٨٠.

(٢) الطبقات جـ ١ ص ٧٨.

(٣) راجع الطبقات جـ ١ ص ٨٠.

(٤) السيرة الحلبية جـ ١ ص ٤.

(٥) تاريخ الطبري جـ ٢ ص ١٧٦.

(٦) الطبقات جـ ١ ص ٨١.

للمطلب وهو جالس معه ما رآه، فقال المطلب، هذه ناقتي فاركيها والله، لا أرجع إلى اهلي حتى آتي به. ووصل المطلب يثرب، وعرف شيبه لأنه شبه أبيه ثم سأل عنه فقال هذا ابن هاشم فان كنت تريد اخذه فالساعة قبل أن تعلم أمه، فدعاه المطلب وقال له انا عمك وقد اردت الذهاب بك الى قومك. فانطلق وقدم به المطلب ضحوه والناس في مجالسهم فجعلوا يقولون من وراءك؟ فيقول عبدلي، واشترى له المطلب حلة فألبسها شيبه ثم خرج به حين العشا إلى مجلس بني عبد مناف وقال المطلب: عرفت شيبه والنجار قد حفلت

ابناؤها حوله بالنبل تنتصل
عرفت اجلاده منا وشيمته

ففاض مني عليه وابل سبل^(١)

وكان عبدالمطلب أحسن قريش وجهاً وأمدهم جسماً وأحلمهم حلماً وأنسهم كفاً وأبعد الناس عن كل موبقة تفسد الرجال، ولم يرد ملك قط إلا أكرمه وشفعه وكان سيد قريش حتى هلك.

اتاه قوم من خزاعة، فقالوا نحن قوم متجاورون في الدار، هلم فلنحالفك فأجابهم إلى ذلك. وأقبل عبدالمطلب في سبعة نفر من بني المطلب والأرقم بن نضله بن هاشم والضحاك وعمرو ابن ابي صيفي بن هاشم، ولم يحضره أحد من عبد شمس ولا نوفل. فدخلوا دار الندوة فتحالفوا فيها على التناصر والموالاة، وكتبوا بينهم كتاباً وعلقوه في الكعبة وقال عبدالمطلب في ذلك:

سأوصي زبيراً ان توانت منيتي بامساك ما بيني وبين بني عمرو
وأن يحفظ الحلف الذي سن شيخه ولا يلحدن فيه بظلم ولا غدر
هم حفظوا الآل القديم وحالفوا اباك فكانوا دون قومك من فهر

وأوصى عبدالمطلب إلى ابنه الزبير بن عبدالمطلب وأوصى الزبير إلى أبي طالب وأوصى أبوطالب إلى العباس بن عبدالمطلب^(٢) وكان يكنى بأبي الحارث لأن الأكبر من ولده المذكور اسمه الحارث^(٣).

(١) راجع تاريخ الطبري جـ ٢ ص ١٧٧ والطبقات جـ ١ ص ٨٤

(٢) الطبقات جـ ١ ص ٨٥-٨٦.

(٣) تاريخ الطبري جـ ٢ ص ١٧٩.

— أولاد عبدالمطلب :

١ - الحارث . ٢ - الزبير . ٣ - عبد مناف (أبوطالب) . ٤ - عبدالله . ٥ - الحمزة . ٦ - أبولهب . ٧ - القيدان . ٨ - المقوم . ٩ - ضرار . ١٠ - العباس .^(١)

العقب للعباس وابي طالب والحارث وابي لهب .
وكان العدد من بني هاشم في بني الحارث ثم تحول إلى بني أبي طالب ، ثم صار في بني العباس^(٢) .

قال الكلبي : لم يكن في العرب بنواب مثل بني عبدالمطلب اشرف منهم ولا اجسم ، شم العرائن ، تشرب انوفهم قبل شفاهم قال فيهم قره بن حجل بن عبدالمطلب :

ما في الانام عمومة كعمومتي خيرا ولا كأناسنا أناسا^(٣)
وعبدالمطلب كان مجاب الدعوة في الجاهلية^(٤) .

تتابعت على قريش سنون ذهبن بالاموال واشفقن على الأنفس ، وبناء على رأي رفيقه بنت أبي صيفي بن هاشم ، خرج عبدالمطلب هو وجميع ولده وخرج من كل بطن رجل ، فتطهروا وتطيبوا واستلموا الركن ، ثم راموا رأس ابي قيس ، وتقدم عبدالمطلب فاستسقى وأمن هؤلاء خلفه ، وان النبي معهم ، فتقدم عبدالمطلب وقال :

اللهم هم هؤلاء عبيدك وبنو عبيدك ، واماؤك وبنات امائك ، فقد نزل بنا ما ترى وتتابعت علينا هذه السنون فذهبت بالظلف والخف ، واشفت على الأنفس فأذهب عنا الجذب وأتنا بالحيا والخصب . فما برحوا حتى سالت الاودية .
قال رقية بنت أبي صيفي

بشيبة الحمد اسقنا بلدتنا وقد فقدنا الحيا واجلوز المطر^(٥)

(١) الطبقات ج١ ص ٨٨ .

(٢) الطبقات ج١ ص ٩٤ .

(٣) الطبقات ج١ ص ٩٤ .

(٤) راجع السيرة الحلبية ج١ ص ٤ .

(٥) راجع الطبقات ج١ ص ٩٠ .

— عبدالمطلب التقي الحنفي في الجاهلية :

كان يأمر أولاده بترك الظلم، والبغي، ويحثهم على مكارم الاخلاق، وينهاهم عن ذنبيات الأمور، وكان يقول لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة، إلى أن هلك رجل ظلوم من أهل الشام لم تصبه عقوبة، ف قيل لعبدالمطلب في ذلك فقال، والله إن وراء هذه الدار دار يجزى فيها المحسن باحسانه ويعاقب فيها المسيء باسائه، ورفض في آخر عمره عبادة الاوثان، ووجد الله سبحانه وتعالى، وتوثر عنه سنن مثل :

١ - السوءاء بالنذر، ومنع نكاح المحارم، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل المؤؤ وده، وتحريم الخمر، والزنا، وان لا يطوف في البيت عريان، وكان يكرم الجار، ويسرعى الزمام، فقد قاطع حرب بن اخيه لانه قتل جاره اليهودي وترك منادمة حرب ولم يفارقه حتى أخذ منه مئة ناقة دفعها لابن عم اليهودي حفظا لجاره^(١).

وكان له امر السقاية والرفادة وشرف في قومه، وعظم في خطره، فلم يكن يعدل به منهم أحداً، وهو الذي كشف ماء زمزم واستخرج ما كان مدفونا فيها غزالان من الذهب واسياف، فجعل الاسياف بابا للكعبة وضرب في الباب الغزالين صفائح من ذهب فكان أول ذهب حليته^(٢)

وكانت رؤياه حق، فقد رأى في منامه وعلم كيف يجد ماء زمزم^(٣)
وكان يفي بالعقود ولا يظلم ولا يغدر^(٤)
وكان يحرم أكل الميتة^(٥).

(١) السيرة الحلبية ج١ ص ٤.

(٢) راجع تاريخ الطبري ج٢ ص ١٧٩.

(٣) الطبقات ج١ ص ٨٣ و ٨٤.

(٤) الطبقات ج١ ص ٨٥.

(٥) السيرة الحلبية ج١ ص ١٠.

— عبدالله بن عبدالمطلب والد الرسول :

عبدالله والزبير وعبد مناف «ابوطالب» اخوة اشقاء، وامهم جميعا فاطمة بنت عمر بن عائذ بن عمران بن مخزوم^(١).

كان عبدالمطلب قد نذر انه ان توافر له عشرة رهط، ان ينحر احدهم، فلما توافر له عشرة اقرع بينهم، فطارت القرعة على عبدالله بن عبدالمطلب، وكان احب الناس اليه. فقال عبدالمطلب اللهم هو أومئة من الابل، ثم اقرع بينه وبين مئة من الابل فطارت على المئة^(٢).

خرج عبدالمطلب حتى اتى بني وهب بن عبد مناف بن زهره، وهو سيد بني زهرة سناً وشرفاً، فزوجه آمنة بنت وهب وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً، فدخل عليها عبدالله، فحملت بمحمد ﷺ^(٣).

لما خرج عبدالمطلب بعبدالله ليزوجه، مر على كاهنة من خثعم يقال لها فاطمة بنت مر متهودة من أهل تبالة، قرأت الكتب، فرأت في وجهه نوراً فقالت له : يا فتى، هل لك ان تقع علي الآن واعطيك مئة من الابل؟ فقال عبدالله والد الرسول ﷺ :

اما الحرام فالممات دونه والحل لا حل فاستبينه فكيف بالأمر الذي تبغينه؟^(٤)

وقيل ان المرأة قتيله بنت نوفل اخت ورقة بن نوفل، وكانت تنظر وتعترف فمر بها عبدالله، فدعته يستبضع منها ولزمت طرف ثوبه، فأبى ونظر اليها قائلاً أما الحرام فالممات دونه^(٥).

(١) راجع تاريخ الطبري ج٢ ص ١٧٢.

(٢) راجع تاريخ الطبري ج٢ ص ١٧٢ و ١٧٣ والطبقات ج١ ص ٨٨.

(٣) راجع تاريخ الطبري ج٢ ص ١٧٤.

(٤) راجع تاريخ الطبري ج٢ ص ١٧٥.

(٥) الطبقات ج١ ص ٩٦.

والخلاصة:

انك اذا اضفت افعالهم بالحروب الايمانية ، ووقفهم الباسلة بجانب رسول الله ﷺ أبان بعثته وتضحياتهم الجسام من اجل الدفاع عنه ، فاذا اضفتها إلى موقعهم الشامخ قبل الإسلام واضفت على هذا كله النصوص الشرعية القاطعة ، فان أي باحث مهما كان متحيزاً ، يضطر إلى الاعتراف بان القرابة الطاهرة ركن حقيقي من اركان النظام السياسي الإسلامي ، فمنهم يجب أن يكون الامام ، وهم ابرز الفئات التي ينبغي ان تباع الامام البيعة الخاصة ، فاذا تعدتهم الشورى فهي مهزلة واذا خلا أهل الشورى منهم فلن يكونوا غير اشباح .

وقد ثبت ان اول محاولة للقتال دفاعاً عن حياة نبي الإسلام من بني هاشم وبني المطلب ، وذلك عندما سلم أبوطالب ، كما اسلفنا ، الفتية الهاشميين والمطلبين حدائد صارمة ، واعلن لملأ قریش بان محمداً ان قتل ، فانه ورهطه سيقاتلون قرشياً حتى يفنى واياهم .

وفي معركة بدر ، على سبيل المثال ، اول ثلاثة برزوا للقتال كانوا من العترة الطاهرة ومن سلالة عبدالمطلب وهم : علي ، وحمزة ، وعبيد بن الحارث . واول شهيد كان من العترة الطاهرة . ، وافعال علي ، حامل رايات الرسول ، في كل موقع ، اكبر من ان يتناساها حاسد .

فقد كانت العترة الطاهرة ، سبابة في كل مجال ، وهي اعظم من ان تنسى أو ان ينكر فضلها على الإسلام ، فلا اقل من ان تستشار ، فكيف والنصوص آخذة بالاعناق وقد سكرت على الحاسدين الأفاق وحصرتهم .

٢- الفئة الثانية من أهل الشورى التي تباع الإمام البيعة الخاصة وهي أفاضل الصحابة أو الصحابة الفضلون

١ - أهمية الموضوع :

كيف نعرف الصحابة الفضلين، أو أفاضل الصحابة، عن طريق الشرع لا عن طريق العقل، بالمثال الحي الديني المحسوس لا عن طريق الواقع المفروض، كما يريد الشرع لا كما يريد الحكام، علمياً وموضوعياً، لا مزاجياً ولا هوى.

كل فئة حاكمة يلتف حولها نفر من العلماء، ولأن السلطة الحاكمة تملك السيطرة على وسائل الاعلام تبرز علماء سوء وتنتشر مؤلفاتهم وتبناها بأساليبها المختلفة وتطول المدة، فتأتي الأجيال فتتلقف ما ترميه لها السلطة وتعرف الحقيقة من خلالها وتطمس المعارضة. ولا يعرف الناس إلا ما هو أبيض وجميل، وتكرر المأساة.

ولمعرفة أفاضل الصحابة، لا بد من تحديد من هو الصحابي؟ ثم من هم أفاضل الصحابة؟ الذين يشكلون الفئة الثانية من أهل الشورى الذين يبايعون الإمام البيعة الخاصة، وتقع عليهم مسؤولية بيعة الإمام الخاصة، وتقع عليهم مسؤولية التعاون مع الإمام لإقامة حكم الله في الأرض.

٢ - من هو الصحابي :

(من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام، طالت مجالسته معه أو قصرت روى عنه أو لم يرو، غزا معه أو لم يغز، من رآه ولم يجالسه، ومن لم يراه لعارض)^(١).

ويرى بن حجر أيضاً أنه من رأى النبي وهو صبي مميز، فهو صحابي، اذ غير المميز لا تصح نسبة الرؤيا له^(٢).

والحقيقة أن كلمة صحابي تطلق على كل الذين أسلموا مع محمد وتظاهروا بالإسلام ودليلنا على ذلك ما ذكره ابن حجر في الفقرتين السابقتين وما بينه رسول الله

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج ١ ص ٧ و ٨ و ٩.

فقد قال عن عبدالله بن ابي زعيم المنافقين قولاً واجداً (فلمعمرى لنحسنن صحبته ما دام بين اظهرونا)^(١). ولما اقترح عليه بعض الناس أن يقتل عبدالله بن ابي قال بما معناه: كيف يقال بان محمداً يقتل اصحابه؟

ثم ان ابا سفيان اسلم يوم الفتح وهو من المؤلفة قلوبهم، ومثله معاوية ابنه وهما صحابيان بالاجماع.

ثم ها هو عبدالله ابن ابي سرح، كان يكتب لرسول الله الوحي، ثم افترى على الله الكذب وارتمى واباح الرسول دمه، ولو تعلق بأستار الكعبة، وعند فتح مكة تشفع له عثمان ودخل في الإسلام كأبي طليق، واخيراً ولاء عثمان ولاية مصر وهي اعظم ولايات الدولة الإسلامية، وهو صحابي أيضاً شاء الناس أم ابوا^(٢).

ثم ها هو ابوه سعد بن ابي سرح مسلم وصحابي، ومع هذا من عيون المنافقين^(٣).

ثم ها هو الحكم بن العاص طريد رسول الله ﷺ، طرده الرسول إلى مرج قرب الطائف وحرم عليه ان يدخل المدينة ما دام الرسول فيها، وبوفاة الرسول راجع عثمان أبابكر ليدخله، لكن أبابكر رفض. ولما مات أبوبكر راجع عمر ليدخله ولكن عمر رفض أيضاً ان يدخله المدينة في عهده. ولما تولى عثمان الخلافة أدخله معزاً مكرماً واعطاه مئة الف درهم لانه صحابي^(٤).

ومن سلالة الحكم بن العاص هذا مروان بن الحكم أبوخلفاء بني امية ودليل مسلم بن عقبة، قائد حملة المدينة وبطل يوم الحرة التي قتل فيها عشرة الاف صحابي. ومسلم هذا هادم الكعبة ومفوض سقفها وهو أيضاً من الصحابة.

وأبوسفيان قاتل الإسلام بكل فنون القتال، واسلم يوم الفتح، يوم وجد نفسه محاصراً، وهو صحابي.

(١) الطبقات لابن سعد ج ٢ ص ٦٥.

(٢) المعارفة لابن قتيبة ص ١٣١ و ١٤١.

(٣) راجع المعارف لابن قتيبة ص ١٣١.

(٤) راجع المعارف لابن قتيبة ص ٥٤.

كيف يكون الاطفال صحابة ولا يكون أبوسفیان والحکم ومعاوية وعبدالله ابن
ابي سراح؟

لان العبرة برؤيا الرسول أو مجالسته بعد الايمان أو الاسلام الظاهر.

— أهمية معرفة أفاضل الصحابة :

أن معرفة أفاضل الصحابة، أمر في غاية الأهمية . فهم الذين يباعدون الامام
البيعة الخاصة، وهم ركن من أهل الشورى، وهم الذين ينفذون أوامر الامام، وهم
حكومتهم الفعلية، وهم الذين يقومون بتهيئة المجتمع لتلقي الذكر وتطبيق الشريعة،
ولاعطاء البيعة العامة، كما سنوضح عند بحث وظائف أهل الشورى ومنهم الامراء .

— مجموعتنا الصحابة :

ومن هنا يتبين لنا بوضوح ان اصطلاح الصحابة يشمل كل الذين اسلموا أو
تظاهروا بالإسلام وسمعوا رسول الله ﷺ أو جالسوه أو رأوه . وهم يتألفون من
مجموعتين كبيرتين :

١ - افاضل الصحابة : وهم الاخيار الذين قامت الدولة على اكتافهم .

٢ - بقية الصحابة : ومنهم ضعيف الايمان أو متوسطه ومنهم الصبي ومنهم المنافق .

فالمنافقون الاشرار جعلهم الله في الدرك الاسفل من النار . مع انهم كانوا
يتظاهرون بالإسلام، ويسمون أيضاً صحابة بكل المعايير المعروفة . ، وقد عني كثير
من الباحثين بتقسيم الصحابة إلى طبقات، كابن سعد وكالحاكم كما سنذكر ذلك .

(١) راجع المعارف لابن قتيبة ص ١٥٣ .

— تفسير هذا التقسيم وتبريره :

أبو بكر رضي الله عنه صحابي ، وعبد الله بن أبي صحابي ، لأن العبرة بالتصديق أو بالتظاهر بالتصديق ، والعبرة بالاجتماع مع الرسول أو عند اللزوم رؤياه والسماع منه إذا قالوا لا إله إلا الله محمد رسول الله عصموا دماءهم . فالله هو المطلع على الضمائر ، العالم بخائنة الأعين وما تخفي الصدور .

وانطلاقاً من هذا الاعتقاد ، كان النبي ﷺ يكتفي بالظاهر ويترك البواطن لله فمن أظهر إسلامه ، اعتبر مسلماً ، وسلوك الإنسان متروك للمستقبل ولرحمة الله وتأثير المجتمع المسلم به ، ولموقف الفرد من معارك الإيمان مع الكفر تحت قيادة الرسول أو من ينتدبه ، ومن الطبيعي أن النبي لم يقل لمنافق انت منافق .

مع ان القرآن الكريم حافل بالآيات التي تقرر بشده المنافقين وتكشف اسرارهم وتفضح اضعفانهم وتعالج امورا واقعية وتصف حالات لأفراد كانوا يعتبرون صحابة ومسلمين .

والشريعة وضعت صفات موضوعية لأعمال البر والتقوى ولأعمال الفجور ، فمن توفرت فيه صفات معينة ، حشرته تلك الصفات باحدى هاتين الفئتين ، وترجمة الصفات وبيانها متروك لسلوك الانسان ميدانياً . فالصدام مع الكفر لم يتوقف ، طيلة حياة النبي . والإنسان يعكس دائماً حقيقة اعتقاده بسلوكه أجلاً أم عاجلاً ، وبانتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى كان كل مسلم من مواطني الدولة المسلمة يعرف حقيقة موقعه في حوض التقوى أو في بؤرة الفجور . وعرف الناس كلهم منازل بعضهم ، مع ان المجتمع المسلم خاصة المدينة كان مجتمع صحابة ولكل واحد منهم صفة صحابي علمياً أو اصطلاحاً .

— طبقات الصحابة :

الناس القادرون على البحث يتهيبون عادة من تفضيل صحابي على صحابي خشية الخدش في مقامهم الكريم .

ولعمري تلك غفلة ، بل الظلم بعينه ، فأبو بكر ليس كمعاوية ، وعمر ليس كعبد الله بن أبي سرح .

وان نعطيهـم نفس الدرـجة من المحبة والتقدير ظلم صارخ، وخلط فظيع ينفر منه العقل، وتآباه الفطرة.

ما كان ضرابا بكر اذن لو انتظر حتى تفتح مكة ويسلم مع ابي سفيان، لكان بامكانه لو فعل ذلك ان يتجنب سني الالم والعذاب.

قل ويملء فيك ان ابا بكر افضل من معاوية، وبان عثمان افضل من ابي سفيان قل هذا وانت مرتاح الضمير ونتيجة قناعة عقلية ووجدانية.

اما قولك ان معاوية كعثمان، رضي الله عن الاثنين، فهذا الظلم بعينه، لانك تساوي التابع بالمتبوع والسابق بالمتأخر.

فكلمة الصحابة، هي الحوض الواسع، لكن الصحابة لم يكونوا على درجة واحدة عند الله وعند رسوله، ولا ينبغي أن يكونوا كذلك.

انظر إلى قوله تعالى :

﴿وتلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾. فمنهم أولي العزم، ومنهم من رفع إلى السماء، ومنهم تابع ومنهم متبوع.

فلا يعقل ان يكون عمر كأيي سفيان، وان يكون معاوية كعمار، ولا يعقل ان يكون المهاجر كالطليق مع ان الجميع صحابة.

لا الشرع يقبل ذلك ولا المنطق، هم جهلة حقيقة الذين يضعون الصحابة بدرجة واحدة ولا يكلفون انفسهم عناء البحث، لأن همهم قد قعدت بهم.

فالقاعد ليس كالمجاهد، والعالم ليس كالجاهل، ومن اسلم عن اقتناع ليس كمن اسلم لينجو بروحه بعد ان رجفت جزيرة الشرك، وضافت عليهم الارض بما رحبت ولم يجدوا طريقا للخروج من العزلة وللوصول إلى السلامة إلا بالإسلام.

فالمساواة العشوائية بين الصحابة خروج على نصوص الشرع ومقاصده، واستمرار هذا الوهم في نفوس الناس جعلهم يلفون حول أنفسهم في عزلة عن الشرع وبحرمان كامل من الاستفادة من عبرة التاريخ.

رب قائل ان التفضيل يؤدي إلى الخدش في مقام الصحابة ، لماذا لا نعتبر نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة خدشا ، ألسنا نحسن ما لم يحسنه الله ونقبح ما لم يقبحه الله ورسوله؟

إذا كان الله ورسوله قد فرقا فكيف نوحده؟ كتاب الله مليء بالمقارنات بين الغث والسمين؛ والصالح والطالح، حتى الصالحين اعطاهم مراتب بقدر صلاحهم، والطالحين اعد لهم عقابا بقدر فسادهم، لأن الله عادل ولا يحب الظالمين.

— الادلة على سلامة منهج التفاضل :

قال تعالى : ﴿فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة وفضل الله المجاهدين على القاعدین أجراً عظيماً﴾^(١). ﴿وتلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾^(٢). والتفضيل وارد حتى على مستوى الاقوام فها هو تعالى يخاطب بني اسرائيل قائلاً : ﴿اني فضلتكم على العالمين﴾^(٣). ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتيناه داود زبوراً﴾^(٤). ﴿واسماعيل وإلياس واليسع ويونس ولوطاً﴾^(٥). ﴿وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾^(٦). ﴿لا يستوي من أسلم من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة﴾^(٧).

والتفضيل ضرورة لمعرفة الأفضل ومن هو المستحق لملء الوظائف العامة ، عملاً بقوله ﷺ : «من ولي على عصابة رجلاً وهو يجد من هو أَرْضَى الله منه ، فقد خان الله ورسوله»^(٨).

يقول تعالى : ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها . . .﴾ وقد فسرهما الطبري باسناد الولاية لمن هو جدير بها ، وأن أول من سمع هذه الأحكام هم الصحابة . ومن المعني بذلك غيرهم ؟ .

(١) سورة النساء آية ٩٥ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٣ .

(٣) سورة البقرة آية ٤٧ .

(٤) سورة الاسراء آية ٥٥ .

(٥) سورة الانعام آية ٨٦ .

(٦) سورة الاسراء آية ٢١ .

(٧) نظام الحكم للقاسمي ص ٤٧٨ .

إذن، فالصحابة ليسوا على درجة واحدة، فمنهم الصادقون، وهم طبقات في صدقهم، ومنهم منافقون، وهم طبقات، ومنهم أقوياء، ومنهم ضعفاء وهم طبقات. وانتماء الصحابة لطبقة من الطبقات يحدد شرعاً دوره في الأمور السياسية للمجتمع، وقد وضع الشرع الحنيف بقرآنه وسنته معالم تلك الطبقات. فهذا ابن سعد جمعهم في خمس طبقات، ويمكن مراجعة طبقات ابن سعد. وهذا الحاكم جمعهم في اثنتي عشرة طبقة في مستدركه.

— طبقات الصحابة كما ذكرهم الحاكم في مستدركه^(١) :

- ١ - الطبقة الأولى : الذين أسلموا بمكة قبل الهجرة كالخلفاء الراشدين .
- ٢ - الطبقة الثانية : أصحاب دار الندوة .
- ٣ - الطبقة الثالثة : مهاجرو الحبشة .
- ٤ - الطبقة الرابعة : أصحاب العقبة الأولى .
- ٥ - الطبقة الخامسة : أصحاب العقبة الثانية .
- ٦ - الطبقة السادسة : أول المهاجرين الذين رحلوا بعد هجرة الرسول إلى المدينة .
- ٧ - الطبقة السابعة : أهل بدر .
- ٨ - الطبقة الثامنة : الذين هاجروا بين بدر والحديبية .
- ٩ - الطبقة التاسعة : أهل بيعة الرضوان .
- ١٠ - الطبقة العاشرة : من هاجروا بين الحديبية وفتح مكة، كخالد بن الوليد وعمر بن العاص .
- ١١ - الطبقة الحادية عشرة : الطلقاء، وهم الذين أسلموا يوم فتح مكة، ك معاوية وأبي سفيان .
- ١٢ - الطبقة الثانية عشرة : صبيان وأطفال رأوه يوم الفتح .

(١) راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٢٧-٢٢٨ .

فأول الناس إسلاماً، خديجة رضي الله عنها، ثم علي عليه السلام، تنبأ رسول الله يوم الاثنين وأسلم علي يوم الثلاثاء، ثم زيد بن حارثة، ثم أبوبكر رضي الله عنهما^(١).

روى ابن ماجة أن جبريل جاء إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون من شهد بدرأ؟ قال ﷺ: خيار. قال جبريل: عندنا هم خيار الملائكة. ثم يأتي أصحاب بيعة الرضوان.

هذا خلاصة ما كتبه فقهاؤنا (أهل السنة) عن طبقات الصحابة.

وقد تنبه إلى ذلك الفاروق عند توزيع الأعطيات، وأخذ بعين الاعتبار توزيع العطايا حسب الطبقة، ولم يساويين أول من أسلم بآخر من أسلم، ولا ساوى بين من قاتل الإسلام بكل فنون القتال حتى حوصر بجزيرة الشرك مع الرجل الذي قاتل مع الإسلام كل معاركه حتى أعز الله دينه لأن هذه المساواة تغضب وجه الله^(٢).

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٢٧.

(٢) راجع فتوح البلدان للبلاذري.

المعايير الموضوعية للتفاضل

— المعيار الأول: القرابة الطاهرة:

القرابة الطاهرة، هم خير الناس على الإطلاق، أنبا بذلك اللطيف الخبير عن طريق رسول الله ﷺ بدليل قوله ﷺ:

١ - «إن الله قسم الخلق إلى قسمين، فجعلني في خيرهما قسماً، ثم جعل النصف أثلاثاً، فجعلني في خيرهما ثلثاً، ثم جعل الأثلاث قبائل، فجعلني في خيرها قبيلة، ثم جعل القبائل بيوتاً، فجعلني في خيرها بيتاً. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ فإنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب»^(١).

٢ - وفي حديث آخر بأن الله اختار من العرب قريشاً، واختار من قريش بني هاشم، واختار من بني هاشم بني عبدالمطلب^(٢): «وقد سقنا هذا النص في أدلة التسمية» فارجع إليها.

إذاً، فالقرابة الطاهرة هم الصفوة الأخيار، فكل فضل يقصر عن فضلهم، وكل درجة تهبط عن درجتهم. ثم إن النصوص النبوية تصل إلى درجة التواتر، وتثبت أن القرابة الطاهرة مع القرآن والقرآن معهم لا يفترقان ثم هما معاً. (القرابة الطاهرة والقرآن الكريم يشكلان عصمة من الضلال ويمنعان الناس من الضلالة إن اتبعوهما)^(٣).

(١) راجع فتح الغدير للشوكاني ج٤ ص ٢٨٠ وقد نقله عن الترمذي والحاكم والطبراني وابن مردويه والبيهقي.

(٢) راجع النص في الطبقات لابن سعد ج١ ص ١٩ و ٢٠.

(٣) راجع كنز العمال ج١ ص ٤ وراجع مسند الامام أحمد ص ١٨٢ و ١٨٩ و ٥ وراجع الحاكم ص ١٤٨ ج٣ وراجع الذهبي في تلخيص المستدرك ص ١٠٩ ج٣ من المستدرك و ص ٥٣٣ وراجع فصل ٢ باب ٩ ص ٥٧ من الصواعق المخترقة لابن حجر وراجع ص ٥٥ من المراجعات للعالملي و ص ١٤٩ ج٣ من المستدرك للحاكم.

وقد فصلت ذلك في موقف الشرع من تسمية الإمام، وفي الأدلة الدالة على أنهم من أهل الشورى الذين يبايعون الإمام البيعة الخاصة، وسقت كل الأدلة الشرعية ووثقتها، وبينت مركزهم الاجتماعي قبل الإسلام كناصية لقريش وفضلهم على الإسلام ونبه بالمحافظة على حياة نبي الإسلام وتضحيتهم في سبيل الإسلام ونبه. فارجع إلى ذلك كله في البيعة الخاصة.

والخلاصة، أن الدولة التي لا تقدمهم دولة آيلة للسقوط، وأن الأمة التي لا ترفعهم أمة ضلت طريقها وستبقى تحت رحمة الظالمين.

فالقراءة الطاهرة هم أفضل الأمة، وهم أيضاً مراتب، وقد تكفل الشرع ببيان عميدهم ومراتبهم.

— المعيار الثاني للتفاضل: السابقة في الإيمان :

فالذين سبقوا في الإيمان أفضل من الذين لحقوا بهم. وهم بمثابة الاخوة الكبار أو الآباء المؤسسين أوجب الله الدعاء لهم كما أوجب للآباء.

﴿ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا في الإيمان﴾^(١). ﴿ولكن ليلوكم فيما أتاكم فاستبقوا الخيرات﴾^(٢).

وأعظم الخيرات الدخول في الإسلام. راجع فهم عمر للسابقة في فتح البلدان^(٣). ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار﴾^(٤).

أولئك الذين صمدوا مع النبي وتحملوا الأذى وسخرية الكثرة الكافرة، التفوا حول الرسول ﷺ يوم ابتعد عنه كل الناس، وأصاغوا له آذانهم، وعرفوا قواعد الشريعة ميدانياً يوم وضع كل الناس أصابعهم في آذانهم، وعلى أكتافهم، ومنهم تكونت بؤرة الإيمان وقاعدته. وكانوا عضد الرسول وعونه في نشر دعوته، أبواب بكر أفضل من عمر لأنه أسبق منه في الإيمان.

﴿لا يستوي من أسلم من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة...﴾^(٥).

(١) سورة الحديد الآية ١٠.

(٢) سورة البقرة الآية ١٤٨ - المائدة الآية ٤٨.

(٣) راجع فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٣٧-٤٣٨.

(٤) سورة التوبة الآية ١٠.

— المعيار الثالث للتفاضل : التقوى :

السابقة في الايمان تتجلى بالانتساب المبكر للإسلام . والمساهمة مع الرسول ﷺ في اقامة الحق واطهار الإسلام على الدين كله . ومما يدل على ذلك والطريق المؤدية إلى هذا الهدف هي التقوى ، أي طاعة الله ورسوله (تجنب ما حرما والاقبال على ما أحلا) ، ومراقبة الله في كل خطوة يخطوها الفرد .

هذه التقوى هي الاطار الذي يضم المعاني السابقة . وعملياً يعرف المتقون من غيرهم عن طريق طاعة الرسول وصدعهم بأوامر الهدى ، وعدم تلكتهم باجابته في كل أمر ، وتلك أمور تعرف بموقف الفرد من الانقياد إلى رسوله ، وموقفه من الدعوة وأعدائها ، فعلى الذي اشترك في كل المعارك باستثناء تبوك لم يخرج بناء على أمر الرسول ليس كأبي صفرة الذي يلتمس الاذن له بالبقاء والقعود ، لأنه يخشى على نفسه من فتنه نساء الروم .

قال تعالى : ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾^(١).

— المعيار الرابع للتفاضل : العلم :

المؤمن لا يستطيع أن يؤمن إذا لم يعرف ماهية الايمان ، والخطوط العريضة لهذا الايمان على الأقل . ولا يستطيع الانسان أن يتقي إلا إذا عرف ما ينبغي أن يتجنبه ، وما ينبغي أن يفعله .

والقرآن الكريم مجمل في أكثره والسنة المطهرة مبينة وفيهما تفصيل كل شيء . قال تعالى : ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ . وقال : ﴿يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات﴾ . وقال تعالى : ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ .

والقرآن الكريم بايجازه العجيب ، ويصنعه المعجزة وأمثاله الكثيرات ، يحتاج إلى ملكات عقلية خاصة تبين للعامة ، ويعجز عن ذلك غير العلماء . قال تعالى : ﴿اخترناهم على علم على العالمين﴾ . فأعلم الناس بالقرآن والسنة مع التقوى والسابقة في الايمان والقرابة الطاهرة هو الأفضل مطلقاً . قطعاً .

(١) سورة الحجرات الآية ١٣ .

— المعيار الخامس للتفاضل : تقييم الرسول القائد :

فالرسول هو قائد الصحابة ، وهو مرتبط بالوحي ومرتب مع القرآن كلاهما متمم للآخر ، لأنه هو الذي يبين القرآن ، ولأن القرآن معجزته ، وفيه الكثير الكثير من الأمور التي تحتاج إلى بيان ، فضلاً عن ذلك ، فإن الرسول هو القائد لكل المعارك التي خاضها الايمان ضد الكفر ، وهو الشاهد على كل فرد انخرط في جند الله ، وهو القادر على أن يقدم رأيه فيه ويعطي تقريراً صادقاً عن كل واحد من الصحابة ، لأنه أعلم الناس باتباعه بعون الله بالوحي ، وبملاحظته الحسية وعصمته أثناء تطبيقه لقواعد الشريعة ، وأثناء ترعرع مجتمع الايمان وأثناء تحركه لتنفيذ مرامي الشريعة وتمكين أجزائها .

وقد أبدى الرسول رأيه بكل الصحابة السابقين في الايمان ، ولم يكن هذا الابداء عبثاً ، إنما كان نوراً لمعرفة الأفضل ، لأن صفوة الصحابة وأفاضلهم هم قادة الأمة مستقبلاً ، فأحاديث الرسول وآراؤه بأصحابه هي التقارير العلمية والملفات الصادقة لهم .

— الحكم على هذه المعايير :

وهي معايير ، كما ترى ، مستمدة من الشريعة ، ومن الشريعة وحدها . وهي معايير موضوعية لمعرفة الأفضل ، وما سواها غشاء كثفاء السيل . ودليلي على ذلك ، علاوة أن هذه المعايير كانت موضع احتجاج دائماً ، ولو عند الحاجة ، بالرغم من الظروف السياسية .

راجع على سبيل المثال حجة أبي بكر في سقيفة بني ساعدة ، وكيف احتج بالقرابة من رسول الله ، وكيف أصبح أولى من الأنصار .

وأنظر إلى حجة عمر أيضاً في السقيفة ، وكيف ركز على القرابة من رسول الله وقال : من ينازعنا سلطان محمد ونحن أهله وعشيرته . وقوله أن العرب تأبى أن تولي الخلافة إلا من كانت النبوة فيهم^(١) . ثم راجع طريقة عمر بتوزيع العطايا^(٢) . لقد أخذ بأكثر هذه المعايير .

(١) راجع الامامة والسياسة ص ٩-٥ على سبيل المثال وراجع ج ٣ ص ١٩٩ من تاريخ الطبري .

(٢) راجع فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٣٧-٤٣٨ .

— أهل الشورى:

والخلاصة أن الذين يبايعون الإمام البيعة الخاصة، هم أهل الشورى، وأهل الشورى، كما رأينا، يتألفون من فئتين هما:

أ - القرابة الطاهرة، كالحمزة وعلي وجعفر والعباس والحسن والحسين . . .

ب - أفاضل الصحابة، وهم:

١ - المهاجرون الأولون، كالحمزة وجعفر وعلي وأبو بكر وسعيد بن العاص^(١)

وعمر وعثمان وأبو عبيدة وسعد ابن أبي وقاص وعمار وأبو ذر وسلمان الفارسي.

٢ - كبار الأنصار وسابقوهم، كسعد بن عباد وسعد بن معاذ وقيس بن سعد والحباب بن المنذر.

٣ - الذين اشتركوا في معركة بدر، وهي أول مواجهة بين الكفر والايمان، ومنهم علي والحمزة وأبو بكر وعمر والحباب والمقداد وسعد بن عباد

وسعد بن معاذ، فالنصوص متواترة بأنهم الأفضل.

٤ - الذين هاجروا قبل معركة بدر لأنها كانت الفيصل.

— وظائف أهل الشورى:

١ - يبايعون الإمام البيعة الخاصة. ويقدمونه للأمة ويأخذون له البيعة العامة منها.

٢ - ولولم يكن هناك نص على خليفة النبي ﷺ، فهم الذين يرشحونه من بينهم، ويبايعونه البيعة الخاصة ويقدمونه للأمة.

٣ - التوسط: يدافعون عن رأي الإمام ويرزون حجة الإمام ويوطلدون له أمره ويمكنون له حكمه.

٤ - وهم حكومة الإمام الفعلية ومجلس وزرائه، ينفذون قوله ويتبعون رأيه وهم نصحاؤه يطلبون توضيح ما أشكل عليهم وعلى العامة، ويأمرون الإمام والأمة بالمعروف وينهون الأمة عن المنكر.

(١) يقال إن سعيد بن العاص أسلم قبل إسلام أبي بكر راجع ص ١٧٨ من المعارف لابن قتيبة.

- ٥ - هم منفذو سياسة الإمام، فهم الهيئة التنفيذية، الإمام المعتصم بالله مهدي بأمره لا ينطق عن الهوى وما يفعل شيئاً إلا بإذن الله وأمره. فإذا لم يتعين الإمام منهم وبتأييد أكثريتهم من غير اكراه فالخلافة ليست شرعية. هذه الفئة سابقة للناس بجهدهما وبايمانها ومعرفتها للدين، وجمعت فوق ذلك ثقة المسلمين.
- ٦ - وهم أهل الاجتهاد، لأن منهم علماء الدين، وشروط المجتهد متوفرة بهم، (وهي مفصلة في باب مصادر النظام السياسي في الإسلام)، وبالتالي هم مجلس شورى الإمام - وقل إن شئت - أنهم أهل الحل والعقد الشرعيين، صنعهم الشرع ومحصلتهم معاناة نصرة الحق، لا السياسة ولا مكرهاً.
- ٧ - وأخيراً هم الحوض الذي يختار منه الإمام مساعديه، فيصطفى منهم لنفسه من يشاء لغاية محددة ومؤقتة أو دائمة.

ومن المدهش، وما يثبت وجهة نظري تلك، أن آيات الأحكام جميعاً موجهة للذين آمنوا، والمعياري الذي اتخذته في بيان وظائفهم، هو أن رئيس الدولة هو الرسول أو شخص اختاره الله وسماه الرسول بناء على أمره.

٢ - (البيعة العامة في التاريخ)

بحثنا البيعة بطريقة مفصلة، في باب دور الأمة بتعيين الإمام، ولا بد من الرجوع إليها والوقوف عليها لمعرفة موقف الشرع من البيعة العامة.

كل الخلفاء الذين تعاقبوا على رئاسة الدولة الإسلامية عبر التاريخ الإسلامي كله كانوا يحرصون على أن يبايعهم الناس بيعة عامة، كأن هنالك قناعة مطلقة بأن الخلافة لا تتم والرئاسة لا تجوز بغير بيعة عامة. وكل خليفة - على الاطلاق - كان يحصل على البيعة العامة، ولا يعتبر أن أموره قد استقامت ما لم يبايعه الناس البيعة العامة.

وقد تفنن كثير من الخلفاء بأساليبهم للحصول على البيعة العامة، فقد هددوا من لم يبايعهم بالقتل واستعملوا الارهاب، كما فعل بسربن ارطأة في المدينة ومكة واليمن، ليضمن حصول معاوية على البيعة العامة، واستعانوا بالمال والاغراءات والخدع ليضمنوا البيعة العامة.

وهذه الأساليب ليست غير شرعية فحسب، بل هي ضد الدين نفسه، وليس لهكذا خلافة نصيب من الشرعية سوى اسم الخلافة.

(١) راجع نظام الحكم للقاسمي ص ٢٨١ واطلع على الطريقة التي اخذ بها معاوية البيعة له ولابنه.

— نصف النظام السياسي الإسلامي قبل تطبيقه :

هنالك ثلاثة عوامل، أو إن شئت فقل ثلاثة أحداث هزت النظام السياسي الإسلامي هزاً عنيفاً، ونسفته، وجعلت امكانية تطبيقه بعد وفاة الرسول على الأقل فيما يتعلق برئيس الدولة، أمراً في غاية العسر، إن لم يكن مستحيلاً. وتوقف تطبيقه من ناحية تعيين رئيس الدولة.

هذا التوقف، أثر تأثيراً ساحقاً على تطبيقه في النواحي الأخرى. لأن الإمام أو رئيس الدولة في الإسلام يتمتع بصلاحيات هائلة تفوق كثيراً صلاحيات رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.

وعندما آلت رئاسة الدولة إلى أناس غير الذين أرادهم الشرع، واستعمل هؤلاء صلاحيات الإمام الشرعي، تعمقت الهوة أكثر واتسع الخرق وعم البلاء، ولكن باسم الدين والخليفة.

ودار التاريخ دورته، فوجد الناس رأياً واحداً هو رأى السلطة أو الرأي الذي أجازته السلطة، ووجد الناس لوناً واحداً هو اللون الأبيض، مما يوحي ظلماً بأن النظام السياسي الإسلامي سقط لعدم أهليته للحياة. مع أنه في الحقيقة أسقط بعث الذين جعلوا من أنفسهم بغير حق أوصياء عليه، والذين اتخذوه مطية لمطامعهم في السلطة.

— الأحداث الثلاثة التي هزت النظام قبل تطبيقه :

الحدث الأول: يوم الرزية^(١): كما يسميه ابن عباس يوم منع الرسول من كتابة كتابه^(٢).

وتفصيل ذلك: أنه لما حضر رسول الله ﷺ قال النبي: «هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً». أي أن الرسول ﷺ عرض على الأمة أن يؤمنها ضد الضلال، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي قد غلب عليه الوجع، وعندنا القرآن حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت، فاختصموا، فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله كتاباً لا تضلوا بعده أبداً، ومنهم من يقول القول ما قاله عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند الرسول ﷺ قال لهم رسول الله: «قوموا...». قال ابن عباس: إن الرزية، كل الرزية، ما حال بين الرسول وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب.

وعندما يصرحون باسم المعارض يقولون: قال عمر أن الوجع قد اشتد به، وعندما لا يذكرون اسم المعارض لكتابة ذلك الكتاب يقولون: قالوا أن رسول الله (حاشا له) قد هجر.

ومع هذا، يعترفون بأن الرسول ﷺ قد غضب في ذلك المجلس، وأوصى باخراج المشركين من جزيرة العرب، وأجازة الوفد بنحو ما كان يجيزه وقالوا انهم نسوا الثالثة.

وباختصار شديد، حالوا بين الرسول ﷺ وبين كتابة كتابه الذي يؤمن فيه الأمة ضد الضلالة، وواجهوه بهذه الكلمة الجارحة (بأن الرسول قد هجر).

(٢١) راجع صحيح بخاري ج١ ص ٢٢ وصحيح مسلم ج٢ ص ١٤ ومسند الامام أحمد ج٣٢٥ ص ١٤٠ و ص ٢٠ من مجلد ٢ شرح النهج لعلامة المعتزلة بن أبي الحديد وراجع ص ١١٨ ج٢ من صحيح بخاري وراجع صحيح مسلم في آخر كتاب الوصية وراجع مسند الامام أحمد ج١ ص ٢٢ و ص ٣٥٥ وراجع الطبراني و ص ١١٤ مجلد ٣ من شرح النهج سطر ٢٧ وراجع ص ١٣٨ ج٣ من كنز العمال وراجع تاريخ بغداد للامام أبي الفضل أحمد ابن أبي طاهر وراجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٢٤٢-٢٤٥ وراجع المراجعات للامام العاملي ص ٣٠١-٣١٢ وقد سقنا المراجع مقصلة باكثر من مناسبة هنا فارجع اليها.

والحقيقة، أن عمر قد اجتهد بأن الرسول ﷺ قد اشتد به الوجع، فلا ينبغي أن يسمح له بكتابة أي كتاب، حتى ولو كان يمنع الضلالة عن هذه الأمة.

وكلمة (اشتد به الوجع) هي الكلمة الملطفة، أما الكلمة الحقيقية فهي قولهم أن الرسول ﷺ قد (هجر).

وتعتبر هذه الحادثة أول أسفين دق - ويعنف - في النظام السياسي الإسلامي، وأول طريق من طرق الانحراف عن هذا النظام. وهي حادثة لا يمكن الاعتذار عنها، فهي (بائقة الدهر وفاقة الظهر)^(١).

وكيف نوفق بين منع الرسول ﷺ من كتابة وصيته بحجة أن المرض قد اشتد به، وبين السماح لأبي بكر بكتابة وصيته مع أن المرض قد اشتد به أكثر من اشتداد المرض برسول الله ﷺ.

لاحظ حادثة مرض أبي بكر المجمع عليها:

(فلما تمّ لأبي بكر ما أراد من المشورة، دعا عثمان خالياً - أي وحده - وقال أكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، ثم أغمي عليه من شدة الوجع، فكتب عثمان فإني استخلف عليكم عمر بن الخطاب ولم ألكم خيراً. فلما أفاق أبو بكر قال لعثمان: اقرأ عليّ، فقرأ عليه ما كتب، فقال أبو بكر أراك خفت أن يختلف الناس إن اختلفت نفسي في غشيتي، قال عثمان: نعم، قال أبو بكر: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله، وأقرها أبو بكر^(٢). [تلك حقيقة بالإجماع].

وأن مرض الرسول لم يصل إلى هذه الدرجة من الشدة، فكيف يمنع الرسول ﷺ من الكتابة ويسمح لأبي بكر مع أن العلة واحدة؟! ألا يحق لرسول الله ﷺ ما يحق لأبي بكر؟ كيف يسمح لأبي بكر بالوصية مع أن المرض قد اشتد به وتنفذ وصيته، ولا يسمح لرسول الله ﷺ أن يكتب وصيته تحت شعار أن المرض قد اشتد به... ما لكم، كيف تحكمون؟!.

(١) راجع تاريخ الطبري ج٣ ص ٤٢٩ و ص ١٧٦ من نظام الحكم و ص ٣٧ من سيرة عمر لابن الجوزي و ص ١٧٧ من نظام الحكم وتاريخ ابن خلدون ج٢ ص ٨٥ على سبيل المثال فقط.

ونفس الحال مع عمر...

قال طبيبه: لا أرى أن تمسي، فما كنت فاعلاً فافعل. فقال لابنه عبدالله ناولني الكتف فمحاها وقال من شدة الوجع: والله لو كان لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلق، وكان رأسه في حجر ابنه عبدالله، فقال لابنه: ضع خدي بالأرض، فلم يفعل، فلحظه وقال ضع خدي بالأرض لا أم لك، الويل لعمر ولأم عمر إن لم يغفر الله لعمر^(١).

وبالرغم من هذا الوجع الشديد، الذي كان يعانيه - رضي الله عنه - فقد أوصى وصيته ورتب أمر الشورى واطمأن أن عثمان خليفته، واطمأن أن لا يسلط هاشمي على رقاب الناس أبداً حتى ولو كان ذا قوة وأمانة، ونفذت بدقة وصيته، وسمع له بقولها وسمع بالتوجيه بالرغم من اشتداد الوجع به.

تلك حقيقة مسلم بها بالاجماع، وقولاً واحداً لا خلاف فيه. فكيف يسمح لعمر بالتوصية مع أن المرض قد اشتد به ولا يسمح لرسول الله ﷺ بالتوصية تحت شعار أن المرض قد اشتد به؟!.

وتنفذ وصية عمر بدقة، ولا يسمح للنبي ﷺ أن يوصي! ويتجاهلون تلك التوصية. ألا يحق لمحمد ﷺ ما يحق لأبي بكر وعمر؟ هذا إذا افترضنا أن محمداً على قدم المساواة مع أبي بكر وعمر.

وهذا افتراض مرفوض لأن محمداً نبي وإمام، بينما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من الأتباع. كأنهم لم يقرأوا قوله تعالى: ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾. ﴿إنه لقول رسول كريم. ذي قوة عند ذي العرش مكين. مطاع ثم أمين. وما صاحبكم بمجنون﴾. ﴿إنه لقول رسول كريم. وما هو بقول شاعر قليل ما تؤمنون. ولا بقول كاهن ما تذكرون. تنزيل من رب العالمين﴾. ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى. وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى. علمه شديد القوى﴾.

(١) راجع الامامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري ص ٢١-٢٢ على سبيل المثال وراجع الطبقات ج ٣ ص ٣٦٤.

ربما لم يسمعوا ذلك، ربما لم يسمعوا رسول الله ﷺ يقول: «إن أكثر ما كان يأتيه الوحي كان يأتيه وهو مريض»^(١).

الحدث الثاني: مواجهة العترة الطاهرة وعزلها والغاء دورها ومحاولة تفتيتها:

لم يكتف الصحابة الكرام بمنع الرسول من كتابة كتابه، إنما قاموا بمواجهة العترة الطاهرة وعزلوها وألغوا دورها تماماً بل وحاولوا تفتيتها.

تؤكد النصوص القاطعة على وجوب التمسك بالعترة الطاهرة وتؤكد أن التمسك بأهل البيت والعترة الطاهرة معادل تماماً للتمسك بالقرآن الكريم، وأن التأمين ضد الضلالة يحصل في حالة تمسك المسلمين بكتاب الله وأهل البيت والعترة الطاهرة. وهي نصوص صريحة وقد وثقناها. وتؤكد هذه النصوص أن أهل البيت والعترة الطاهرة دائماً مع القرآن والقرآن دائماً معهم، وأنهما لن يفترقا حتى يردا - القرآن والعترة - على حوض النبي يوم القيامة^(٢).

وبالرغم من تلك النصوص الصريحة، فقد بذلوا المستحيل لابتعاد أهل البيت وعترة الطاهرة عن رئاسة الدولة الإسلامية، وجرت تلك الفظائع:

١ - هدد علي بالقتل إن لم يبايع، وهو ولي الله، والتحق بقبر رسول الله يبكي ويصيح: يا ابن أم، إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني. وتلك حقيقة أكبر من أن تنكر^(٣).

من شخص اختاره الله، كما أثبتنا، وأعدده لخلافة نبيه، وما جاء فيه من النصوص يجعله من أفضل خلق الله بعد نبيه، إلى شخص مطارد يبكي هواناً وذلاً،

(١) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ١٩٣ وراجع المراجعات ص ٣٠١-٣١٢ للامام العاملي.

(٢) ارجع إلى الأدلة الدالة على أن أهل البيت والعترة الطاهرة من أهل الشورى. راجع عشرات المراجع وراجع تلك النصوص القاطعة في باب بيعة الامام البيعة الخاصة راجع على سبيل المثال الترمذي والنسائي وص ٤٤ ج١ من كنز العمال ومسنند الامام وص ١٤٨ ج٣ وص ٥٣٣ ج٣ من المستدرک للحاكم وص ١٧ و ٢٦ ج٣ من مسند الامام أحمد وص ١٠٩ ج٣ من المستدرک وص ٥٧ و ٨٩ و ٩١ من الصواعق لابن حجر.

(٣) راجع الامامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري ص ١٣ على سبيل المثال.

وهو أخ النبي، كما أثبتنا، ووالد سبطيه، كما هو معروف، وولي الله، كما أثبتنا، وأعلم خلق الله بعد نبيه، وسيد العترة الطاهرة، وعميد أهل البيت الكرام.

ومع هذا، يطارد كما يطارد أي مجرم، ويهدد كما يهدد أي شخص عادي وضعف ولا وزن له، مع أنه الهادي بنص الشرع، والمخول لبيان ما تختلف عليه الأمة بنص الشرع^(١). أيرضي هذا رب العالمين؟، أيرضي هذا رسول الله ﷺ؟، أهذا هو رد الجميل عند المسلمين؟، وقف عمرو بن ود ينادي ويتحدى ويعرض على الصحابة الدخول في الجنة وهو يقصد بقتل من يارزه، ووقف كل الصحابة كأن في آذانهم قرأ، من قتله غير علي؟.

إننا نتهيب أن نؤذي ذكرى ولي، ونراقب جوارحنا إذا دخلنا مسجداً فيه مقام ولي، خشية ورهبة واحتراماً. ومع هذا، يهان الولي على الطبيعة، ويذل الولي على الطبيعة!.

٢ - هدأت فاطمة الزهراء بنت النبي وزوجة علي وأم الحسن والحسين بحرق بيتها والماء على قبر أبيها لم يجف بعد، وهي بنص الشرع خير نساء العالمين قاطبة، وحبيه رسول الله، رضاها من رضا، وسخطها من سخط رسول الله ﷺ. وقد اعترف بموقعها هذا سيدنا أبو بكر رضي الله عنه^(٢).

وتلك حقيقة، الذي سينكرها لم يخلق.

٣ - محاولة الايقاع بين العترة الطاهرة لعزل علي عن بقية بني هاشم، وتلك حقيقة أيضاً^(٣).

(١) راجع مئات النصوص التي أوردناها في باب موقف الشرع من تسمية الامام.

(٢) راجع بن قتيبة الدينوري ص ١٢-١٣ والامام الطبري في موضعين من احداث السنة الحادي عشر، وابن عبدبره المالكي في حديث السقيفة ج ٢ من العقد الفريد. وأبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في كتابه السقيفة وراجع ص ١٣٤ مجلد ٣ من شرح عروة بن الزبير في مقام الاعتذار عن أخيه اذ هم بتحريق بيوت بني هاشم. والشهرستاني نقلا عن النظام عند ذكر الفرق النظامية من كتاب الملل والنمل. وراجع قصيدة حافظ ابراهيم في ديوانه المطبوع ٨٢/١ وراجع ص ٢٩٥ من المراجعات للامام العامة.

(٣) راجع الامامة والسياسة لابن قتيبة ص ١٥-١٦.

٤ - تعيين الخلفاء وإبرام الأمور بعزلة تامة عن أهل البيت والعترة الطاهرة مع أنه لا بد من وجودهم لمنع الضلالة، لأنهم مع القرآن والقرآن معهم، لن يفترقا إلى يوم القيامة، كما أكدت النصوص القاطعة^(١).

٥ - حرمان العترة الطاهرة من تولي أية وظيفة حتى ولو كان الفرد منهم قوي وأمين وأهل لها^(٢).

٦ - وقوفهم بكل ما لديهم من قوة حتى يحيلوا بين العترة الطاهرة وبين رئاسة الدولة الإسلامية، وذلك حتى لا يجمع الهاشميون مع النبوة الملك، وهذا مبدأ طبق بمنتهى الاخلاص^(٣).

وبمراجعة عاجلة للنصوص الشرعية، نجد أن الناس قد سلكوا طريق الضلال مع سبق الاصرار، وهذا السبب من أهم الأسباب التي نسفت النظام السياسي الإسلامي وعصفت به، وبالتالي قضت على دولة الإسلام، وفتحت على المسلمين أبواب الآفات.

٧ - وأوشكت أن تنتهي الأمور بآبادة أهل البيت والعترة الطاهرة بعد أن سموا الحسن وقتلوا الحسين ومن معه من الطيبين في كربلاء، مثلما قتلوا علياً.

ويلوح لي أن هذه الأمة تعيد نظام العتيرة على العترة الطاهرة. فتصور كيف يكون حزن النبي وغضبه وهو يرى أخاه يقتل وابنيه يقتلان وهما سيذا شباب أهل الجنة في الجنة.

ومن المدهش، أن الذين قتلوا الحسين، صلوا الفجر، ولم ينسوا أبداً الصلاة على النبي وآله.

(١) كما تم في سقيفة بني ساعدة دون أن يحضر أي واحد من العترة الطاهرة وسمعوا بالامر كما يسمع الأشخاص العاديون.

(٢) راجع الامامة والسياسة ص ٢٦ و ٢٧ على سبيل المثال فقط.

(٣) راجع الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ٣ ص ٢٤ سيرة عمر واحداث سنة ٢٣ و راجع شرح النهج للعلامة المعتزلة ج ٣ ص ١٠٧ و ص ١١٤ مجلد ٣ سطر ٢٧ وقد اخرج الامام أبو الفضل أحمد بن الطاهر في كتابه تاريخ بغداد وبسنده المعتبر إلى ابن عباس و راجع ص ٩٧ و ١٠٥ مجلد ٣ من الشرح.

٨ - وحتى على مستوى الذكر، فقد صنعوا الأئمة وتجاهلوا أئمة أهل البيت، ورووا عن غيرهم وتركوهم شكاً بهم وقدموا عليهم غيرهم حتى من الخوارج.

الحادثة الثالثة: التي نسفت النظام السياسي الإسلامي وهي «الفتنة»^(١) كما يسميها عمر رضي الله عنه:

مات الرسول ﷺ وعمر حاضر، ومع هذا توعد من يزعم بأن الرسول قد مات، بالموت وتقطع الأطراف^(٢). ولما تأكد عمر من وفاة الرسول ﷺ، أفاق من ذهوله ولم تحمله رجلاه^(٣). وهو على هذه الحالة سمع باجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة. فبحث عن أبي بكر وعلم أنه يساعد العترة الطاهرة بتجهيز الرسول. فذهب وناداه وحده، وأخبره بخبر اجتماع الأنصار، وفي الطريق وجدا أبا عبيدة ولم يعلموا أحداً غيرهم.

كيف علم عمر باجتماع الأنصار، ومن الذي أخبره؟، هذا ما زال للآن سر تاريخي في رجم الغيب^(٤).

— اجتماع الأنصار:

من الطبيعي أن يخلق موت الرسول هزة في تجمع الأنصار ومجتمعهم، ففي أسيافهم دانت له العرب، ومنهم جيش الرسول الذي دوخ الجزيرة كلها، ومن الحكمة أن يجلسوا معاً ويخططوا حتى لا يفاجأهم أعداؤهم، وأجمعوا أمرهم على سعد بن عباد سيد الخزرج من حيث المبدأ، ولم يكن هذا الأمر نهائياً بدليل أن الأنصار بما فيهم سعد بن عباد قالوا في لحظة من اللحظات وفي السقيفة بالذات (لا نبائع إلا علياً)^(٥).

(١) أخرجها أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة ونقلها ابن أبي الحديد في ص ١٣٤

ج ١ ن الشرح، وأخرجها غير واحد من أصحاب السنن كالبخاري في صحيحه ج ٤ ص ١١٩

وأخرجها ابن جرير في تاريخه من حوادث سنة ١١ ونقلها ابن أبي الحديد في شرحه ص ١٢٢ مجلد ١.

(٢) راجع تاريخ الطبري ص ١٩٧ ج ٣.

(٣) راجع تاريخ الطبري ص ١٩٧ و ١٩٩ ج ٣.

(٤) راجع ج ٣ ص ٢٦٦ الشرح لابن أبي الحديد.

(٥) راجع ص ١٩٨ ج ٣ من تاريخ الطبري.

— دخول المهاجرين الثلاثة :

بالوقت الذي كان فيه الأنصار يتداولون الأمر بينهم ، دخل المهاجرون الثلاثة أبو بكر وعمر وأبو عبيدة رضي الله عنهم إلى السقيفة .

— الحجج الشرعية للمجتمعين :

(أ) حجة الأنصار :

- ١ - لهم سابقة في الدين ليست لقبيلة من قبائل العرب (وتلك حجة شرعية) كما أسلفت ووثقت ذلك في باب التفاضل بين الصحابة عند بحث البيعة الخاصة .
 - ٢ - هم الذين جاهدوا مع رسول الله ومنعوه ومنعوا أصحابه حتى دانت العرب بأسيا فهم واستقام أمر الله طوعاً وكرهاً ، والجهد حجة شرعية أيضاً كما أسلفت ، فالذين جاهدوا ليسوا كالقاعدين^(١) .
 - ٣ - الأنصار قاطبة ، الأوس والخزرج متفقة من حيث المبدأ ومفوضة أمرها إلى سعد بن عباد^(٢) .
 - ٤ - إذا أبى المهاجرون إمارة الأنصار ، فمن الأنصار أمير ومن المهاجرين أمير^(٣) .
 - ٥ - إذا أبى المهاجرون الثلاثة ذلك ، فيجب اجلاؤهم عن البلاد وتولي الأمر عليهم^(٤) .
- وانصافاً للأنصار ، فإن القول لم يحدث إلا بعد اشتداد الخلاف بين عمر والحباب .

— حجة المهاجرين في سقيفة بني ساعدة :

- ١ - هم أول من عبد الله في الأرض^(٥) .

(١) الامامة والسياسة ص ٤-٥ .

(٢) الامامة والسياسة ص ٥ .

(٣) الامامة والسياسة ص ٦-٧ .

(٤) الامامة والسياسة ص ٨ .

(٥-٦) راجع الامامة والسياسة ص ٨٧-٨٨ وراجع ج ٢ ص ٢٦٥ من شرح النهج .

- ٢ - هم أولياء الرسول وعشيرته وأحق الناس بالأمر من بعده لا ينازعهم إلا ظالم^(١).
 - ٣ - هم الأمراء، والأنصار وزراء^(٢).
 - ٤ - تأبى العرب أن تؤمر الأنصار ونبياها من غيرهم، ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم^(٣).
 - ٥ - من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته^(٤).
- وهذا ملخص رأي أبي بكر وعمر.

— الاذعان للحق :

لما سمع الأنصار حجة المهاجرين، اقتنعوا واكتشفوا أن أهل الرسول أولى بميراثه. هنالك قالت الأنصار كلها (لا نبايع إلا علياً)^(٥). قال بعض الأنصار لا نبايع إلا علياً^(٦).

— تمني وإيضاح :

فلو أن المهاجرين الثلاثة قبلوا إمامة علي، كما طلبت الأنصار، لما حدث أي اشكال، ولسار النظام سيراً طبيعياً. ويجدر بالذكر أن الأنصار قالت لا نبايع إلا علياً وعلي غائب مشغول مع العترة الطاهرة بمصيبتهم لا يدري، وأعدال الكتاب جميعاً أهل البيت وآل البيت لا علم لهم بما يجري حيث كانوا يجهزون الرسول.

— تفتت جبهة الأنصار :

لما رأى بشير بن سعد أن الثلاثة المهاجرين يرفضون إمارة علي ويريدون تأمير أحدهم، ولما رأى الأنصار قد أجمعت على سعد بن عبادة، قام حسداً لسعد وقال : إن محمداً رجل من قريش، وقومه أحق بميراثه، فتبعثر جمع الأنصار^(٧).

(١-٧) راجع تاريخ الطبري ج-٣ ص ١٩٨ . راجع الامامة والسياسة ص ٨ وراجع ج-٢ ص ٢٦٦ من شرح النهج .

ويجدر بالذكر أن بشير بن سعد كان ثاني اثنين من الأنصار وقفوا مع معاوية فيما بعد ضد علي^(١).

— اهتبال الفرصة :

لما رأى أبو بكر اعتراف الأنصار بحق أقرباء الرسول وعشيرته بتولي الأمر من بعده، اهتبل الفرصة وقدم عمرو وأبا عبيدة مرشحين للخلافة، ليختار الأنصار منهما من شاؤوا. ويسرعة فائقة قال عمر: أنت أحق بهذا الأمر، فأنت صاحب الرسول، وقفز بشير بن سعد وبياعه، وبياعه المهاجران الآخران عمرو وأبو عبيدة، وتتابع المبايعون، وبائع قسم كبير من الأنصار.

— خروج الخليفة وعلان خلافته :

بهذه المبايعة خرج أبو بكر كخليفة، وخرج عمرو وأبو عبيدة كنائبين للخليفة. وخرج الذين بايعوه كجيش للخليفة وذهبوا إلى المسجد ليعلنوا أن أبا بكر أصبح خليفة للنبي.

— كيف تمت البيعة :

هكذا تمت بيعة أبي بكر في غياب كل قريش، اذ لم يحضر الاجتماع من قريش الا أبو بكر وهو من بني تيم، وعمر وهو من بني عدي، وأبو عبيدة وهو من بني الحارث.

وهذه البطون الثلاثة، ليست من عشيرة الرسول الاقربين^(٣)

وتمت بيعة أبي بكر في غياب المهاجرين كلهم، فلم يحضر من المهاجرين احد سوى الثلاثة^(٤). وتمت بيعة أبي بكر في غياب العترة الطاهرة، ومن الطبيعي ان العترة الطاهرة هي ناصية قريش بنص الشرع، ولا يحق لقريش ان تقطع امرا دون

(١) راجع شرح نهج البلاغة لعلامة المعتزلة بن أبي الحديد ج-٢ ص ٨٤٩-٨٥١.

(٢) راجع ص ٢٠٧-٢١٠ ج-٣ من تاريخ الطبري و ص ٧-٥ من الامامة والسياسة.

(٣) راجع الطبقات لابن سعد ج-١ ص ٧٤.

(٤) راجع كل مراجع الدنيا تصل إلى هذه الحقيقة.

علم ورأي العترة الطاهرة، وما سقناه من الأدلة، سواء في باب تسمية الامام شرعاً، أو في باب القرابة الطاهرة، ما يكفي بفضل الله لبيان الحقيقة. فهم اعدال الكتاب لا تمنع الضلالة الا باثنين، كتاب الله وعترة رسوله^(١)

— الاجراء الاول:

وجد الخليفة ونائباه وجيشه الناس مجتمعين في المسجد، قال لهم نائب الخليفة؟ وولي عهده عمر:
مالي اراكم حلقتي، قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعته وبايعه الانصار^(٢). فقام عثمان ومن معه من بني أمية فبايعوا، وقام سعد بن أبي وقاص ومن معه من بني زهرة فبايعوا، أما علي والعباس ومن معهم من بني هاشم، فقد انصرفوا إلى رحالهم ومعهم الزبير^(٣).

وهكذا ليس امام الناس إلا أن يبايعوا، بدليل ان عمر ذهب في عصابة فيهم اسيد بن حضير وسلمه بن اسلم في اثر علي ومن معه، وطلبوا منهم ان ينطلقوا فبايعوا أبا بكر، فأبوا، فخرج الزبير بالسيف، فأمر نائب الخليفة عمر أن يأخذوا السيف منه وان يضربوا به الجدار^(٤).

وهكذا وجدت المعارضة نفسها بمواجهة سلطة حقيقية، تختلف تماماً عن سلطة الرسول.

ولعمري لقد تركت تلك الفتنة آثارها على التاريخ الإسلامي كله، والنظام السياسي الإسلامي أيضاً.

(١) أخرجه الترمذي والنسائي وراجع ص ٤٤ ج ١ من الكنز وأخرجه الامام أحمد ص ١٨٢ و ١٨٩ ج ٥ وأخرجه أبو يعلي وابن أبي شيبة وابن سعد، وراجع ص ٤٧ ج ١ من الكنز و ص ١٤٨ ج ٣ من المستدرك للحاكم وراجع ص ١٧ و ٢٦ من مسند الامام أحمد وراجع ص ١٠٩ ج ٣ من المستدرك وأخرجه الطبراني والنهائي وأحياء الميت للسيوطي وراجع فصل باب ٩ من الصواعق المحرقة لابن حجر ص ٥٧ و ٨٩ و ٩١ وراجع فتح القدير للشوكاني ج ٤ ص ٢٨٠ ونقله عن الترمذي والحاكم، وابن مردويه والبيهقي والطبراني وراجع الطبقات لابن سعد ج ١ ص ١٩ و ٢٠.

(٢) و ٣) راجع الامامة والسياسة ص ١١.

(٤) الامامة والسياسة ص ١١.

الفصل السابع

— السلطة والمعارضة :

مجردبيعة أبي بكر في السقيفة، على الرغم من امتناع الكثير من الانصار من مبايعته، وعلى الرغم من غياب قريش كلها، وعلى الرغم من غياب المهاجرين كلهم، إلا ان أبا بكر تصرف كسلطة، وتصرف عمر وأبو عبيده كنائين للخليفة وكجزء من السلطة. وبدأت هذه السلطة بمواجهة من يمكن أن نسميهم بالمعارضة.

١ - مواجهة المعارضة داخل السقيفة نفسها:

أ - معارضة سعد بن عباد: لحسن حظ السلطة ان سعدا كان مريضا ولا يقوى على النهوض، ومع هذا عارض معارضة شديدة إلى درجة استوجبت صدور أمر من السلطة بقتل سعد، فقد أمر نائب الخليفة عمر بن الخطاب بقتل سعد بن عباد. ولكن لم ينفذ الامر لاسباب امنية وسياسية، فسعد هو سيد الخزرج^(١).

ومع هذا لولحق سعد، واضطر إلى ترك المدينة لأن عمر كره جواره، وقتل في زمن عمر غيلة، وقيل ان الجن قد قتلت سعد بن عباد.

وترنم (الجنبي) المثير الذي قتل سعد بن عباد سيد الخزرج بفعلته في بئر وفي بيتين من الشعر؟

قد قتلنا سيد الخزرج سعد بن عباد

ورميناه بسهمين فلم نخطيء فؤاده^(٢)

وعلى أي حال فلم يبايع سعد بن عباد حتى مات، . وعندما طلب منه أبو بكر أن يبايع قال سعد: ولا والله لو أن الجن اجتمعت لكم مع الأنس ما بايعتكم حتى اعرض على ربي واعرف حسابي.

(١) راجع الامامة والسياسة ١٠٩.

(٢) راجع الطبقات لابن سعد ج ٣ ص ٦١٣.

(٣) راجع الطبقات لابن سعد ج ٣ ص ٦١٦.

فلما سمع أبوبكر قوله ، قال له عمر لا تدعه حتى يبايعك ، فقال لهم بشير بن سعد انه قد ابى ولج ، وليس يبايعك حتى يقتل ، وليس بمقتول حتى يقتل ولده معه وأهل بيته وعشيرته ، ولن تقتلوهم حتى تقتلوا الخزرج . . . فلا تفسدوا على انفسكم امراً استقام لكم فاتركوه ، فليس تركه بضاركم ، وانما هو رجل واحد . وقبلوا مشورة بشير^(١)

وبقي سعد لا يصلي بصلاتهم ولا يجتمع بجمعتهم ، ولا يفيض بافاضتهم ، ولو يجد عليهم اعوانا لصال بهم ولو يبايعه احد على قتالهم لقاتلهم^(٢)

ب - معارضة الحباب بن منذر :

قال الحباب بن المنذر : اما والله لئن شئتم لنعدينها جذعة ، والله لا يرد على احد ما اقول الا حطمت انفه بالسيف . وتصدى لمن اراد ان يبايع أبابكر بالسيف داخل السقيفة ، الا انهم اخذوا السيف منه ، فجعل يضرب ثوبه بوجوههم حتى فرغوا من البيعة . فقال ، فعلمتموها يا معشر الانصار ، والله لكأني بأبنائك على ابواب ابنائهم قد وقفوا يسألونهم الماء بأكفهم .

قال أبوبكر : انما تخاف يا حباب ؟ قال الحباب ليس منك اخاف ولكن ممن يجيء بعدك . قال أبوبكر ، فالامر اليك وإلى اصحابك ليس لنا عليكم طاعة . قال الحباب : هيهات يا أبابكر إن ذهبت أنا وانت جاءنا بعدك من يسومنا الضيم^(٣) .

ويلاحظ ان الحباب بن المنذر خائف على مستقبل النظام ، ولم يكن خائفا من أبي بكر ، ويلاحظ ان الحباب بن المنذر من انصار الشرعية ومن الذين قالوا عندما اقيمت الحجة على الانصار واحتج المهاجرون الثلاثة بالقرابة من رسول الله ﷺ : اذن لا نبايع الا عليا^(٤) .

(١) راجع الامامة والسياسة ص ١٠ لابن قتيبة .

(٢) راجع نفس المرجع ص ٩-١٠ .

(٣) راجع نفس المرجع ص ٩ .

(٤) راجع تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٩٨ .

ب - معارضة العترة الطاهرة :

قلنا ان العترة الطاهرة كانت غائبة بالكامل عما جرى في سقيفة بني ساعدة
وهناك اجماع وقول واحد على ذلك ، بأنهم لم يشهدوا بيعة أبي بكر ولم يدخلوا
سقيفة بني ساعدة .

«وكانوا منصرفين بكلهم إلى خطبهم الفادح بوفاة رسول الله وقيامهم بالواجب
من تجهيزه ﷺ لا يعنون بغير ذلك ، وما ان واروه في ضراحه الاقدس ، حتى أكمل
أهل السقيفة امرهم . فأبرموا البيعة ، واحكموا العقد ، واجمعوا اخذا بالحزم على منع
كل قول أو فعل يوهن بيعتهم أو يחדش عقدهم أو يدخل التشويش والاضطراب إلى
عامتهم»^(١) .

١ - الامام علي بمواجهة السلطة :

— حجة الامام بالمعارضة :

اتى بعلي إلى ابي بكر وهو يقول : (انا عبد الله واخو رسوله) . فقيل له بايع
أبا بكر فقال : أنا احق بهذا الأمر منكم ، لا ابايعكم وانتم اولى بالبيعة لي ، اخذتم هذا
الأمر من الانصار واحتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله ، وتأخذونه منا أهل البيت
غصبا؟ الستم زعمتم للانصار انكم اولى بهذا الأمر لما كان محمد منكم فأعطوكم
المقادة وسلموا اليكم الامارة ، نحن أولى برسول الله حيا ، وميتا ، فأنصفونا إن كنتم
تؤمنون ، والا فبوءوا بالظلم وانتم تعلمون .

فقال عمر : انك لست متروكا حتى تبائع .

فأجابه الامام علي : احلب حلباً لك شطره ، واشدد له اليوم امره ، يردده
عليك غدا .

والله يا عمر لا اقبل قولك ولا ابايع . فقال أبو بكر : ان لم تبائع فلا اكرهك .

قال أبو عبيدة لعلي : يا ابن عم ، انك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك ،
ليس لك مثل تجربتهم بالأمور ، ولا أرى أبا بكر إلا اقوى منك على هذا الأمر واشد

(١) راجع المراجعات للامام شرف الدين العاملي ص ٣٣٢ وما فوق .

احتمالا واضطلاعا به ، فسلم لأبي بكر، فانك تعيش ويطول بك بقاء، فأنت لهذا الأمر خليق وبه حقيق في فضلك ودينك وعلمك وفهمك ومباقتك ونسبك وصهرك .

فقال علي : الله الله يا معشر المهاجرين ، لا تخرجوا سلطان محمد في العرب من داره وقعريته إلى دوركم وقعوربيوتكم ، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه ، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به لأننا أهل البيت ، ونحن أحق بهذا الأمر ما دام فينا القاريء لكتاب الله ، الفقيه في دين الله ، العالم بسنن رسول الله ، المضطلع بأمر الرعية ، المدافع عنهم الأمور السيئة ، القاسم بينهم بالسوية . والله انه لفينا ، فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعدا^(١) .

— حكم على حجة الامام علي :

فلما سمع بشيرين سعد الانصاري - الذي شق اجماع الانصار وباع أبابكر - قال : لو كان هذا الكلام سمعته الانصار منك يا علي قبل بيعتها لأبي بكر ، ما اختلف عليك اثنان^(٢) .

— الامام يطلب النصرة لمواجهة السلطة :

وخرج علي يحمل فاطمة بنت محمد ﷺ على دابة ليلا في مجالس الانصار تسألهم النصرة ، فكانوا يقولون ، يا بنت رسول الله ، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو ان زوجك وابن عمك سبق الينا قبل أبي بكر ما عدلنا به .

فقالت فاطمة : ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له ، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم^(٣) .

وعندما ارسل له أبوبكر مولاة قنفذ فقال له قنفذ ، خليفة رسول الله يدعوك اجابه علي : لسريع ما كذبتكم على رسول الله ، فأرسل الخليفة مولاة قنفذ ثانية وطلب ان يبلغ عليا بان خليفة رسول الله يدعوه ليباع ، فبلغ قنفذ الرسالة لعلي ، فرفع علي صوته فقال : سبحان الله ، لقد ادعى ما ليس له^(٤) .

(١) الامامة والسياسة ص ١١-١٢ .

(٢) الامامة والسياسة ص ١٢ .

(٣) الامامة والسياسة ص ١٢ وراجع شرح النهج لابن أبي الحديد ج-٢ ص ٢٦٨ ونقله عن الجوهرى .

(٤) راجع الامامة والسياسة ص ١٣ .

— استعمال القوة ضد الامام علي (التهديد بالقتل):

امام اصرار علي هذا، تحرك نائب الخليفة فمشى في جماعة وأخرجوا عليا غير عابئين ببيكاء فاطمة الزهراء، وجاؤوا به إلى أبي بكر. فقالوا له بايع. فقال علي: ان لم افعل فماذا. قالوا اذا نضرب عنقك... قال علي: اذا تقتلون عبدالله وأخا رسول الله؟

قال عمر: اما عبدالله، فنعم، واما اخو رسول الله، فلا، - (اخاء علي مع الرسول حقيقة فيها حديث قدسي) - ومجموعة هائلة من الاحاديث التي وصلت الى مرحلة التواتر.

وكان أبو بكر الخليفة ساكتا، فقال له نائبه عمر: الا تأمر فيه بأمرك؟ فقال أبو بكر: لا اكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جانبه. فلحق علي بقبر الرسول يصيح ويبكي وينادي (يا ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني)^(١).

— الامام يقدر لموقف:

انت تلاحظ ان اولي الامر والنهي قد اخذوا بالحزم واعلنوا تلك الشدة، وهل يتسنى في عصرنا الحاضر لاحد ان يقابل أهل السلطة بما يدفع سلطتهم، ويلغي دولتهم، وهل يتركونه وشأنه لو أراد ذلك، هيهات، فقس الماضي على الحاضر، فالناس ناس والزمان زمان، وعلي يرى يومئذ بهذه الظروف أن إمتناعه ليس له أثر إلا الفتنة التي كان يؤثر ضياع حقه على حصولها في تلك الظروف. أ - الخلافة بنصوصها ووصاياها تستصرخه وتستفز به بشكوى تدمي الفؤاد وحنين يفتت الاكباد.

ب - والفتن الطاغية تندر بانتفاض شبه الجزيرة، وانقلاب العرب واجتياح الإسلام وتهدهد بالمنافقين من أهل المدينة وبمن حولها من الاعراب وهم منافقون بنص الكتاب، وقد قويت شوكتهم بفقدته ﷺ واصبح المسلمون بعده كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية بين ذئاب عادية، ووحوش كاسرة ضارية، ومسيلمة الكذاب

(١) راجع الامامة والسياسة ص ١٢-١٣.

وطليحة وسجاع بنت الحارث، والروم والاكاسرة والقياصرة، وغيرهم كانوا للمسلمين بالمرصاد، وكل هذه العناصر تجيش بالحقد على محمد وآله وعلى كلمة الإسلام، تريد أن تنقضها من اساسها وتستأصل شأقتها^(١)

— المنهج الذي اختاره الامام:

لم يكن امام الامام علي إلا الاحتفاظ بحقه في الخلافة والاحتجاج على من عدل عنه بها على وجه لا تشق بها للمسلمين عصا، ولا تقع بينهم فتنة ينتهزها عدوهم.

فقعد في بيته حتى اخرجوه كرها بدون قتال، ولو اسرع اليهم ما تمت له حجة ولا سبط لشيعته برهان، لكنه جنع بين حفظ الدين والاحتفاظ بحقه من خلافة المسلمين، وحين رأى ان حفظ الإسلام ورد عادية اعدائه موقوفا في تلك الأيام على المودعة والمسالمة، شق بنفسه طريق المودعة وأثر مسالمة القائمين في الامر احتفاظا بالامة واحتياطاً على الملة وضناً بالدين، وإيثارا للعاجلة على الآجلة وقياماً بالواجب شرعاً وعقلاً من تقديم الاهم في قيام التعارض على المهم.

قال الامام علي: (اما والله لقد تقمصها فلان وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب من الرحي، ينحدر عنها السيل ولا يرقى اليها الطير، فسدت دونها ثوبا، وطويت عنها كشحا، وطفقت ارتئي بين أن اصول بيد جذاء، أو اصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه، فرأيت ان الصبر على هات احجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهبا. . . إلى آخر الخطبة الشقشقية)^(٢).

وكم مرة قال: اللهم اني استعينك على قريش ومن اعانهم، فانهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي، واجمعوا على منازعتي امرأ هولي. . . وقد قال قائل، انك على هذا الامريا ابن ابي طالب لحريص، فقال بل انتم والله احرص، وانما طلبت حقاً لي وانتم تحولون بيني وبينه.

(١) راجع المراجعات ص ٣٣٢-٣٣٤ للامام العاملي. وراجع بيعة الامام علي لأبي بكر في ص ١٢-١٤.

(٢) راجع شرح نهج البلاغة لعلامة المعتزلة بن أبي الحديد ج ١ ص ٢٥.

فوالله ما زلت مدفوعها عن حقي مستاثرا علي منذ قبض رسول الله ﷺ حتى يومنا هذا .

وقال مرة : لنا حق فان اعطيناه ، والا ركبنا اعجاز الابل وان طال السرى^(١) .

وكتب كتابا إلى أخيه عقيل قال فيه :

(فجزت قریش عني الجوازي ، فقد قطعوا رحمي ، وسلبوني سلطان ابن امي)^(٢) .

وقال يوما : (ونظرت فاذا ليس لي معين إلا أهل بيتي ، فضننت بهم عن الموت ، واغضيت على القذى ، وشربت على الشجى ، وصبرت على أخذ الكظم ، وعلى أمر من طعم العلقم)^(٣) .

٢ - فاطمة الزهراء بمواجهة السلطة :

تفقد أبو بكر قوما تخلفوا عن بيعته ، فوجدهم عند علي ، فبعث إليهم ، فجاء فناداهم وهم في دار علي فأبوا أن يخرجوا .

فدعا عمر بالحطب وقال ، والذي نفسي بيده لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها . فقبل له ، يا ابا حفص ، ان فيها فاطمة الزهراء فقال عمروان . . . فخرجوا جميعا فبايعوا إلا علي^(٤) .

وقفت فاطمة رضي الله عنها فقالت : لا عهد لي بقوم اسوأ محضر منكم ، تركتم رسول الله جنازة بين ايدينا ، وقطعتم امركم بينكم لم تستأمرونا ولم تردوا لنا حقنا^(٥) .

عندما اخذ نائب الخليفة عمر جماعة من جنده ليخرجوا عليا بالقوة ، نادى بأعلى صوتها (يا ابي يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن ابي قحافة) . .

(١) راجع شرح المنهج لابن أبي الحديد ص ١٠٣ ج ٢ وص ٣٧ ج ١ والمراجعات ص ٢٣٨ .

(٢) راجع شرح النهج ص ٦٧ ج ٣ .

(٣) راجع شرح النهج ص ٦٢ ج ١ .

(٤) راجع الامامة والسياسة ص ١٢ وراجع مراجع التحريق التي سقناها عشرات المرات .

(٥) راجع الامامة والسياسة ص ١٣ .

فلما سمع القوم صوت بكائها كادت قلوبهم تنصدع ، واكبادهم تنفطر ، ومع هذا بقي عمر ومن معه حتى اخرجوا عليا^(١) .

جرب أبوبكر وعمر ان يقابلا فاطمة ليكفرا عن اغصابهما لها وعن تهديد عمر بحرق بيتها ، فلم تأذن لهما . فأتيا عليا فأدخلهما عليها ، وسلما ، فلم ترد عليهما السلام ، فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى الحائط فلم ترد عليهما . وتكلم أبوبكر إلى ان قال ، اني سمعت رسول الله يقول : لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة .

وبالمناسبة ، كيف نفسر الاحاديث الصحاح التي وردت عن النبي واكدت ان عليا هو وارث النبي ، بل وكيف نقول امام النص القرآني الواضح ﴿وورث سليمان داود ، يرثي ويرث من آل يعقوب﴾ ثم لماذا اذا رد عمر بن عبد العزيز فذلك^(٢) .

— والخلاصة ان فاطمة الزهراء قالت لهما :

(ارأيتمكما ان حدثتكما حديثا عن رسول الله تعرفانه وتفعلان به؟ قالوا نعم ، فقالت نشدتكما الله الم تسمعا رسول الله يقول ، رضا فاطمة من رضي ، وسخط فاطمة من سخطي ، فمن احب فاطمة ابنتي فقد احبني ، ومن ارضى فاطمة فقد ارضاني ، ومن اسخط فاطمة فقد اسخطني) . قالوا نعم ، . سمعناه من رسول الله . قالت الزهراء : فاني اشهد الله وملائكته انكما اسخطتماني وما ارضيتماني ولئن لقيت النبي لأشكونكما اليه .

فقال أبوبكر : انا عاخذ بالله من سخطه وسخطك يا فاطمة . ثم انتحب أبوبكر يبكي حتى كادت نفسه أن تزهد وهي تقول والله لأدعون عليك في كل صلاة اصلحها^(٣) .

(١) راجع الامامة والسياسة ص ١٣ .

(٢) راجع شرح النهج ج ٢ ص ٨٢٩ وراجع ج ٥ ص ٦٢٥ الحديث ١٤١٠١ من الكنز ج ٤ ص ٩٨ ن الطبقات وراجع ج ٥ ص ٦٠٥ من الكنز والحديث ١٤٠٧٠ .

(٣) الامامة والسياسة ص ١٤ .

— اثر هذه المقابلة على السلطة :

خرج أبو بكر فاجتمع اليه الناس فقال ، يبيت كل رجل منكم معانقا حليلته ، مسرورا بأهله ، وتركتموني وما انا فيه لا حاجة لي في بيعتكم اقبلوني بيعتي . . .
لكن الحاشية منعه وقالوا ، يا خليفة رسول الله ، ان هذا الامر لا يستقيم وانت .
اعلمنا بذلك . إن كان هذا لم يقم الله دين .

فقال أبو بكر ، والله لولا ذلك وما اخافه من رخاوة هذه العروة ما بت ليلة ولي في عنق مسلم بيعة بعد ما سمعت ورأيت من فاطمة^(١) .

— محاولات اخرى للزهاء :

طافت فاطمة الزهراء مع علي على مجالس الانصار تسألهم النصرة . فكانوا يتعذرون بسبب ان بيعتهم سبقت لابي بكر ، ويقولون ، لو ان زوجك سبق ما عدلنا به . وكانت تقول لهم ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له ، ولقد صنعوا ما الله حسيهم وطالبهم^(٢) . ولقد نازعت فاطمة أبا بكر أيضاً في الميراث والنحلة وسهم ذوي القربى^(٣) .

— الزهراء تثبت شكواها :

. . . ويحكم اني زحزحوها - الخلافة - عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة ، ومهبط الروح الامين ، الطين بأمور الدين والدنيا ، الا ذلك هو الخسران المبين .

وما الذي نعموا من ابي الحسن ؟ نعموا منه والله نكير سيفه وشدة وطأته ، ونكال وقعته ، وتنمره في ذات الله . والله لو تكافأ على زمام نبذه رسول الله ﷺ لا عتقله وسار بهم سيرا سجحا لا يكلم خشاشه ، ولا يتتبع راجبه ، ولأوردهم منهلا رويا فضفاضا تطفح ضفتهاء ولا يترنم جانباه ، ولا صدرهم بطانه ونصح لهم سرا واعلانا ، غير متمل منهم بطائل الا بغمر الناهل ، وردة سورة الساغب ، ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون .

(١) راجع الامامة والسياسة ص ١٣-١٤ .

(٢) راجع الامامة والسياسة ص ١٢ .

(٣) راجع شرح النهج .

الا هلم فاستمع وما عشت اراك الدهر عجبا، وان تعجب فقد اعجبك
الحادث، إلى أي لجأ لجأوا، وبأي عروة تمسكوا لبئس المولى ولبئس العشير، بئس
للظالمين بدلا.

استبدلوا والله الذنابا بالقوادم والعجز بالكاهل فرغما لمعطس قوم يحسبون
انهم يحسنون صنعا، الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون. ويحهم، افمن
يهدى إلى الحق احق ان يتبع أمن لا يهدى فما لكم كيف تحكمون^(١).
وقد اوصت رضي الله عنها أن لا يصلي عليها أبوبكر^(٢).

جـ احتجاج العباس :

اتى المغيرة بن شعبه فقال الرأي يا أبابكر ان تلقوا العباس فتجعلوا له في هذه
الامرة نصيبا يكون له ولعقبه، وتكون لكما الحجة على علي وبني هاشم اذا كان
العباس معكم.

وانطلق أبوبكر وعمر وأبو عبيدة والمغيرة حتى دخلوا على العباس رضي الله
عنه. فحمد الله أبوبكر واثنى عليه ثم قال : ان الله بعث محمدا ﷺ نبيا وللمؤمنين
وليا فمن الله تعالى بمقامه بين اظهرنا حتى اختار له الله ما عنده فخلى على الناس
امرهم ليختاروا لأنفسهم في مصلحتهم متفقين غير مختلفين، فاختروني عليهم ولياً
ولأمرهم راعياً، وما أخاف بعون الله وهباً ولا حيرة ولا جبناً، وما توفيتي إلا بالله عليه
توكلت واليه انيب، وما أزال يبلغني عن طاعن يظعن بخلاف ما اجتمعت عليه عامة
المسلمين ويتخذكم لجأ فتكونوا حصنه المنيع، فاما دخلتم فيما دخل فيه العامة أو
دفعتموهم عما مالوا اليه، وقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الامر نصيبا
يكون لك ولعقبك من بعدك، اذ كنت عم رسول الله، وان كان الناس قد رأوا مكانك

(١) اخرجها أبوبكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في كتابه السقيفة. ورواها الامام أبو الفضل أحمد بن
أبي الطاهر المتوفي سنة ٢٨٠هـ في ص ٢٣ من كتابه بلاغات النساء وقد اوردها الطبري في كتاب
الاجتماع والمجلس في بحار الانوار ورواها غير واحد من الثقات راجع في ذلك ص ٣٤١ من
المراجعات للامام العاملي.

(٢) راجع مجلد ٤ ص ٥٢٧ من شرح النهج.

ومكان أصحابك فعدلوا الأمر عنكم على رسلكم يا بني عبدالمطلب فإن رسول الله منا ومنكم^(١).

ثم قال عمر: أي والله، وأخرى أنا لم تأتكم حاجة منا اليكم ولكن كرهنا أن يكون الطعن منكم فيما اجتمع عليه العامة فيتفاقم الخطب بكم وبهم، فانظروا لأنفسكم وعامتكم.

— الرد الحاسم:

حمد العباس الله واثني عليه ثم قال: ان الله بعث محمداً كما زعمت نبياً وللمؤمنين ولياً. فمن الله بمقامه بين أظهرنا حتى اختار له الله ما عنده، فخلي على الناس أمرهم، ليختاروا لأنفسهم مصيبين للحق، لا مائلين عنه بزيغ الهوى. فان كنت برسول الله طلبت، فحقنا اخذت، وان كنت بالمؤمنين طلبت، فنحن منهم متقدمون. وان كان هذا الأمر انما يجب لك بالمؤمنين، فما وجب أن كنا كارهين.

فأما ما بذلت لنا، فان يكن حقاً لك، فلا حاجة لنا به، وان يكن حقاً للمؤمنين فليس لك ان تحكم عليهم. وان كان حقنا، لم نرض عنك فيه ببعض دون بعض. وأما قولك ان رسول الله منا ومنكم، فانه كان من شجرة نحن اغصانها وانتم جيرانها^(٢).

ج سيدا شباب أهل الجنة بمواجهة السلطة:

جاء الحسين بن علي إلى أبي بكر وهو على منبر رسول الله ﷺ فقال له: (انزل عن مجلس أبي)^(٣).

وقال الحسين نحو ذلك لعمر وهو على المنبر أيضاً.

(١) الامامة والسياسة ص ١٥.

(٢) راجع الامامة والسياسة ص ١٥-١٦.

(٣) نقل بن حجر كلتا القضيتين في المقصد الخامس مما اشارت اليه آية المودة في القربى وهي الآية ١٤ من آيات الباب ١١ من صواعقه، فراجع ص ١٦٠ من الصواعق وقد اخرج الدارقطني قضية الحسن مع أبي بكر واخرج بن سعد في ترجمة عمر من طبقاته قضية الحسين مع عمر راجع ص ٣٤٥ من المراجعات.

د - المواجهة السلمية لابن عباس مع السلطة :

١ - قال عمر لابن عباس في حديث طويل دار بينهما :
يا ابن عباس ، اتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد ﷺ ؟

قال ابن عباس فكرهت ان اجيبه . فقلت ان لم اكن ادري ، فان أمير المؤمنين يدري . فقال عمر : كرهوا ان يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتجحفوا على قومكم بجحا بجحا . فاختارت قريش لأنفسها فأصابته ووفقت . قال فقلت يا أمير المؤمنين ، ان تأذن لي في الكلام وتمط عني الغضب تكلمت . قال ، تكلم ، قال ابن عباس فقلت : اما قولك يا أمير المؤمنين اختارت قريش لأنفسها فأصابته ووفقت ، فلوان قريشا اختارت لأنفسها من حيث اختار الله لها ، لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود .

واما قولك ، انهم ابوا ان تكون لنا النبوة والخلافة ، فان الله عز وجل وصف قوما بالكراهة فقال : ﴿ ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فأحبط اعمالهم ﴾ .

فقال عمر : هيهات يا ابن العباس ، قد كانت تبلغني عنك اشياء اكراه ان اقرك عليها فتزيل منزلتك مني . فقلت يا أمير المؤمنين ، فان كانت حقا فما ينبغي ان تزيل منزلتي منك ، وان كانت باطلا ، فمثلي اماط الباطل عن نفسه . فقال عمر بلغني انك تقول : صرفوها عنا حسدا وبغيا وظلما . قال ابن عباس فقلت :

اما قولك يا أمير المؤمنين ظلما ، فقد تبين للجاهل والحليم ، واما قولك حسدا ، فان آدم حسد ونحن ولده المحسودون .

فقال عمر : هيهات هيهات ، ابت والله قلوبكم يا بني هاشم الا حسدا لا يزول ، قال فقلت يا أمير المؤمنين مهلا ، لا تصف بهذا قلوب قوم اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا^(١) .

٢ - وحاورة مرة أخرى فقال له في حديث آخر ، كيف خلفت ابن عمك ، قال فظفته

(١) راجع الكامل في التاريخ لابن الاثير ج٣ ص٢٤ اخر سيرة عمر من حوادث سن ٢٣ . وراجع علامة المعتزلة ص ١٠٧ مجلد ٣ من شرح النهج . (٢) اخرجه الامام أبو الفضل أحمد بن أبي الطاهر في تاريخ بغداد بسنده المعتبر إلى ابن عباس واورده علامة المعتزلة في احوال عمر من شرح النهج ص ٩٧ مجلد ٣ .

يعني عبدالله بن جعفر، قال فقلت، خلفته مع اترابه. قال عمر، لم اعن ذلك انما عنيت عظيمكم أهل البيت، قال، قلت خلفته يمتح بالغرب وهو يقرأ القرآن، قال يا عبدالله عليك دماء البدن ان كتمتها هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت، نعم، قال ايزعم ان رسول الله نص عليه؟ قال ابن عباس قلت وازيدك سألت ابي عما يدعي من نص رسول الله عليه بالخلافة فقال صدق.

فقال عمر: قد كان من رسول الله في امره ذروا - اي المكان المرتفع - من قول لا يثبت حجة ولا يقطع عدرا ولقد كان يربع (يمتحن) في أمره وقتنا ما، ولقد أراد في مرضه ان يصرح باسمه فمنعته^(١).

٣ - وتحاور مرة ثالثة فقال: يا ابن عباس ما ارى صاحبك الا مظلوما، فقلت يا أمير المؤمنين فاردد اليه ظلامته. قال ابن عباس، فانتزع عمريده من يدي ومضى يهمهم ساعة ثم وقف فلحقته فقال، يا ابن عباس، ما اظنهم منعهم عنه الا انه استصغره قومه، قال فقلت، والله ما استصغره الله ورسوله حين امره ان يأخذ سورة براءة من صاحبك. قال، فاعرض عني وأسرع^(٢).

٤ - وكم لرجال بني هاشم من امثال هذه الاحتجاجات^(٣).

٥ - راجع احتجاجات الصحابة، كخالد بن سعيد بن العاص الاموي، وسلمان الفارسي، وابي ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، والمقداد، ويريده الاسلمي، وأبو الهيثم بن التيهان، وسهل، وعثمان ابني حنيف، وخزيمة ذو الشهادتين، وابي بن كعب وابو ايوب الانصاري وغيرهم^(٤).

— اجتماع بني عبد مناف واحتوائه :

لما علم أبوسفیان ان اناسا بايعوا أبا بكر، اقبل وهو يقول: ما لنا وأبي فصيل، انما هو بنو عبد مناف^(٥).

(١) راجع نهج البلاغة لعلامة المعتزلة الحديدي ص ١٠٥ مجلد ٣.

(٢) راج المراجعات للامام شرف الدين العاملي ص ٣٤٢-٣٤٥.

(٣) يمكن الاطلاع على احتجاجاتهم في كتاب الاحتجاج للامام الطبرسي.

(٤) راجع تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٠٢.

ولما اجتمع الناس على بيعة أبي بكر، اقبل أبوسفیان وهو يقول : والله اني لأرى عجاج لا يطفئها إلا الدم يا آل عبد مناف فيما أبوبكر من اموركم، اين المستضعفان، اين الاذلان علي والعباس، وقال يا أبا الحسن، ابسط يدك ابايحك فأبى ذلك علي وزجره وقال له والله ما اردت بهذا الا الفتنة، والله ظالما بغيت الإسلام شرا لا حاجة لنا بنصيحتك^(١).

وهكذا رفض علي وحدة بني عبد مناف ضد أبي بكر حرصا على الإسلام .
ووجد أبوسفیان الفرصة سانحة امامه، واذرع السلطة مفتوحة له . فقد اقترح عمر على أبي بكر، كما روى الجوهري في كتاب السقيفة . ان يترك لأبي سفيان ما بيده من الصدقات التي جمعها^(٢).

وليجعل عمر لأبي سفيان مصلحة في خلافة أبي بكر، اقترح على أبي بكر أن يولي يزيد بن أبي سفيان قيادة جيش ويرسل معه اخاه معاوية كقائد من قواده، مع ان معاوية من المؤلفة قلوبهم، ويموت يزيد فيما بعد ويتسلم معاوية ولاية الشام ويغير مجرى التاريخ كله .

ويتلقى أبوسفیان تلك المنن بالرضا والقبول ويقول عن أبي بكر وصلته رحم^(٣).

وياختصار فان عليا ارفع وانبل من ان يفرق بين الدين والسياسة، حتى ولو ضاع حقه .

واثبت فيما يلي نص الرسالتين المتبادلتين بين أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبين والده^(٤).

ارسل أبوبكر الصديق رسالة إلى والده الذي كان بالطائف جاء فيها :

(من خليفة رسول الله ﷺ إلى ابيه ابي قحافة . . اما بعد : فان الناس تراضوا

(١) راجع تاريخ الطبري ج٣ ص ٢٠٣ .

(٢) راجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ج١ ص ٣٠٦-٣٠٧ .

(٣) راجع ج٣ ص ٢٠٩-٢١٠ من تاريخ الطبري وراجع ص ١٥٢ من نظام الحكم للقاسمي .

(٤) راجع شرح النهج للخوئي ج٣ ص ٣٩ نقلا عن الاحتجاج للطبرسي نقلهما الدكتور محمد الصادقي في كتابه علي والحاكمون ص ١٠٤-١٠٥ .

بي، فاني اليوم خليفة الله، فلو قدمت علينا كان احسن بك). فلما قرأ أبوقحافة الكتاب قال للرسول الذي حملة: ما منعكم من علي عليه السلام؟ قال الرسول، هو حدث السن، وقد اكثر القتل في قريش وغيرها وأبويكر هو اسن منه . .

قال أبوقحافة: ان كان الأمر في ذلك بالسن، فأنا احق من أبي بكر، لقد ظلموا عليا حقه، وقد بايع له النبي وامرنا ببيعته، ثم كتب اليه:

من أبي قحافة إلى أبي بكر، اما بعد: فقد اتاني كتابك، فوجدته كتابا احمق ينقض بعضه بعضا، مرة تقول خليفة رسول الله، ومرة تقول خليفة الله، ومرة تقول تراضى بي الناس، وهو أمر ملتبس، فلا تدخلن في امر يصعب عليك الخروج منه غدا، ويكون عقابك منه إلى الندامة وملامة النفس اللوامة لدى الحساب يوم القيامة فان للامور مداخل ومخارج، وانت تعرف من هو أولى بهامتك، فراقب الله كأنك تراه، ولا تدعن صاحبها، فان تركها اليوم اخف عليك وأسلم لك .

بعد حادثة السقيفة ومبايعة أبي بكر اخذ الناس يتندرون، ان أبابكر تقدم علياً، وعلي يقول انه الأولى، وبعد فترة قام أبوبكر خطيباً، كما يرويه الزبير بن العوام، وقال: صبرا على من ليس يوال الى دين، ولا يحتجب برعاية، ولا يرعوى لولاية، أظهر الايمان ذله، وأسر النفاق غله، هؤلاء عصبة الشيطان وجمع الطغيان يزعمون اني اقول اني افضل من علي، وكيف اقول ذلك؟ ومالي سابقة ولا قرابته ولا خصوصيته، وحد الله وانا ملحد، وعبد الله قبل ان اعبد، ووالى الرسول وانا عدوه، وسابقني بساعات لم الحق شأوه ولم اقطع غباره .

ان ابن ابي طالب فاز والله من الله بمحبة، ومن الرسول بقربة، ومن الايمان برتبة، لوجه الأولون إلا النبيين - لم يبلغوا درجته ولم يلسكوا منهجه . . . إلى ان قال:

فلو كانت جميع الخيرات لقلبه كنوزا، لا يدخر منها مثقال ذرة إلا انفق في بابيه، فمن ذا يؤمل ان ينال درجته، وقد جعله الله ورسوله للمؤمنين وليا، وللنبي ﷺ وصيا، وللخلافة راعيا، وبالأمانة قائما، افيغتر الجاهل بمقام قمته اذا أقامني وأطعته اذا امرني . . .

إلى ان قال : ود المتمنون ان لوكانوا تراب اقدام بن ابي طالب، اليس هو صاحب لواء الحمد، والساقى يوم السورود، وجامع كل كريم، وعالم كل علم، والوسيلة الى الله ورسوله^(١).

وقال أبوبكر يوما: اقبلوني، اقبلوني، فلست بخيركم وعلي فيكم^(٢).

(١) راجع شرح النهج للخوئي ج٣/ ٤١ نقلها عن احتجاج الطبرسي برواية عامر الشعبي عن عروة بن الزبير عن الزبير بن العوام ونقلها عنهما الدكتور محمد الصادقي في كتابه - علي والحاكمون - ص ١٠٥-١٠٧.

(٢) راجع علي والحاكمون - اجمع عليها أهل الشيعة وذكرها الكثير من أهل السنة منهم الفخر الرازي والطبرسي في تاريخه والبلاذري في انساب الاشراف والسمعاني في الفضائل راجع ص ١٠٩ من - علي والحاكمون -.

الفصل الثامن

— الآثار السياسية «للفلته» :

كان لما جرى في سقيفة بني ساعدة آثار سياسية هامة منها :

١ - عرف الخلفاء الثلاثة : وبمجرد تمام بيعه أبي بكر وممارسته لشؤون رئاسة الدولة تبين بوضوح ان خليفته سيكون عمر وخليفة عمر سيكون أباعبيدة .

بدليل ان عائشة ام المؤمنين كانت وثيقة الصلة بأبيها الخليفة الأول ونائبه عمر، وكانت مسموعة الكلمة عندهم وهي ترى :
(ان الرسول لو استخلف لاستخلف أبابكر ومن بعده عمر ومن بعده أباء عبيده)^(١) .

ولأن هؤلاء الثلاثة هم وحدهم الذين حضروا اجتماع سقيفة بني ساعدة من دون المهاجرين فكان من الطبيعي جدا ان يقطفوا ثمرة حضورهم .

وهذا ما حدث بالفعل، اذ ان أبابكر اوصى بالخلافة لعمر وهو على فراش الموت . وقد عرف على هذا قبل ان يحدث وصرح به لعمر^(٢) .

وهذا عمر يصرح وهو على فراش الموت أيضاً بأنه لو كان أبوعبيدة حيا لولاه واستخلفه^(٣) . وتلك حقيقة اكبر من ان تنكر .

وعندما تحققت وفاة أبي عبيدة، اقتنع الصديق الخليفة ونائبه الفاروق رضي الله عنهما ان الخليفة لا بد ان يكون عثمان، وبدأت تعد العدة لذلك، انظر الى قول أبي بكر عندما كتب عثمان وصيته باستخلاف عمر، يقول أبو بكر لعثمان :

(١) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٢٢٥ .

(٢) راجع تاريخ الطبري ج٣ ص ٤٢٨ و ص ١٩ من الامامة والسياسة و ص ٨٥ ج٢ من تاريخ بن خلدون و ص ٣٧ من سيرة عمر لابن الجوزي على سبيل المثال فقط .

(٣) راجع الامامة والسياسة ص ١١ .

(٤) راجع الامامة والسياسة ص ٢٣ على سبيل المثال .

والله لو كتبت نفسك لكنت اهلاً^(١). وعثمان جدير بذلك سياسياً، فهو اول زعيم من زعماء المهاجرين بايع أبابكر^(٢).

ولم يذكر ان عارض أبابكر أو عمر بأي وقت من الاوقات، وتولية عثمان أمر طبيعي لأنه كان موضع ثقة أبي بكر وعمر. فكان الناس اذا ارادوا ان يسألوا عمر عن شيء رموه بعثمان أو بعبد الرحمن بن عوف، وكان عثمان يدعى في إمارة عمر بالرديف، والرديف بلسان العرب الرجل الذي يأتي بعد الرجل والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد زعيمهم^(٣).

إذاً، فتلك حقيقة أن الثلاثة الذين حضروا اجتماع السقيفة، قد خرجوا من السقيفة معاً مثلما دخلوها معاً، وترتب حقيقة أن أبا بكر الخليفة الأول، وأن عمر هو الخليفة الثاني، وأن أبا عبيدة هو الخليفة الثالث. وبموت أبي عبيدة، وقع اختيار عمر على عثمان بن عفان. ومن يدق بالشروط التي وضعها عمر لأصحاب الشورى الخمسة، يكتشف أن عثمان بن عفان قد عينه عمر بالنص أو - إن شئت فقل - سماه خليفة بالنص.

٢ - الأثر السياسي الثاني للفتنة: الايمان بولاية العهد والعمل بها:

أدرك الخليفة أبوبكر ونائبه عمر أهمية ولاية العهد وضرورتها لمصلحة المسلمين، ومجرد خروج الثلاثة من السقيفة، فرضت الأحداث عمر بن الخطاب ولياً للعهد، وتصرف تصرف ولي العهد. فعمرو الذي هدد علياً بالقتل إن لم يبايع^(٤). وعمرو الذي أمر بقتل سعد بن عباد في السقيفة، لا بصفته الشخصية، إنما بصفته ولياً للعهد أو جزءاً من السلطة^(٥). وعمرو الذي أقسم على حرق بيت

(١) راجع ص ٤٢٨ ج ٢ من تاريخ الطبري و ص ٣٧ من سيرة عمرو و ص ٨٥ ج ٢ من تاريخ ابن خلدون.

(٢) راجع ص ١١ الامامة والسياسة.

(٣) راجع نظام الحكم للقاسمي ص ٤١٩ كما نقلها عن الطبري من ابتداء معركة القادسية.

(٤) راجع الامامة والسياسة ص ١٣ و ص ٩-٨.

(٥) راجع الامامة والسياسة ص ١٠ والطبقات لابن سعد ج ٣ ص ٦١٧.

فاطمة بنت رسول الله ﷺ على من فيه، لا بصفته عمره، إنما بوصفه ولياً للعهد أو جزءاً من السلطة^(١).

وأبو بكر - على فراش الموت - أوصى بأن يكون الخليفة من بعده ولي عهد عمر^(٢)، وعمر - على فراش الموت - أوصى بأن يكون الخليفة من بعده عثمان. فعثمان كان يعرف بالرديف، وهو موضع سر أبي بكر وموضع سر عمر، وإذا أراد الناس شيئاً من عمر رموه بعثمان^(٣).

ومن الطبيعي أنه لو كان أبو عبيدة حياً، لتولى الخلافة من بعد عمر، عملاً بمقولة أم المؤمنين عائشة^(٤).

والأربعة يسلمون ضمناً وينفون بطريقة قاطعة أن يكون للرسول ولي عهد. ويقولون أن الرسول خلى على الناس أمرهم^(٥). ومع هذا، ابتدعوا ولاية العهد، إذ رأوها وسيلة لمنع الفتنة، وطريقة سهلة لانتقال السلطة بغير طريق الفتنة وبصورة سلمية.

ويجدر بالذكر، أن أبا بكر أوصى لعمر وهو على فراش الموت، حتى أنه ذهب في غيبوبة قبل أن يكتب اسم ولي عهده وخليفته من بعده، فكتبه عثمان وأقره أبو بكر^(٦).

ويجدر بالذكر، أن عمر قد عهد للسته من الناحية الشكلية، وعهد لعثمان عملياً وهو أيضاً على فراش الموت وقد اشتد به الوجع^(٧).

(١) راجع مصادر التحريق وقد اشرنا إليها في هذه الدراسة عدة مرات وراجع ص ١٣٤ ج ١ من شرح النهج الحديدي و ص ٢٩٥ من المراجعات.

(٢) راجع الامامة والسياسة ص ١٩ وراجع ص ٤٢٩ ج ٣ من تاريخ الطبري و ص ٣٧ من سيرة عمر لابن الجوزي و ص ٨٥ ج ٢ من تاريخ ابن خلدون.

(٣) راجع الامامة والسياسة ص ٢٣.

(٤) راجع الطبقات لابن سعد ج ٣ ص ٢٢٥ و ص ٢٢٣ الامامة والسياسة.

(٥) راجع ص ١٩ الامامة والسياسة و ص ٤٢٩ ج ٣ من تاريخ الطبري و ص ٣٧ من سيرة عمر و ص ١٩٩ ج ٣ من الطبقات و ص ٨٥ ج ٢ من تاريخ ابن خلدون.

(٦) راجع الامامة والسياسة ص ٣٣.

وغني عن البيان ، أن الرسول ﷺ قد منع من كتابة عهده ومن كتابة وصيته تحت شعار أن المرض قد اشتد به ولا ينبغي أن يسمح له بالوصية^(١).

ويجدر بالذكر أيضاً أن ولاية العهد أصبحت جائزة في نظر علماء أهل السنة بسبب عهد أبي بكر لعمر وعهد عمر للسته أو عمليا لعثمان .

وبعد أن تولى الامويون رئاسة الدولة أصبح العهد هو الطريقة المتبعة على الاغلب في تولية الخليفة .

وهكذا كانت الحالة في عهد العباسيين والعثمانيين . فإما عهد إلى الولد أو عهد لأحد افراد الاسرة .

وأصبحت التسمية أو ولاية العهد جائزة شرعا لا لأن الرسول قد امر بها ، أو أتخذ ولياً لعهد ، ولكن لأن أبابكر قد عهد لعمر وعمر قد عهد لعثمان أو للسته^(٢).

أنظر إلى قول عائشة لعمر : استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملا^(٣) . ثم انظر إلى رد عمر عليها ، ومن تأمرني ان استخلف . الا ترى ان صلاحيات الخليفة باختيار ولي عهده شبه مطلقة ، فلو امرته أم المؤمنين ان يستخلف أي شخص لفعل ، لسبب بسيط انه وام المؤمنين يكرهون ان تبقى أمة محمد هملا وبغير راع . ورافة ورحمة بهذه الأمة .

ارجع لعنوان ولاية العهد في باب تسمية الامام من هذه الدراسة .

الاثر السياسي الثالث للفتنة : عزل العترة الطاهرة

كانت معارضة علي لابي بكر معارضة منطقية جداً ومؤثرة بشهادة بشير بن سعد وتستند إلى قواعد شرعية لا يمكن انكارها .

ولكن تبقى السلطة سلطة وتبقى المعارضة معارضة ، ولا يمكن للسلطة بأي

(١) راجع صحيح بخاري ص ٢٢ ج ١ وص ٣٢٥ ج ١ من مسند الامام احمد وراجع كتاب السقيفة للجوهري وص ٢٠ مجلد ٣ من شرح النهج وص ١٨٨ ج ٢ من البخاري وص ٣٥٥ ج ١ من مسند الامام احمد وراجع ص ٢٢٢ ج ١ من صحيح مسلم وراجع الطبراني كما ذكر صاحب الكنز ص ١٣٨ ج ١ وراجع الطبقات لابن سعد ج ٢ ص ٢٤٢-٢٤٥ وراجع ص ١١٤ مجلد ٢ من النهج سطر ٢٧ .

(٢) راجع الامامة والسياسة ص ٢٣ .

مقياس ان تثق سياسيا بالمعارضة ولا ان تسلم للمعارضة مكتسباتها، ولكن لأن فاطمة بنت محمد بجانب علي، فقد رؤى عدم قتله، بالرغم من انه هدد بالقتل ورؤى عدم اكراهه على البيعة تقديرا لفاطمة زوجته^(١).

ومع هذا فالنتيجة المنطقية كانت عزل الامام بعد وفاة فاطمة، وتجلت رغبة عزل الامام عن بني هاشم، محاولة السلطة اجتذاب العباس اليها باغرائه ببعض الامر له ولعقبه، ولكن العباس رفض ذلك رفضاً قاطعاً، ورد ردا حاسما على السلطة^(٢).

وبالمعيار الموضوعي، فاذا قدر للشخص العادي ان يختار بين السلطة وبين خصومها، فانه سيختار جانب السلطة لانها هي الجانب القوي. خاصة وان معارضات أهل البيت تتابع^(٣)، وكاد حبل الود بين السلطة وبين العترة الطاهرة ان ينقطع نهائيا عندما همّ عمر باحراق بيت فاطمة.

ولكن الله سلم وخرج الذين اجتمعوا في بيتها بسلام^(٤).

ولقد بلغ الشك بالعترة الطاهرة حدا ان اقتنعت السلطة بانه لا يجوز لبني هاشم ان يجمعوا مع النبوة الخلافة حتى يمنع اجحافهم. وآمنت السلطة أن قريشا قد اهدت عندما اخذت بهذا المبدأ^(٥).

(١) راجع الامامة والسياسة ص ١٣.

(٢) راجع الامامة والسياسة ص ١٥-١٦.

(٣) راجع الامامة والسياسة ص ١٦-١٧ و ص ١٦٠ من الصواعق المحرقة و ص ٣٤٥ من المراجعات و ص ٢٤ ج ٣ من تاريخ بن الاثير و ص ١٠٧ مجلد ٣ من الشرح الحديدي. و ص ١٠٥ و ٩٧ مجلد ٣ من الشرح الحديدي و راجع كتاب الاحتجاج للطبرسي.

(٤) راجع مراجع التحريق ومنها ص ١٢ الامامة والسياسة و ص ١٣٤ مجلد ١ من الشرح والمسعودي في مروج الذهب في معرض الاعتذار عن فعل اخيه عبدالله اذ هم بتحريق بيوت بني هاشم و راجع ديوان حافظ ابراهيم وقصيدته العمري و راجع ص ٢٩٥ المراجعات.

(٥) راجع ص ١٠٧ مجلد ٣ من شرح النهج و ص ٢٤ ج ٣ من الكامل في التاريخ و ص ٢٦ من الامامة والسياسة.

(٦) راجع الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ٣ ص ٢٤ آخر سيرة عمر من حوادث سنة ٢٣ و راجع علامة المعتزلة ص ١٠٧ مجلد ٣ من الشرح و راجع ص ٩٧ مجلد ٣ وقد نقلها عن الامام أبو الفضل أحمد بن أبي الطاهر في كتابه تاريخ بغداد.

والأهم من ذلك أنه قد وضع شرط بأنه لا يجوز أن يسلط أي هاشمي على رقاب الناس حتى ولو كان ذا قوة وذا أمانة. وقد نفذ هذا الشرط بدقة خلال عهدي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما^(١).

وباستمالة أبي سفيان إلى جانب السلطة وترك ما بيده من الصدقات التي جمعها وتولية ابنه يزيد قائداً على جيش الشام وتعيين أخيه معاوية قائداً من قواد يزيد تم عزل العترة الطاهرة حتى عن بني عبد مناف. وقد اضطرت السلطة أن تترك ما بيد أبي سفيان من الصدقات التي أرسله الرسول ﷺ لجمعها، واضطرت أن تعين ولديه يزيد ومعاوية حتى يختفي إلى غير رجعة شعار آل عبد مناف الذي رفعه أبوسفيان^(٢). وقد هم عبد الله بن الزبير أن يحرق بيوت بني هاشم، وبقي الحكم طوال التاريخ ينظرون للعترة الطاهرة من الناحية العملية نظرة شك وريبة كتركة للفتنة وما جرى في السقيفة.

— الأثر السياسي الرابع للفتنة: «أصبحت الخلافة من الناحية النظرية ملك الفرص وحق لأي إنسان».

فأنت رأيت أن الانصار في سقيفة بن ساعدة اقتنعوا أن الخلافة محصورة بأهل النبي وعشيرته، وهذه حجة تمسك بها المهاجرون الثلاثة في السقيفة ورضخ لها الانصار، ومن أجل هذا سلمت المقادة للمهاجرين الثلاثة.

وبسبب هذا قالت الأنصار لا نبايع إلا علياً. أو قال بعض الأنصار لا نبايع إلا علياً وعلي غائب^(٣).

واحتج الثلاثة على الأنصار بأنهم أولى بالخلافة لانهم أصحاب السابقة في الايمان ولأن العرب تأبى أن تولي الخلافة إلا من كانت النبوة فيهم^(٤).

(١) راجع المراجع السابقة وراجع ص ٢٦ من الامامة والسياسة.

(٢) راجع تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٠٣-٢٠٩ و ٢١٠ وراجع شرح النهج لعلامة المعتزلة بن أبي الحديد ج ١ ص ٣٠٦-٣٠٧ وراجع ص ١٥٢ من نظام الحكم للقاسمي.

(٣) راجع الامامة والسياسة ص ٤-٩ وص ١٩٧-١٩٨ ج ٣ من تاريخ الطبري.

(٤) راجع تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٩٧-١٩٨.

(٥) راجع الامامة والسياسة ص ٧ و ٨.

لكن بعد حادثة السقيفة انقلبت تلك الاطر تماما. انظر إلى قول عمر:

لو ادركت معاذ بن جبل استخلفته ووليته^(١). ومعاذ بن جبل هذا من طبقة البدرين من الانصار^(٢). فاذا كان يجوز تولية الانصار فلماذا لم تكن تلك التولية جائزة يوم السقيفة؟ الم يطالب بالخلافة سعد بن عباد سيد الخزرج واحد النقباء ليلة العقبة، ونقباء العقبة اختارهم جبريل، وسعد ليس كمعاذ بن جبل، فسعد سيد الخزرج بلا منازع^(٣).

ثم انظر إلى قول عمر: ولو ادركت خالد بن الوليد لوليته^(٤). وخالد بن الوليد من الطبقة العاشرة من طبقات الصحابة، وهو الذي غير موازين القوى في معركة احد عندما انقض على الرماة. الا ترى بأن هذا الغاء لطبقات الصحابة ولفكرة الطبقة ولفكرة القرابة التي آمن بها عمر نفسه ووزع العطايا على اساسها^(٥).

والأهم من ذلك ان عمريقول بانه لو ادرك سالم مولى ابي حذيفة حيا لولاه الخلافة. مع ان سالم ليس من الانصار ولا يعرف له نسب في العرب. اليس هذا نفس للقاعدة الشرعية القائلة (بان الائمة من قريش) كما رواها اكثر اصحاب السنن ونسف للحجة التي تولى بها أبوبكر نفسه الخلافة بموجبها^(٦).

ومن هنا فلا ينبغي ان ندهش اذا رأينا ان معاوية بن ابي سفيان يعتلي سدة الخلافة وهو الطليق ابن الطليق ومن المؤلفة قلوبهم وينازع بالخلافة اول من اسلم وهو علي ولا ينبغي ان ندهش عندما يطالب مروان بن الحكم بالخلافة وهو ابن الحكم بن العاص الذي كان محظورا عليه ان يدخل المدينة في زمن رسول الله وزمن أبي بكر وزمن عمر حتى تولى عثمان الخلافة فأدخله معززا مكرما واتخذ ابنه مروان وزيرا له.

(١) راجع الامامة والسياسة ص ٢٣.

(٢) راجع الطبقات لابن سعد ص ٥٨٣ ج ٣.

(٣) راجع الامامة والسياسة ص ٨٥ و ص ٥٨٣ ج ٣ الطبقات و ص ٦١٣-٦١٧ من الطبقات ج ٣ لابن سعد.

(٤) راجع الامامة والسياسة ص ٢٤.

(٥) راجع فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٣٧-٤٣٨.

(٦) راجع خطبة أبي بكر في سقيفة بني ساعدة وراجع خطبة عمر ص ٥ وما فوق.

فما جرى مناقض تماماً للحجج التي سلمت بموجبها الأنصار ومناقض لقواعد الاسبقية في الايمان وللقاعدة الشرعية القائلة بان الأئمة من قريش والأهم من ذلك انه مناقض لمفاهيم عمر نفسه^(١).

فلذلك فتحت فلتة السقيفة الباب على مصراعيه امام أي طامع بالخلافة .

— الأثر السياسي الخامس للفلتة : بروز فكرة التغلب واعتبارها سبباً شرعياً للوصول إلى منصب الخلافة في الإسلام

ذكر أبويعلى الفراء فقال : روى عن الامام أحمد ما دل على ان الخلافة تثبت بالغلبة والقهر ولا تفتقر إلى العقد . فقال في رواية عبدوس بن مالك العطار (ومن غلب بالسيف حتى صار خليفة وسمي امير المؤمنين فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يبيت ولا يراه اماماً برأً كان أم فاجراً .

وقال أيضاً في رواية أبي الحارث في الامام يخرج عليه من يطلب الملك فيكون مع هذا قوم ومع هذا قوم (تكون الجمعة مع من غلب).

واحتج بان ابن عمر صلى بأهل المدين وقال (نحن مع من غلب) والناس يبايعون الغالب .

الا ترى كيف انتهت الأمور واقعياً بالنظام السياسي الإسلامي ، فعلى الأمة ان تباع الغالب بغض النظر عن دينه وصفاته . وبغض النظر عن موقف الشرع ، بل أصبحت تلك المقولات جزءاً من الشريعة السياسية .

— الأثر السياسي السادس للفلتة :

أهل الشورى الذين حددهم الشرع ، الغي دورهم تماماً وأصبح الذين يؤيدون خليفة هم أهل شوره ، يبايعونه البيعة الخاصة ، ثم يساعدونه كجزء من السلطة للحصول على بيعة الأمة العامة .

وهكذا يصبح الذين يؤيدون الخليفة هم أهل الشورى ، وبالتالي قادة الأمة .

(١) راجع نظام الحكم للقاسمي ص ٢٤٤-٢٤٥ .

(٢) راجع مروج البلدان للبلاذري .

الفصل التاسع

— النظرية التطبيقية في التولية :

اثبتنا في بحثنا بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة، ان المسلمين اخفقوا بتطبيق النظام السياسي الإسلامي على الأقل فيما يتعلق برئيس الدولة (الامام أو الخليفة أو الولي) لظروف اوضحناها.

وقد اجتهدوا في معرض وجود النص الصريح والواضح، وعلى الاغلب، فقد حصلوا على أجر واحد فقط من اجتهادهم هذا.

وانعكس اخفاقهم هذا واجتهادهم على طريقة تطبيقهم للنظام السياسي الإسلامي وتوصلوا إلى صورتين رئيسيتين في التطبيق :

١ - الخلافة الراشدة وهي خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

٢ - المملكة الإسلامية وظهرت في :

ا - خلافة الطلقاء.

ب - الخلافة العباسية.

ج - الخلافة العثمانية.

وسنقوم بالقاء نظرة موثقة على هاتين الصورتين.

— الصورة الأولى :

١ - تولية الخلفاء الراشدين :

أ - تولية ابي بكر الصديق رضي الله عنه :

قلنا ان الأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ليتداولوا امرهم بعد وفاة رسول الله ﷺ، ولم يعرف للآن من الذي أخبر عمر بن الخطاب بهذا الاجتماع، ولما علم عمر ذهب إلى أبي بكر حيث كان يساعد العترة الطاهرة على تجهيز الرسول وناداه وخرج أبو بكر وسار مع عمر، وهنالك اختلاف : فقسم يقول سار الاثنان أبو بكر وعمر ووجدا أبا عبيدة في الطريق، وقسم آخر يقول ان أبا عبيدة حضر مع عمر والخلاصة ان الثلاثة دخلوا إلى سقيفة بني ساعدة حيث اجتمع الأنصار^(١).

(١) راجع الامامة والسياسة ص ٥.

وتكلم أبو بكر^(١)، وتكلم عمر^(٢)، وتكلم أبو عبيدة^(٣)، وركز الثلاثة على :

١ - ان العرب تأبى ان تولي الخلافة إلا من كانت النبوة فيهم^(٤)،

٢ - ان العرب تأبى ان تخضع إلا لقريش^(٥).

٣ - ان أهل محمد وعشيرته أولى بميراث محمد وسلطانة^(٦).

واقنع الأنصار ان أهل محمد أولى بميراثه وسلطانته كما قال بشير بن سعد^(٧).

هنالك قالت الأنصار (لا نبايع إلا علياً)^(٨)، قال بعض الأنصار لا نبايع إلا علياً^(٩).

عندئذ تجاهل أبو بكر قول الأنصار وقال :

اني ادعوكم إلى ابي عبيدة أو عمر وكلاهما قد رضيت لكم . فقال عمر وأبو عبيده ما ينبغي لأحد من الناس أن يكون فوقك ، فأنت صاحب الغار وثاني اثنين ، وامرك رسول الله على الصلاة . فأنت احق الناس بهذا الأمر^(١٠) .

فقام بشير بن سعد فبايع أبابكر حسدا لسعد بن عباد وباع عمر وأبو عبيده وحتى لا يذهب سعد بن عباد بالفضيلة ، قام جماعة منهم اسيد بن حضير وبايعوا . وتتابعت بيعة الأنصار ، وبايع قسم كبير من الأنصار^(١١) .

خرج أبو بكر ليفاجئ الناس بأنه الخليفة ، وخرج عمر كنائب للخليفة ، وخرج الذين بايعوه كجيش للسلطة أو الخليفة . انظر إلى اسيد بن حضير فقد تولى قيادة السرية التي لحقت ببني هاشم والزبير وجرتهم إلى البيعة جراً^(١٢) .

وجاء الخليفة ونائبه وجيشه الذين بايعوه إلى المسجد حيث كان المهاجرون مجتمعين ، وصاح بهم نائب الخليفة عمر : مالي اراكم حلقا شتى ، قوموا فبايعوا

(١) راجع الامامة والسياسة ص ٧-٥ .

(٢) راجع الامامة والسياسة ص ٨-٧ .

(٣) راجع الامامة والسياسة ص ٨ .

(٤-٦) راجع الامامة والسياسة ص ٨-٥ .

(٧ و ٨) راجع تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٩٧-١٩٨ .

(٩) راجع الامامة والسياسة ص ٨ و ٩ .

(١٠) راجع الامامة والسياسة ص ١١ .

أبابكر، فقد بايعته وبايعه الأنصار^(١) .

فقام عثمان ومن معه من بني أمية فبايعوا^(٢) ، وقام سعد بن أبي وقاص وعبدالرحمن بن عوف ومن معهم من بني زهرة فبايعوا^(٣) .

أما علي والعباس والزبير ومن معهم من بني هاشم فقد انصرفوا إلى رجالهم^(٤) . فذهب إليهم عمر في عصابة منهم أسيد بن حضير وسلمه بن أسلم فقال: انطلقوا فبايعوا فأبوا، فخرج الزبير بالسيف. فصاح عمر بجنده عليكم بالرجل فخذوه. فوثب عليه سلمه بن أسلم، فأخذ السيف من يده وضرب الجدار به وانطلقوا به فبايع، وبايع بنو هاشم بالقوة^(٥) .

البيعة العامة: تخلف عن بيعة أبي بكر مجموعة كبيرة من الناس، ومن أشهرهم علي بن أبي طالب الذي كان يرى أنه أحق بالخلافة من أبي بكر وسعد بن عباد^(٦) .

ولكن كل الذين تخلفوا عن بيعة أبي بكر بايعوا في النهاية إما طوعاً أو كرهاً^(٧) . ما عدا سعد بن عباد الذي أصر على عدم البيعة، وقتل غيلة في زمن عمر بن الخطاب^(٨) .

أقبلت أسلم في البداية بطن من بطون الأنصار حتى تضايق بهم السكك، فبايعوا أبابكر، فكان عمر يقول: ما إن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر^(٩) . وتمّ الأمر لأبي بكر الصديق وأصبح أول خليفة من خلفاء المسلمين .

(١) راجع الامامة والسياسة ص ١١ .

(٢) راجع الامامة والسياسة ص ١١ .

(٣) راجع الامامة والسياسة ص ١١ .

(٤) راجع الامامة والسياسة ص ١١ .

(٥) راجع معارضة العترة الطاهرة ومعارضة سعد في باب السلطة والمعارضة من هذه الدراسة .

(٦) راجع الامامة والسياسة ص ١٢-١٥ .

(٧) راجع الطبقات لابن سعد ج ٢ ص ٦١٣-٦١٧ وراجع الامامة والسياسة ص ١٢-١٥ .

(٨) راجع تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٢٢ و ص ٢٥٩ من نظام الحكم للقاسمي .

ب - تولية الخليفة عمر بن الخطاب :

لوشاء عمر بن الخطاب لأصبح الخليفة الأول، فقد قال له أبوبكر: ابسط يدك ابايحك . فكان من الطبيعي جدا ان يكون الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، فقد لعب دورا بارزا في مجريات الاحداث .

فهو الذي حال بين رسول الله وبين كتابة وصيته ، لأن المرض قد اشتد برسول الله ﷺ وقال يومها حسبنا كتاب الله كما هو ثابت^(١)، وهو صاحب المقالة المشهورة في السقيفة (انه والله لا ترضى العرب ان تؤمركم ونيها من غيركم، ولكن العرب لا ينبغي ان تولي هذا الأمر إلا من كانت النسوة فيهم . . . ومن ينازعنا سلطان محمد ونحن أهله وعشيرته إلا مدل بباطل، أو متجانف لاثم، أو متورط في هلكة)^(٢) .

وهو الذي دوخ المعارضة، ففي قيادته كنائب للخليفة، ذهبت عصاة واحضروا بني هاشم والزبير بالقوة فبايعوا^(٣) .

وهو الذي صاح بالمهاجرين المجتمعين في المسجد (مالي اراكم حلقا شتى قوموا فبايعوا أبابكر فقد بايعته وبايعه الأنصار)^(٤) .

وبسببه قام عثمان ومن معه من بني أمية فبايعوا^(٥)، وقام سعد بن ابي وقاص وعبدالرحمن بن عوف وبنوزهرة فبايعوا^(٦) .

وهو الذي اصدر امرا بقتل سعد بن عباد في السقيفة^(٧)، وهو الذي هدد علي ابن أبي طالب بضرب العنق ان لم يبايع^(٨) . «طبعاً بوصفه نائب الخليفة» . وهو الذي

(١) راجع مراجع المنع فكل الذين صرحوا باسم المعارض ذكروا عمر رضي الله عنه .

(٢) راجع الامامة والسياسة ص ٨٨٨٧ .

(٣) راجع الامامة والسياسة ص ١١ .

(٤) راجع الامامة والسياسة ص ١١ .

(٥-٦) الامامة والسياسة ص ١١ .

(٧) راجع ص ١٠ من الامامة والسياسة وج ٣ ص ٢١٠ من تاريخ الطبري وراجع ص ٦١٦-٦١٧ من

الطبقات لابن سعد ج ٣ .

(٨) راجع الامامة والسياسة ص ١٣ .

هدد فاطمة بنت محمد بحرق بيتها^(١). وهو ولي عهد الخليفة ابي بكر رضي الله عنهما. وبالتالي هو المرشح المؤكد لرئاسة الدولة بعد ابي بكر. انظر الى قول علي لعمر يوم السقيفة (احلب حلبا لك شطره واشدد له اليوم امره يردده عليك غدا)^(٢).

وعمر رضي الله عنه هو منظر الرأي السياسي القائل: بعدم جواز جمع الهاشميين الملك مع النبوة. وهو الذي وضع شرطا بعدم جواز تولية أي هاشمي على رقاب الناس حتى ولو كان الهاشمي موضع قوة وامانة^(٣). (وهو الذي حرم على أصحاب رسول الله الوظائف العامة حتى لا يدنسهم بالعمل)^(٤). وهو الذي حال بين الرسول وبين كتابة وصيته في مرضه^(٥)، وهو الرجل العظيم الذي توعد بالموت وتقطيع الاطراف من يزعم ان محمداً قد مات مع انه حاضر للموت^(٦).

وهو الذي لم تحمله رجلاه عندما تأكد من وفاة الرسول^(٧)، وهو الذي تحامل على نفسه بعد ذلك ويبحث عن ابي بكر وذهب وإياه إلى سقيفة بني ساعدة وانتزعوا الخلافة من الأنصار^(٨).

وهو الذي رتب الامور بحيث ان البيعة تمت لأبي بكر بنفس اليوم الذي قبض فيه رسول الله وفي غياب كل المهاجرين وكل العترة الطاهرة^(٩).

-
- (١) راجع مراجع التحريق، وقد سقناها اكثر من مرة راجع ص ٢٩٥ من المراجعات للامام العاملي.
 - (٢) راجع ص ٩ من الامامة والسياسة.
 - (٣) راجع ص ١٠٧ مجلد ٣ من شرح النهج وص ١٠٥ مجلد ٣ وراجع ص ٢٤ ج ٣ من تاريخ بن الاثير وراجع ص ٢٢٢ من نظام الحكم للقاسمي كما نقله عن الطبري راجع رقم ٧.
 - (٤) راجع الطبقات لابن سعد ج ٣ ص ٢٨٣.
 - (٥) راجع ج ١ ص ٢٢ من صحيح بخاري وص ٣٢٥ من مسند الامام أحمد. وراجع كتاب السقيفة للجوهرى وص ٢٠ مجلد ٢ من شرح النهج وراجع ص ١١٨ ج ٢ من بخاري وص ٣٥٥ ج ١ من مسند الامام أحمد وراجع ص ٢٢٢ ج ١ من صحيح مسلم وص ١٣٨ ج ٣ من كنز العمال وص ٢٤٢-٢٤٥ ج ٢ من طبقات بن سعد وص ١١٤ مجلد ٣ سطر ٢٧ من شرح النهج.
 - (٦) راجع ص ١٩٧ ج ٣ من تاريخ الطبري.
 - (٧) راجع ص ١٩٧ ج ٣ من تاريخ الطبري.
 - (٨) راجع كل المراجع التي تبحث اجتماع السقيفة.
 - (٩) هنالك اجماع بانه لم يحضر من المهاجرين سوى أبي بكر وعمر وأبي عبده.

وبالاختصار الشديد هو الذي اخضع المعارضة طوعا وكرها . فكان من الطبيعي جداً ان تستقر أمور الدولة وان تطبق شهرة عمر الآفاق وان يعهد اليه أبوبكر بالخلافة .

— العهد :

دعا أبوبكر عثمان خاليا فقال اكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد أبوبكر بن أبي قحافة إلى المسلمين ، اما بعد : ثم اغمي عليه . فكتب عثمان : فاني استخلف عليكم عمر بن الخطاب ولم ألكم خيرا . ثم افاق أبوبكر فقال اقرأ علي . فقرأ عليه ، فكبر أبوبكر وقال : اراك خفت ان يختلف الناس ان اقتلنت نفسي من غشيتي ؟ قال نعم . . قال جزاك الله خيرا عن الإسلام وأهله . واقرأها أبوبكر رضي الله عنه ^(١) .

ويروي ابن الجوزي :

كتب عثمان عهد الخليفة بعد أبي بكر وامره ان لا يسمع احد وترك اسم الرجل فأغمي عليه اغماء ، فأخذ عثمان العهد فكتب فيه اسم عمر قال فأفاق أبوبكر فقال ارني العهد فاذا فيه اسم عمر . قال ومن كتب هذا؟ فقال عثمان أنا ، فقال أبوبكر : رحمك الله وجزاك خيرا فوالله لو كتبت نفسك لكنت أهلاً لذلك ^(٢) .

— البيعة العامة :

الأمور كانت مستقرة ، وجرت بيعة عمر مع مئة أبي بكر واستغرقت بيعة عمر ثلاثة ايام ^(٣) ، وكان عمر رضي الله عنه محبا لرسول الله وآله فقد بدأ بهم عند توزيع العطايا ^(٤) .

(١) راجع تاريخ الطبري جـ ٣ ص ٤٢٩ وراجع سيرة عمر لابن الجوزي ص ٣٧ وراجع تاريخ بن خلدون جـ ٢ ص ٨٥ .

(٢) راجع المراجع السابقة في رقم ١٨ .

(٣) راجع تاريخ الطبري جـ ٣ ص ٢٢٢ .

(٤) راجع فتوح البلدان للبلاذري .

جد تولية الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه :

كان عثمان موضع سر أبي بكر، فهو كاتب وصيته، وهو الذي قال له أبو بكر: (والله لو كتبت نفسك للخلافة لكنت أهلاً لها) .

فعثمان أول زعيم من زعماء المهاجرين قد بايع أبابكر وتبعه قومه بنو أمية . وكان عثمان موضع سر عمر أيضاً، فكان الناس اذا ارادوا ان يسألوا عمر شيئاً رموه بعثمان . وكان عثمان يدعى في امارة عمر بالرديف، والرديف بلسان العرب الرجل الذي بعد الرجل والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد زعيمهم . والحقيقة، انه يوم انتقل أبو عبيدة إلى الرفيق الأعلى، بدأ واضحا ان الخليفة سيكون عثمان .

انظر إلى قول عبدالرحمن بن عوف لعلي : يا علي ، لا تجعل على نفسك سبيلا فاني قد نظرت وشاورت الناس ، فاذا هم لا يعدلون بعثمان .

إذاً فان صرف الامر عن علي واعطائه لعثمان ليس لأن علياً قد قال (ارجوان افعل واعمل بمبلغ علمي وطاقتي) ، أو لأنه رفض التمشي على شرط عمر القاتل بعدم جواز تولية أي هاشمي حتى ولو كان صاحب قوة وامانة .

لكن لأن الامر معد أصلاً ليكون عثمان الخليفة ، فعبدالرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وعثمان هؤلاء فريق ، فسعد مع ابن عمه عبدالرحمن ، وعبدالرحمن مع صهره عثمان ، وعثمان مع نفسه .

وطلحة غائب فيبقى علي والزبير فريق ثاني . ووصية الخليفة عمر واضحة، اذا اجتمعوا ثلاثة فثلاثة فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن واقتلوا الباقيين ان رغبوا عما اجتمع عليه الناس . وعلى أي حال فقد حضر علي ليقيم عليهم الحجة فقط، ومع

هذا فقد دعا عبدالرحمن بن عوف علياً فقال له : عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين .

قال علي ، ارجو أن افعل واعمل بمبلغ علمي وطاقتي . ودعا عبدالرحمن عثمان فقال له مثلما قال لعلي فقال عثمان ، نعم فبايع عثمان .

فقال علي حبوته جبودهر ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا ، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون . والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر اليك والله كل يوم هو في شأن .

فخرج علي وهو يقول ، سيبلغ الكتاب أجله . فقال المقداد : يا عبدالرحمن اما والله لقد تركته وهو من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون .

وقال المقداد : ما رأيت ما أوتي أهل هذا البيت بعد نبينهم ، اني لأعجب من قريش ، انهم تركوا رجلاً ما أقول ان احدا اعلم ولا اقضى بالعدل منه .

فقال رجل للمقداد من أهل هذا البيت ومن ذلك الرجل ، فقال المقداد : أهل البيت بنوعبدال مطلب والرجل علي بن أبي طالب .

فقال علي : ان الناس ينظرون إلى قريش ، وقريش تنظر إلى بيتها فتقول ان ولي عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم ابداً ، وما كانت في غيرهم من قريش تداولتموها .

والحقيقة ان هذا هو السر ، فقريش تدرك انه اذا تولى الهاشميون الخلافة فلن تخرج منهم . لذلك فان قريش اجمعت ان لا تولي أي هاشمي ، وعبر عن هذا الاجماع عمر رضي الله عنه بأكثر من مناسبة^(١) .

وبايع الناس عثمان بيعة عامة ، وانتعش الناس في بداية عهده ، ومع الأيام بدأ

(١) راجع نظام الحكم للقاسمي ص ٢١٨-٢٢٢

(٢) راجع تاريخ بن الاثير ج ٣ ص ٢٤ وراجع ص ١٠٧ مجلد ٣ وص ١٠٥ مجلد ٣ وص ١١٤ مجلد ٣

سطر ٢٧ من شرح النهج لعلامة المعتزلة وراجع ص ٢٢٢ من نظام الحكم للقاسمي وص ٢٦-٢٧ من

الامامة والسياسة .

الصحابه ينفضون من حول عثمان ، وبدأت بنو أمية تتسلل واحدا بعد الآخر حتى أصبح الخليفة عثمان اداة بأيديهم وسيقة لهم .

— ما اخذ على عثمان :

ذكروا انه اجتمع اناس من اصحاب النبي ، فكتبوا كتابا ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله وصاحبيه فقالوا :

١ - ما كان من هبته خمس افريقيا لمروان ، وفيه حق الله ورسوله ، ومنهم ذوي القربى واليتامى والمساكين ، وما كان من تطاوله في البنيان حتى عدد سبع دور بناها في المدينة . وبنيان مروان القصور بزي خشب وعمارة الأموال بها من الخمس الواجب لله ولرسوله .

٢ - وما كان من انشائه العمل والولايات في أهله وبني عمه وهم احداث غلمه لا صحبه لهم مع رسول الله ولا تجربة لهم بالأمر .

٣ - وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة اذ صلى الصبح وهو امير عليها سكران اربع ركعات ثم قال لهم ان شئتم ازيدكم صلاة زدتكم ، وتعطيله اقامة الحد عليه وتأخير ذلك عنه .

٤ - وتركه المهاجرين والأنصار لا يستعلمهم على شيء ولا يستشيرهم واستغنى برأيه عن رأيهم .

٥ - وما كان من الحمى حول المدينة ، وما كان من ادارة القطائع والارزاق والاعطيات على اقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النبي ثم لا يغزون ولا يذبون .

٦ - وما كان من مجاوزته الخيزران إلى السوط وانه اول من ضرب بالسوط ظهور الناس ، وانما كان ضرب الخليفتين قبله بالدرة والخيزران .

ثم تعاهد القوم ليدفعن الكتاب في يد عثمان ، وكان ممن حضر عمار بن ياسر ، والمقداد ، وكانوا عشرة ، فلما خرجوا بالكتاب ليدفعوه إلى عثمان والكتاب في يد عمار ، جعلوا يتسللون عن عمار حتى بقي وحده . فمضى به حتى جاء دار عثمان فاستأذن عليه فأذن له في يوم شات فدخل عليه وعنده مروان بن الحكم واهله من بني أمية ، فدفع اليه الكتاب ، فقال له انت كتبت هذا الكتاب قال ، نعم ، قال ومن كان

معك؟ قال كان معي نفر تفرقوا فرقا منك قال من هم؟ قال لا اخبرك بهم . قال فلم اجترأت علي من بينهم؟

فقال مروان؛ يا أمير المؤمنين ان هذا العبد الاسود - يعني عمارا -^(١) قد جرأ عليك الناس، وانك ان قتلتَه نكلت به من وراءه .

قال عثمان، اضربوه، فضربوه وضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه فغشي عليه فجروه حتى طرحوه على باب الدار. فأمرت به ام سلمة زوج النبي فأدخل منزلها فغضب فيه بنو المغيرة وكان حليفهم، فلما خرج عثمان لصلاة العصر عرض له هشام بن الوليد بن المغيرة فقال، لئن مات عمار من ضربه هذا لأقتلن به رجلا عظيما من بني أمية، فقال عثمان لست هنالك^(٢).

وقال مروان بن الحكم مرة لعلي عليه السلام (انا والله اذا لنكسرن رماحنا ولنقطعن سيوفنا ولا يكون في هذا الأمر خير لمن بعدنا)^(٣)

— حصار عثمان^(٤) —

اشتد الطعن على عثمان، والبداية بسبب عبدالله بن ابي سرح، فقد طلب أهل مصر تغييره فقال عثمان اختاروا رجلا نوليه على مصر، فتم اختيار محمد بن ابي بكر، ورضي الناس.

الا ان عثمان ارسل شخصا آخر ومعه امرا الى عبدالله بن ابي سرح يطلب منه ان يقتل محمد ابن ابي بكر وفلان . . . ويقره إلى عمله . والقي القبض على هذا الشخص، وكان الكتاب مختوما بخاتم الخليفة إلا انه كما تبين من صنع مروان بن الحكم .

وطالبت الجماهير الشائرة بمروان، فأبى الخليفة ان يسلمه وتجمعوا وقتلوه رضي الله عنه^(٥).

(١) راجع الامامة والسياسة ص ٣٢-٣٣ .

(٢) راجع الامامة والسياسة ص ٣٢-٣٣ .

(٤) راجع الامامة والسياسة ص ٣٨-٣٤ وراجع ج-٣ من تاريخ بنو الاثير مقتل عثمان .

د - تولية الامام علي بن ابي طالب :

دفن عثمان رضي الله عنه . وفي الصباح اجتمع الناس في المسجد وكثر الندم والتأسف على عثمان ، وسقط في ايديهم واكثر الناس على طلحة والزبير واتهموهما بقتل عثمان . فقال الناس لهما أيها الرجلان قد وقعتما في أمر عثمان ، فخليا عن أنفسكما .

فقام طلحة ، فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ايها الناس ، انا والله ما نقول اليوم إلا ما قلناه امس ، ان عثمان خلط الذنب بالتوبة حتى كرهنا ولايته وكرهنا قتله وسرنا ان نكفاه ، وقد كثر فيه اللجاج وامره إلى الله .

ثم قام الزبير فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ايها الناس ، ان الله قد رضي لكم الشورى ، فأذهب بها الهوى ، وقد تشاورنا فرضينا عليا فبايعوه . واما قتل عثمان فانا نقول فيه ان امره إلى الله . وقد احدث احداثا والله وليه فيما كان .

فقام الناس واتوا عليا في داره فقالوا نبايعك فمد يدك ، لا بد من امير فأنت أحق الناس بها . فقال ليس ذلك اليكم ، انما هو لأهل الشورى وأهل بدر ، فمن رضي به أهل الشورى وأهل بدر فهو الخليفة^(١) .

وعادوا إلى علي ثم اقبل إلى المسجد الشريف وكان أول من صعد المنبر طلحة فبايعه بيده ، وكانت اصابعه شلاء فتطير منها علي وقال ما اخلقها ان تنكث ، ثم بايعه الزبير وسعد واصحاب النبي جميعا . ثم نزل علي فدعا الناس وامر بطلب مروان بن الحكم فهرب منه ، وطلب نفرا من بني امية وابن ابي معيط فهربوا .

وخرجت عائشة باكية تقول قتل عثمان رحمه الله ، فقال لها عمار بالامس تحرضين عليه الناس واليوم تبكينه .

ثم جاء علي إلى امرأة عثمان فقال لها ، من قتل عثمان؟ قالت لا ادري ، دخل عليه رجالا لا اعرفهم إلا ان ارى وجوههم وكان معهم محمداً بن ابي بكر . فدعا علي محمد فسأله عما ذكرت امرأة عثمان فقال محمد صدقت ، قد والله دخلت عليه فذكر

(١) راجع الامامة والسياسة ص ٤٥-٤٦ .

لي ابي فقامت عنه وانا تائب إلى الله تعالى ، والله ما قتلته ولا امسكته . فقال علي صدق ، ولكن هو ادخلهم .

خرج طلحة فلقي عائشة فقالت : ما صنع الناس ، قال قتلوا عثمان . قالت ثم ما صنعوا . قال بايعوا عليا ، ثم اتوني فأكرهني وليلبسوني حتى بايعت . قالت عائشة وما لعلي يستولي على رقابنا ، لا ادخل المدينة ولعلي سلطان فيها .

— البيعة العامة :

ثم ارسل علي بالبيعة الى جميع الامصار وإلى الآفاق فجاءته البيعة من كل مكان إلا الشام فانه لم يأتها^(١) .

الخارجون على علي

وهكذا انحصر الخارجون على علي في فريقين :

١ - عائشة أم المؤمنين والزبير وطلحة ومن لف لفهم .

(أ) وسبب عداوة طلحة والزبير أنهما أتيا علياً بعد فراغ البيعة ، فقالا : هل تدري علي ما بايعناك ؟ قال علي : نعم ، على السمع والطاعة ، وعلى ما بايعتم عليه أبا بكر وعمر وعثمان ؟ فقالا : لا ، ولكننا بايعناك على أنا شريكاك في الأمر . قال علي : لا ، ولكنكما شريكان في القول والاستقامة والعون على العجز والأولاد .

وكان الزبير لا يشك في ولاية العراق وطلحة في اليمن ، فلما استبان لهما أن علياً غير موليهما ، أظهرتا الشكاية فتكلم الزبير في ملأ من قريش ، فقال : هذا جزاؤنا من علي ، قمنا في أمر عثمان حتى أثبتنا عليه الذنب وسببنا له القتل وهو جالس في بيته وكفى الأمر ، فلما نال بنا ما أراد ، جعل دوننا غيرنا .

فقال طلحة : ما الملموم إلا أنا كنا ثلاثة من أهل الشورى كرهه أحدنا وبايعناه وأعطيناه ما في أيدينا ، ومنعنا ما في يده ، فأصبحنا قد أخطأنا ما رجونا .

وانتهى قولهما إلى علي ، فدعا عبدالله بن عباس ، وكان قد استوزره فقال له : بلغك قول هذين الرجلين ، قال نعم ، بلغني قولهما ، قال فما ترى ، قال أرى أنهما

(١) راجع الامامة والسياسة ص ٤٥-٥٣ .

أحبا الولاية، فول البصرة الزبير، وول طلحة الكوفة فإنهما ليسا بأقرب إليك من الوليد وابن عامر من عثمان، فضحك علي ثم قال: إن العراقيين بهما الرجال والأموال، ومتى تملكوا رقاب الناس يستميلوا السفيه بالطمع، ويضربا الضعيف بالبلاء، ويقبوا على القوي بالسلطان، ولو كنت مستعملاً أحداً لضره ونفعه لاستعملت معاوية على الشام.

(ب) قصة عائشة أم المؤمنين :

لما أخبرت عائشة أنه بويح لعلي وكانت خارجة عن المدينة، فقبل لها قتل عثمان وبإيع الناس علياً، فقالت: ما كنت أبالي أن تقع السماء على الأرض، قتل والله مظلوماً وأنا طالبة بدمه. فقال لها عبيد: إن أول من طعن عليه وأطعم الناس فيه لأنت ولقد قلت اقتلوا نعتلاً فقد فجر. فقالت عائشة: قد والله قلت، وقال الناس: وآخر قولني خير من أوله.

فقال عبيد، عذر والله ضعيف يا أم المؤمنين ثم قال:

فمنك البداء ومنك العبر	ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الامام	وقلت لنا انه قد فجر
فهبنا اطعنناك في قتله	وقاتلة عندنا من أمر

فلما أتى عائشة خبر أن أهل الشام ردوا بيعة علي وأبوا أن يبايعوه، أمرت بعمل لها الهودج من حديد وجعل فيه موضع عينيها ثم خرجت ومعها الزبير وطلحة وعبدالله بن الزبير ومحمد بن طلحة^(١).

— معتزلة :

اعتزل عبدالله بن عمر، وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة، وراجعهم عمار ليخرجوا عن اعتزالهم فأبوا، وقال علي في ذلك: أما ابن عمر فضعيف (ويجدر بالقول ان عبدالله بن عمر هو القائل نحن مع من غلب). وأما سعد بن أبي وقاص فحسود، وذنبى إلى محمد بن مسلمة اني قتلت اخاه يوم خيبر مرحب اليهودي^(١).

(١) راجع ص ٥٣ من الامامة والسياسة.

— محاولات لثني أم المؤمنين :

كتبت أم سلمة رضي الله عنها لعائشة تحاول ان تثنيها عن الخروج ، ولكن أم المؤمنين عائشة أبت إلا أن تمضي في طريقها وتجمع مع طلحة والزبير وذوهم وتتوجه إلى البصرة^(١).

— التقاء الجمعين :

تواجه الجمعان ، علي وجنده ، وعائشة والزبير وطلحة وجندهم من الاحزاب . فلما توافقوا للقتال ، امر علي مناديا ينادي من اصحابه لا يرمين أحد سهماً ولا حجراً ولا يطعن برمح حتى اعذر إلى القوم فاتخذ عليهم الحجة البالغة .

فكلم علي طلحة والزبير قبل القتال فقال لهما : استحلفا عائشة بحق الله وبحق رسوله على اربع خصال ان تصدق فيها ، (هل تعلم رجلاً من قریش أولى مني بالله ورسوله ، وإسلامي قبل كافة الناس اجمعين ، وكفايتي رسول الله كفار العرب بسيفي ورمحي ، وعلى براءتي من دم عثمان ، وعلى اني لم استكره احدا على البيعة ولم اكن احسن قولاً في عثمان منكما)^(٢).

وذكر الزبير بقوله ﷺ (يا زبير انت تقاتل علياً وانت ظالم له) فقال الزبير نسيتهما والله لو ذكرتها ما خرجت اليك . ورجع الزبير^(٣).

وهزمت عائشة وهزم معها الاحزاب ودخل عليها محمد بن أبي بكر وقال لها : أما سمعت رسول الله ﷺ يقول - علي مع الحق والحق مع علي - تقاتلينه بدم عثمان .

ثم دخل علي فسلم عليها وقال لها يا صاحبة الهودج قد امرك الله ان تقعدي في بيتك ثم خرجت تقاتلين ، اترحلين ، قالت ارتحل . ولما وصلت المدينة وعرفت ان حرسها نساء قالت : جزى الله هن أبي طالب الجنة .

(١) راجع ص ٦٤-٧٢ من الامامة والسياسة .

(٢) راجع ص ٧٠-٧٢ من الامامة والسياسة .

(٣) راجع ص ٧٢-٧٣ من الامامة والسياسة .

لمحة عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وعن منتهجها ان رأيها السياسي يطابق بالكامل لرأي الخليفين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما . من حيث الخلفاء وتعيينهم . ذكر ابن سعد في طبقاته ان عائشة عندما سئلت لو استخلف رسول الله من يستخلف ، فقالت عائشة : لو استخلف ، لاستخلف أبا بكر ومن بعده عمر ومن بعده ابا عبيدة^(١) . وهي التي اوصت عمر انه يستخلف قبل موته حتى لا يدع أمة محمد هملاً^(١) .

وقالت ذات يوم اثناء مرض الرسول ان الرسول قد قال : « ادعولي اخي » وفسرت ان اخا الرسول هو أبو بكر حسب روايتها ، بينما الثابت كما مر وثقناه ان علياً هو أخو رسول الله وليس أبا بكر^(٢) .

وهي التي قالت ان الرسول ﷺ قد امرها ان تأمر أبا بكر ليصلي بالناس اثناء مرضه واستعمل هذا الأمر فيما بعد حجة سياسية ومبرراً لتولية أبي بكر^(٣) .

وهي التي قالت ان الرسول قد مات بين سحرها ونحرها ونفت وجود الوصية بينما الثابت ان الرسول قد مات على صدر علي^(٤) وفي زمن عمر ، كان الصحابة يجلسون ، فقام كعب الاحبار وسأل ما كان آخر ما تكلم به رسول الله . فقال عمر ، سل علياً ، فروى علي كيف مات وماذا قال .

وكانت رضي الله عنها تتصرف كأنها المالكة لكل شيء ، وكأنها الشريك الشرعي في نظام الحكم . فهي التي اذنت لأبي بكر وعمر بان يدفنا في جانب النبي . وهي التي حرضت على قتل عثمان وقالت اقتلوا نعثلاً فقد كفر ، ثم اخذت

(١) راجع الامامة والسياسة ص ٢٣ .

(٢) راجع المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٣٩ وراجع تلخيص الذهبي وابن أبي شيبة وراجع الحديث ٦٠٩٦ من احاديث الكنز ج ٦ ص ٣٩٢ و ص ٩٩ ج ٦ فضلاً عن عشرات النصوص التي اوردناها في باب موقف الشرع من تسمية الامام .

(٣) راجع الامامة والسياسة ص ٩ .

(٤) راجع الحديث ١١٠٧ ص ٥٥ ج ٤ والحديث ٦٠٠٩ ص ٣٩٢ ج ٦ والحديث ١١٠٦ ص ٥٥ ج ٤ والحديث ١١٠٨ ص ٥٥ ج ٤ من الكنز و ص ٥١ ج ٢ من الطبقات و ص ١٩٦ ج ٢ و ص ٥٦١ و ص ٢٠٧ و ص ٥٠٩ من النهج . وروى هذه الاحاديث علي وابن عباس وام سلمة وعبدالله بن عمر وعلي بن الحسين وسائر ائمة أهل البيت راجع ص ٢٨٢ من المراجعات للامام العاملي .

تبيكي عليه وجمعت الجموع للمطالبة بدمه كأنها من بني عبد مناف مع انها من بني تميم^(١) وهي التي ناصبت أمير المؤمنين علياً العداء وخرجت من بيتها وهي التي ركبت جملها ونبحتها كلاب الحوآب. وروى البخاري في صحيحه ص ١٢٥ من كتاب الجهاد ج ٢ بعد فرض الخمس ولفظه في صحيح مسلم ان الرسول خرج من بيت عائشة فقال (رأس الكفر من ههنا حيث يطلع قرن الشيطان)^(٢). وقالت للرسول مرة في كلام غضبت عنده: (انت الذي تزعم انك نبي).

وسبحان الله، فانها رضي الله عنها لا تطيق ابدا حتى ان تلفظ كلمة علي^(٣). ولما بلغها موت الامام علي سجدت لله شكرا ثم انشدت:

والقت عصاهما واستقر بها النوى كما قرعينا بالاياب المسافر^(٤)
فقد كانت رضي الله عنها زوجة الرسول المدللة، ومهتمة بأمر المسلمين، ومولعة بالسياسة لا تطيق بعدا عنها. ولقد قوي مركزها بخلافة ابيها وبخلافة عمر. انظر إلى قولها لعمر: استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملا^(٥). ثم انظر إلى رد عمر تعرف مركزها، قال عمرو من تأمرني ان استخلف^(٦). ثم انظر إلى اسلوب عائشة رضي الله عنها في معالجة الامور: قيل لرسول الله من يغسلك يا رسول الله؟ قال أهلي الاولى فالاولى^(٧).

وبعد موته قالت عائشة: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسله الا نساؤه. باختصار، زوجة نبي، وابنة خليفة. وباختصار أيضاً فقد هزمت أم المؤمنين والاحزاب التي اثقلت معها وبقي في مواجهة علي حزب الطلقاء.

(١) راجع الطبقات لابن سعد ج ٢ ص ٢٦٢-٢٦٤.

(٢) راجع الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٨٠ لابن الاثير وراجع المراجعات ص ٢٨٤ وراجع ص ٥٥ من الامامة والسياسة.

(٣) راجع صحيح مسلم ج ٢ ص ٥٠٣.

(٤) راجع ص ٣٥ ج ٢ من احياء علوم الدين للغزالي وراجع باب ٩٤ ص ٢٣٨ من مكاشفة القلوب للامام الغزالي و ص ٢٧٧ من المراجعات للامام العاملي.

(٥) راجع ص ٢٣٢ ج ٢ من طبقات ابن سعد.

(٦) راجع المراجعات للامام العاملي ص ٢٧٠.

(٧) راجع الامامة والسياسة ص ٢٣.

(٨) راجع الامامة والسياسة ص ٢٣.

— الصورة الثانية :

— المملكة الإسلامية :

١ - خلافة الطلقاء :

قلنا ان الامام علي هزم خصومه ودانت له ديار الإسلام بالطاعة ، واعطته البيعة إلا أهل الشام بزعامة معاوية بن ابي سفيان الذي رفض بيعة الامام . واشتد الصراع بين علي من جهة وبين الطلقاء بزعامة معاوية بن ابي سفيان من جهة اخرى . علي يريد ان يخضع كل المسلمين لسلطان الامامة ، ومعاوية يريد ان يخلع الامام الشرعي ويحل محله .

— قدم الصراع بين بني أمية وبني هاشم :

الصراع قديم بين أمية وهاشم . هاشم وعبد شمس اخوة اشقاء بل توأمين . قبل ولادتهما كانت رجل هاشم ملصقة بجبهة عبد شمس ، فلم يمكن نزع الاصبع دون سيلان دم مما فتح أبواب التكهانات بان عداوة ستتشب بين الاخوين الشقيقين .

— أول عداوة بين الهاشميين والامويين :

ساد هاشم بعد أبيه ، فحسده أمية بن أخيه عبد شمس ، فتكلف ان يصنع ما صنع هاشم وقالوا له انت تشبه بهاشم . وعجز عن مجاراة هاشم ، فغيرته قريش ، فدعا أمية هاشما للمنافرة ، فأبى هاشم ذلك لسنه ولعلومرتبه ، فلم تدعه قريش . فقال هاشم لابن اخيه أمية : انا فرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحربمكة وعلى الجلاء عن مكة عشر سنين . فرضي أمية وجعلها بينهما الكاهن الخزاعي وكان بعسفان .

— الفوز بالمنافرة :

خرج كل واحد من المتنافرين في نفر فنزلوا على الكاهن الخزاعي فقال

الكاهن قبل ان يخبروه خبرهم : (والقمر الباهر، الكوكب الزاهر، والغمام الماطر وما بالجو من طائر، وما اهتدى بعلم مسافر، ومن منجد وغائر، لقد سبق هاشم أمية إلى المفاحر).

— تنفيذ الاتفاقية :

عاد هاشم إلى مكة ونحر الابل واطعم الناس، وخرج أمية إلى الشام فأقام فيها عشر سنين، فكانت هذه أول عدواة بينهما وتوراثتها بنوهما بعد ذلك^(١).

— عظمة الطرفين :

كان يقال لهاشم واخوانه عبد شمس والمطلب ونوفل اقداح النضار. ويقال لهم المجبرون لكرمهم وفخرهم وسيادتهم على العرب، ولكنهم تباعدوا حتى بالموت، مات هاشم بغزة، وعبد شمس بمكة، ونوفل بالعراق، والمطلب بأرض اليمن وهم أولاد عبد مناف.

قيل لمن سكن البطاح قريش البطاح، ولمن سكن الظواهر قريش الظواهر، والاولى اشرف من الثانية وبنو عبد مناف من قريش البطاح.

من بني هاشم بن عبد مناف وبنو هاشم بحور الحباء

من قريش البطاح من عرف الناس فضلهم بغير امتراء

حاز قصي شرف مكة، فكان بيده السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة، وإن اكبر اولاد قصي عبدالدار، وكان اشرفهم عبد مناف اذ شرف بزمان أبيه وذهب شرفه كل مذهب.

كانت السقاية والرفادة والقيادة لبني عبد مناف، وكانت الحجابة واللواء لبني عبدالدار^(٢).

ثم صارت السقاية لعبد المطلب، ومن بعده لابي طالب، والقيادة كانت لعبد مناف ومن بعده لولده عبد شمس، ثم لابنه أمية، ثم لابنه حرب، ثم لابنه أبوسفیان

(١) راجع الطبقات لابن سعد ج١ ص ٧٦.

(٢) راجع السيرة الحلبية ص ١٢-١٥.

فكان يقود الناس في غزواتهم ، ودار الندوة في يد بني عبدالدار، وقصي هو جماع قريش . لذلك سمي مجمعا^(١).

— فرسا الرهان :

كان الامويين يعتقدون ان مقاليد الأمور بأيديهم ، وهم اصحاب الملك ، أليست القيادة في ايديهم؟ وفي احسن الظروف فان بني هاشم وبني المطلب، من جهة ، وبني أمية وبني نوفل من جهة اخرى ، كانا كفرسي رهان يتعاوران زعامة قريش وبالتالي زعامة العرب . والسبق فيها . ولقد فضل الله هاشماً على أمية ، وقدم هاشماً وآخر أمية بفضله في ما بعد .

— الهواجس الأموية قبل النبوة وطمعهم بالنبوة :

قبل ان يعلن محمد ﷺ دعوته ، كانت القيادة في مكة لبني أمية ، ولابي سفيان بالذات . تلك حقيقة مجردة ومسلم بها^(٢).

وكان أبوسفيان يعلم ان سيأتي نبي فيأخذ منه القيادة ، فهو على علاقة وطيدة بأمية بن ابي الصلت ، وهذا النبي سيكون من سلالة عبد مناف . وبعد معاناة ، اقتنع أبوسفيان انه بالذات سيكون النبي لانه لا يوجد حسب رأيه من هو جدير بالنبوة سواه^(٣) . وأفصح عن حاجسه هذا لبعض الذين يرتاح اليهم . وتمثلت بخواطره اركان الشرف وجلاء الشعر سنين وشهادة أهل مكة ، وتلك حقائق ، لكن القيادة تعيش وتبحث عن مستقبلها بالغد كالجمال يلتهم نبتة الشبرق وعينه على الأخرى . انه لأمر مشين حسب تفكير أبي سفيان ان تراه بنيات ثقيف يتبع غلاما من بني عبد مناف^(٤) .

وعبثا حاول ابن ابي الصلت ان يغير طريقة ابي سفيان بالتفكير فيقول أمية مشفقا كأني بك يا أباسفيان ان خالفته قد ربطت كما يربط الجدي يؤتى بك إليه فيحكم

(١) راجع السيرة الحلبية ج١ ص ١٥ .

(٢) راجع السيرة الحلبية ج١ ص ١٥ .

(٣) راجع السيرة الحلبية ج١ ص ٨٠ .

(٤) راجع السيرة الحلبية ص ٨٠ ج١ .

فيك بما يريد . ومن سوء طالع أبي سفيان ان بني هاشم ، كافرهم ومؤمنهم ، احتضنوا محمداً^(١) .

— المقاومة :

ولما لم تتحقق هواجس أبوسفيان ، وجهر النبي محمد بنبوته ، قاومه أبوسفيان واركأن القيادة في مكة بكل الأساليب ، ولم يثن .

واتبعه نفر قليل من اولئك الذين عرفوا بالحصافة وبعد النظر أو اولئك الذين مسته عبودية البشر مساً اليما . واحتضنه الهاشميون .

— المكر الاكبر وردة :

واتفقت قريش بزعامه أبي سفيان أمام اصرار محمد ورفض بني هاشم لفكرة تسليمه ان يقاطعوا بني هاشم ، فقاطعتهم قريش كلها ومن لف لفها ، بما فيهم بني عدي ، وبني تيم . تلك حقيقة كالشمس لا يجادل بها أحد .

ولم يركع محمد ، ولم يركع الهاشميون ، وابطل الله كيد مكة وزعامتها بعد مقاطعة استمرت ثلاث سنوات^(٢) .

وتمكن محمد من ايجاد قاعدة له في يشرب وأمر أصحابه بالهجرة إليها . وعلمت قيادة مكة ممثلة بأبي سفيان ، فاجمعوا أمرهم ان يختاروا من كل قبيلة رجلاً ويقتلوا محمداً قبل هجرته ، لأنه إن هاجر نجح وبالتالي سلبهم القادة والشرف . وبالحظ التي اجمعوا فيها أمرهم ، دخلوا فوجدوا علياً بن ابي طالب نائماً مكانه ، وجن جنون القيادة المكية واعلنت الجوائز لمن يقبض عليه حياً أو ميتاً .

وفي الطرف الآخر كان محمد وصاحبه أبوبكر ودليلهما المشترك يشقون طريقهم سالمين باذن الله .

وتلك حقيقة ساطعة كالشمس لا تحتاج إلى دليل ولا يجادل فيها احد .

(١) راجع السيرة الحلبية ج١ ص ٨٠ وما فوق

(٢) راجع الطبقات لابن سعد ج١ ص ٢٠٨-٢٠٩ والسيرة الحلبية ج١ ص ٣٣٦ .

— والخلاصة:

ان جد أبي سفيان قصر عن شرف هاشم ، وجلا عشر سنين ، وان مكة والعرب قاطبة تعرف ان هاشما اشرف من أمية ، ولكن أبا سفيان ورث القيادة ومحمد بوصفه نبي يشكل خطرا على القيادة الأموية ، فاذا جمع الهاشميون السقاية والرفادة والقيادة والشرف المسلم به ، فسيصبح ملكهم عظيما . وهذا هو السر الدقيق لكراهية أبي سفيان وقيادة مكة لمحمد ودعوته .

وليست الكراهية نابعة من حبهم للآلهة وللأصنام ، حقيقة ان للأصنام دورا اقتصاديا ، اذ تحج لها العرب كل عام مع ما تحمله من خيرات الحج ، لكن القضية هي قضية الملك والزعامة ، أو ان شئت فقل ، لعل الدم الأموي دم ازرق مولع بحب الرئاسة .

— تأجج الكراهية:

نجاح محمد بالهجرة اجج الكراهية ، وعندما اشتعلت الحرب الأولى بيدريين محمد وبين زعامة مكة ، قتل ثلاثة من اجود واروع شخصيات أمية وهم عتبة وشيبة والوليد بن عتبة ، وهم من سادات بني أمية ، والمريع ان الذين قتلوهم من بني هاشم وهم الحمزة وعلي وعبيد الله بن الحارث .

اذن اصبح محمد وبنو هاشم الخطر الحقيقي على الزعامة الأموية ، والاعداء الحقيقيين لانهم قتلوا سادات بني أمية . «اصبحوا سالي الشرف وقاتلي الأحبة» . وتحول حقدهم على محمد وعترته الى سواد مظلم ملأ صدورهم وعطل اذهانهم . لقد شربوا هذا الحقد طوال سني البعثة المحمدية ، واصبح عسيرا ان يتركوه ، بل ان تركه فوق طاقة البشر . انظر الى يزيد بن معاوية بن ابي سفيان يلعب برأس الحسين بن علي بن ابي طالب الذي فصل عن جسده واحضر (لأمير المؤمنين) يزيد بن معاوية في دمشق يلعب بالرأس ويقول : «ليت اشياخي بيدري شهدوا» . أي كأنه يثار من ابن بنت رسول الله لأشياخه وخالي والده وابن خال والده وجده (عتبة والوليد وشيبة) الذين قتلوا في معركة بدر في صدر الإسلام .

وهو المسلم بن معاوية المسلم ، أو ان شئت فقل الخليفة سلسيل الخليفة .

انظر إلى جدته هند أم معاوية زوجة أبي سفيان تأمر بقتل حمزة غدرا، ولا تكتفي بالقتل بل تشق صدر حمزه عم النبي واسد الله وتتناول كبده وتحاول اكلها . وهذا امر طبيعي ، ففسير على النفس البشرية العادية ان لا تفعل ذلك .

وبايجاز رفضت الزعامة الأموية الدين المحمدي ونبوة محمد بالذات ، بكل اصناف الرفض والوانه ، وقاومته بكل فنون المقاومة ، لا وفاء للاصنام ، كما اسلفت ، ولكن لانها تكره ان يأتي الدين عن طريق هاشمي ، تكره ان يذهب الملك منها .

واخيرا فوجيء أبوسفيان بجند الله قرب مكة ، ويوقفه العباس فيرى جند الله ، فيدخل الرعب في قلبه ، ويتزعزع منه فتيل المقاومة ، ويفصح قائد الحزب «حزب الطلقاء» عن حقيقة تصوراته لدعوة محمد فيقول :

«ما رأيت ملكا مثل هذا ، لا ملك كسرى ولا ملك قيصر ولا ملك بني الاصف»^(١) .

— اسلام أبي سفيان قائد الحزب :

ويجره العباس إلى محمد فيقول ﷺ «ويحك يا اباسفيان الم يأن لك ان تعلم انه لا اله إلا الله» . فيقول أبوسفيان : بأبي انت وامى ما احلمك واكرمك ، لقد ظننت انه لو كان مع الله الها غيره لما اغني عني شيئا .

قال ﷺ : يا أباسفيان الم يأن لك ان تعلم انى رسول الله . قال أبوسفيان : بأبي أنت وامى ، اما والله فان في النفس حتى الآن منها شيء .

صاح العباس ويحك يا أباسفيان ، أسلم واشهد ان لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله قبل ان تضرب عنقك .

هنا فقط ، بعد ذكر ضرب العنق ، وبعد الاحاطة وضعف الحيلة اسلم لينجو بنفسه . ودهش أبوسفيان وهو ينظر للنبي فقال في نفسه ، ليت شعري بأي شيء غلبني ، فأوحى الله إلى نبيه بما في صدر أبي سفيان ، فقال له الرسول «غلبتك بالله» .

(١) راجع السيرة الحلبية ج٣ ص٧٩ .

(٢) راجع ص٧٩ ج٣ من السيرة الحلبية وما فوق .

— كياسة قائد الحزب وقدرته على الاستفادة من ظروفه :

من عرف لذة الزعامة لا تفارقه نكهتها . ان السياسة داء وبيل ان جرى بالدم .
ومن يكن بالقمة يأبى الغور

ولكن أباسفيان كيّس عرف كيف يسوس نفسه ويستفيد من ظروفه .

موقف حزب الطلقاء زمن النبي : بذل النبي واصحابه جهودهم لادخال
الايمان إلى ابي سفيان واتباعه ، وفرض الله جزءا من الصدقة لابي سفيان وحزبه
لتأثلف قلوبهم فقال تعالى : ﴿انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين
عليها . . والمؤلفة قلوبهم﴾ . وكان الرسول وجوده ثقلا هائلا يمنع أباسفيان أو
غيره من ان يعبث .

— موقف زعامة الحزب من أبي بكر أو خليفة النبي :

كان أبوسفيان يجمع الصدقات بناء على أمر الرسول . عاد بعد وفاة الرسول
وعلم ان أبا بكر اصبح خليفة ، فعرف كيف يستفيد ، فأدرك ان علياً وبني هاشم هم
أقوى المعارضين لأبي بكر ، فرفع شعار وحدة بني عبد مناف ضد أبي بكر .

فقال أبوسفيان ، ما لابي فصيل من امورنا ، انما هي بنو عبد مناف . . . ما بال
هذا الأمر في اذل حي من قريش ، والله لئن شئت يا علي لأملأها عليه خيلا ورجلا .
فقال علي ، يا أباسفان ، طالما عادت الإسلام وأهله . ولما اجتمع الناس على بيعة
أبي بكر ، قال أبوسفيان ، اني لأرى عجاجة ، لا يطفئها إلا الدم يا آل عبد مناف ، فيم
أبوبكر من اموركم ، اين المستضعفان ، اين الاذلان علي والعباس . وقال ، يا
أباالحسن ، ابسط يدك ابايعك ، فأبى علي ذلك . فجعل أبوسفيان يتمثل بشعر
المتلمس :

ولن يقيم على حنّفٍ يراد به الا الاذلان غير الحي والوتد
هذا على الخسف معكوس برمته واذا يشبح فلا ييكى له احد

فزجره علي وقال : انت طالما بغيت الإسلام شرا لا حاجة لنا بنصيحتك^(١) .

اذن فان علياً رفض وحدة بني عبد مناف لانها ضد الشرع . وبهذه الوحدة

(١) تاريخ الطبري ج-٣ ص ٢٠٩-٢١٠ .

حقيقة كان من الممكن ان يتغير مجرى التاريخ وان لا يحدث ما حدث لأن قریشاً الحقيقية هم بنو عبد مناف، ولكن علي لا يطلب النصر بالجور، ولا على حساب الدين ويدرك ان بني أمية لن يخلصوا له لانه قاتل ساداتهم.

واتحاد بني عبد مناف يعني زوال الوضع القائم والدخول في طريق مجهول. لذلك رفض علي هذه العروض.

— دولة ابي بكر تحاول احتواء قائد الحزب :

كلم عمر أبا بكر فقال : (ان أبا سفيان قادم، وانا لا تأمن شره، فدع له ما بيده من الصدقات)^(١).

والخطوة الثانية ان أبا بكر ولي يزيد بن أبي سفيان قيادة الجيش الذاهب إلى الشام، فيزيد قائد عام لذلك الجيش.

وعين معاوية قائدا آخر بنفس الجيش تحت امرة يزيد. فكان معاوية على مقدمة جيش يزيد في فتح صيدا وعرفه وجبيل وبירות^(٢)

وهكذا رضي أبو سفيان وعبر عن هذه المنن بقوله عن أبي بكر (وصلته رحم). وتعيين معاوية كان أهم اساس لقيام خلافة الطلقاء^(٣)

— العوامل التي ساعدت على وضع الأسس لقيام دولة الطلقاء :

ثم ان عثمان بن عفان كان اول زعيم من زعماء المهاجرين بايع أبا بكر وتبعه بنو أمية^(٤). مما جعل لهم حظوة لدى السلطة الحاكمة. فقد اصبح عثمان من اعظم مستشاري الخليفة أبي بكر ونائبه عمر لدرجة ان أبا بكر قد قال لعثمان لو وضعت اسمك بدلاً من عمر لكنت أهلاً للخلافة^(٤).

فضلاً عن تعيين معاوية ويزيد ابني أبي سفيان، مما جعل للأمويين مصلحة بالوقوف ولو مؤقتاً مع السلطة القائمة.

(١) راجع ص ٣٠٦، ٣٠٧ جـ من شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد.

(٢) راجع نظام الحكم للقاسمي ص ١٥٢.

(٣) راجع الامامة والسياسة ص ١١.

(٤) راجع سيرة عمر لابن الجوزي.

اذن كل قريش ومعها الخليفة الجديد وكل اسباب القوة في الدولة ضد المعارضة وقادتها بني هاشم وبالذات علي . وهكذا اصبح لرئاسة الدولة ولحزب الطلقاء هدف واحد مشترك او بتعبير علي : (ان الناس ينظرون الى قريش ، وقريش تنظر إلى بيتها فتقول ان ولي عليكم بنو هاشم مرة ، لم تخرج منهم ابدا ، وما كان في غيرهم تداولتموها^(١) .

ولقد عبر الخليفة عمر عن هذا الاتجاه خير تعبير ، فقد كان يرى بأن العرب تأبى ان تجمع لبني هاشم النسوة مع الملك ، خوفاً من اجحافهم ، وخوفاً من الاجحاف أيضاً لم يولهم أبوبكر ولا عمر ، ووضع شرطاً بعدم جواز تولية الهاشمي حتى ولو كان ذي قوة وذى أمانة^(٢) .

وقصد عمر نبيل ، وهكذا قصد أبي بكر . ومع هذا فقد كان هذا الاتجاه هدفاً مشتركاً بين الدولة وبين حزب الطلقاء وقيادة هذا الحزب بالذات . وهذا الاتجاه هو الذي يسعى اليه حزب الطلقاء حتى يعزلوا الامة عن أهل بيت نبينا ثم ينقضوا على الامر ذات يوم .

والغرسة التي غرست زمن ابي بكر ، وهي معاوية ، ضربت جذورها في الارض واثمرت فقد ظل معاوية والياً على الشام مدة عشرين سنة ، يجمع كما يشاء ، ويعطي كما يشاء .

وعندما آلت الأمور الى عثمان المولع بطبعه في اقاربه بدأ الصحابة يفرقون من حول عثمان ، وبدأ بنو أمية ينزون حوله واحداً بعد الآخر ، حتى اصبحوا رجال الخليفة ومستشاريه ، واصبحت مقاليد الأمور عملياً بيد مروان بن الحكم حتى ان مروان امر بقتل محمد بن أبي بكر وطائفة من الصحابة ، دون ان يستشير الخليفة حتى مجرد استشارة ، وختم الامر بخاتم الخليفة ، والخليفة لا يدري وبتعبير علي صار عثمان رضي الله عنه يلعب به مروان ، فصار سيقه له يسوقه حيث يشاء بعد كبر السن وصحبته الرسول^(٣) .

(١) راجع نظام الحكم للقاسمي كما نقلها عن الطبري .

(٢) قد وثقنا ذلك اكثر من مرة فارجع إلى توثيقاتنا في هذا البحث .

(٣) راجع تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٣ .

وما ادراك ما مروان، انه طليق، ومن المؤلفة قلوبهم، وابوه الحكم، كان محرماً عليه ان يدخل المدينة في زمن الرسول، وفي زمن أبي بكر وفي زمن عمر، ولما تولى عثمان الخلافة، ادخله معززا مكرماً واعطاه مئة الف درهم.

ومما ساعد حزب الطلقاء أيضاً على تكوين دولتهم، عبدالله بن أبي سرح والي مصر بكل خيراتها، وما ادراك ما عبدالله بن أبي سرح، انه الذي افترى على الله الكذب واباح الرسول دمه ولو تعلق بأستار الكعبة، كما يروي صاحب السيرة الحلبية في باب فتح مكة. وجاء به عثمان يوم الفتح يطلب الامان له، وسكت الرسول على أمل ان يقتل خلال فترة سكوته، كما اوضح رحمه الله، ثم اعطاه الامان.

مروان الطليق، ومعاوية الطليق، وعبدالله بن أبي سرح الطليق، والوليد بن عقبة الطليق أيضاً، مصلي الصبح اربعا ووالي الكوفة، كلهم على مدرسة أبي سفيان حتى ان أباسفيان حاول ان يخرج عثمان من مدرسته، فقد قال لعثمان يوماً:

روى الجوهرى: انه لما بويع لعثمان قال أبوسفيان كان الأمر في تيم واني لتيم هذا الامر، ثم صار لعدي فأبعد وابعد، ثم رجعت لمنازلها واستقر الأمر قراره فتلقفوها تلقف الكرة.

وقال لعثمان يوماً: بأبي انت وامي، انفق ولا تكن كأبي حجر، وتداولوها يا بني أمية تداول الولدان الكره، فوالله ما من جنة ولا نار. وكان الزبير حاضراً فقال عثمان لأبي سفيان اغرب، فقال أبوسفيان: يا بني أهنا احد، فقال الزبير نعم، والله لا كتمتها عليك^(١).

وبايجاز قال مروان عمليا وبحق - كما يروى ابن الاثير في تاريخه الجزء الثالث قبيل مقتل عثمان - (شاهت الوجوه تريدون ان تسلبوا منا ملكنا). فقد اصبحت الخلافة في اواخر عهد عثمان ملكا اموياً ولكن بثوب الخلافة. فلا تجد مصر إلا وواليه اموياً أو موالياً لبني أمية.

فأي خليفة سيأتي بعد عثمان، اما ان يصبح اداة بيد الامويين، أو يدخل ليلاً مظلماً ويسير على أرض مليئة بالعثرات والألغام.

(١) راجع جـ ١ ص ٣٠٧ و ٣٢٦ و ٣٢٧ من شرح نهج البلاغة لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد وراجع فتح البلدان للبلاذري ص ٤٥٩.

ونتيجة الفتوحات كثر عدد المسلمين الاحداث والمتفعين من الدولة كدولة ،
وقل عدد الصحابة الذين قامت الدولة على اكتافهم ، واصبح الصحابة السابقون
كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود من حيث العدد، ومن حيث المصائب ، اصبحوا
كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية على حد تعبير الامام العامل في كتابه المراجعات .
والأهم من ذلك ان الصحابة السابقين تفرقوا واختلفت مسالكهم في غياب
العترة الطاهرة عن مسرح الحكم .

وتلك أمور لم تكن خافية على معاوية الذكي . قال معاوية مهتداً قبل قتل
عثمان (ما اتم في الناس إلا كالشامة السوداء في الثور الابيض)^(١) .

هذا الكلام وجهه معاوية لقادة الصحابة لدى اجتماعه فيهم عند عثمان .
وباختصار ، بأيدي بني أمية صنعت كل المآخذ التي اخذت على عثمان
فخلقوا بأيديهم مبررات قتله^(٢) .

كل الولايات ، أموية أو موالية لبني أمية ومعاوية بن أبي سفيان رضيع هند بنت
عتبة اصبح قطب الرحي ومركز الدائرة وهو الوصي على بني أمية ، ومن أعطى نفسه
الحق بالمطالبة بدم عثمان أو ان شئت فقل رفع شعار المطالبة بدم عثمان ليضمن
استمرار الملك الأموي ولقهر خصمه وقاتل اخيه وخاله وابن خاله وجده واحبابه
علي بن أبي طالب .

فالقضية ليست قضية قتل عثمان . فهذا عمر قد قتل وسارت الأمور من بعده .
لقد نشأ الملك الأموي من الناحية الفعلية يوم ولّى أبوبكر يزيد بن أبي سفيان وتوطد
الأمر لمعاوية ، ونشأ ملك حقيقي في أواخر عهد عثمان ، وساعد على ذلك وعجل به
بذور العداء التاريخي بين الاسرتين الهاشمية والأموية^(٣) .

وكتبت نائلة زوجة عثمان تصف لمعاوية قتل عثمان ، وارسلت قميص عثمان

(١) راجع الامامة والسياسة ص ٣٠ .

(٢) راجع الامامة والسياسة ص ٢٣ راجع ما انكر الناس على عثمان .

(٣) راجع تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٢ وما فوق وراجع السيرة الحلبية نسبة ﷺ .

مضرجا بالدم وبالخصلة التي ننفها المصري من لحيته وعقدت الشعر في زر القميص وارسلتها مع النعمان بن بشير الأنصاري^(١).

بعد مقتل عثمان غادر بنو أمية المدينة المنورة والتحقوا بمعاوية ورفعوا شعارات الحق لخدمة الباطل، مثل نريد معاوية قتلة عثمان.

لكن حتى زوجة عثمان لا تعرف القتلة والخليفة يقول لمعاوية، ادخل في الطاعة وحاكم القوم، إلي احكم بينهم بالحق.

قتل عثمان ليست قضية في نظر بني أمية، القضية الحقيقية هي الملك، قتل الروح المؤمنة ليس بذئ قيمة، الم يصدر مروان بن الحكم امراً بقتل اصحاب محمد بن أبي بكر دون جريرة.

اليس معاوية هو قاتل الحضرمي الذي كتب فيه بن زياد انه على دين علي، اليس معاوية هو قاتل عمرو بن الحمق الذي اخلقت العبادة وجهه، أوليس معاوية هو قاتل حجر بن عدي واصحابه العابدين المختبين الأمرين بالمعروف والناهيين عن المنكر.

أوليس معاوية هو الذي سلط بن زياد يوزع فيما بعد، يقتل عباد الله ويصلبهم في جذوع النخل. المهم عند معاوية هو الملك والانتقام من قاتل جده وخاله وابن خاله واخيه.

— معاوية مؤسس دولة الطلقاء :

استعمل معاوية بشر بن ارطأة وبعثه إلى المدينة والقي الرعب في قلوب الصحابة وأذلهم^(٢).

وبعثه أيضاً إلى اليمن، وامره ان يقتل كل من كان في طاعة علي حتى الاطفال كما فعل بطفلي عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، وكانا غلامين صغيرين^(٣).

(١) راجع الامامة والسياسة ص ٤٤.

(٢) راجع ص ١١٣ و ١١٧ و ١١٨ و ١٣٩ ج ٥ تاريخ الطبري و ص ٣٨٢ من نظام الحكم للقاسمي.

(٣) راجع نظام الحكم للقاسمي ص ٢٨٣.

وباختصار حصل معاوية على البيعة بالتقتيل والتدمير والتحريق وشتمه انصار رسول الله^(١). واستغل اموال المسلمين التي جمعها خلال عشرين عاما بولايته على الشام لتوطيد سلطانه بعد ان اخرج اموال المسلمين عن مصارفها الشرعية^(٢). ورتب معاوية عطاء اسمه رزق البيعة يعطى للجند عند تعيين خليفة جديد^(٣).

— يزيد بن معاوية :

وتأكد ان المطلب الحقيقي لمعاوية هو الملك . عندما كتب معاوية وصيته من بعده ليزيد ابنه واخذ له البيعة بالقوة . واستهل يزيد عهده بعملية ابادة لأهل البيت ، فقتل الحسين وستة عشر رجلا من أهل البيت وآله في كربلاء ، وكان أبوه قد سم الحسن ، سبط الرسول وقبل موت معاوية اوصى لابنه يزيد .

— وصية معاوية ليزيد ابنه :

(اذا ثار أهل المدينة فأرسل اليهم مسلمة بن عقبة) . وكان مع مسلمة قائمة بأسماء الطاهرين مع الصحابة ليقتلهم واحدا واحدا .

ويفعل عقبة الافاعيل التي تضج منها السماء . مروان دليل الجيش يؤشر ، وعقبة ينفذ ويعدم بغير رحمة ، وتم تنفيذ ابشع مجزرة لأخس مؤامرة عرفها التاريخ .

— نتائج وصية معاوية لابنه يزيد :

١ - ابيد من حضر من البدرين بالكامل .

٢ - ابيد من قریش ومن الأنصار سبعمائة رجل .

٣ - ابيد من الموالي والعرب عشرة آلاف .

كان ذلك سنة ٦٣ هـ في وقعة الحرة .

هنالك قال عبدالله بن عمر نحن مع من غلب ، وكان رضي الله عنه معتزلا عند اشتداد الصراع بين علي ومعاوية .

(١) راجع نظام الحكم للقاسمي ص ٢٨٣ .

(٢) راجع ص ٥٥٠ ج ٤ من تاريخ الطبري ونظام الحكم للقاسمي ص ٢٨٣ وما فوق .

(٣) راجع ص ٢٨٥ من نظام الحكم للقاسمي .

— استمرار نظام الوصية :

وسارت خلافة الطلقاء على نظام الوصية ، كلما مات سيد اوصى لخلفه ، واستمر نظام البيعة ، وعلى الناس ان يصفقوا ، وعلى الناس ان يبايعوا ، ومن لم يبايع يبحث عن الفتنة . وقامت المملكة الأموية والفتنة نائمة لعن الله من ايقظها .

— التماس العذر لمعاوية :

ربما اراد معاوية بارساله بشر بن اوطاة ووصيته لابنه بارسال مسلمة بن عقبة ان يبيد طبقات الصحابة الاحدى عشر حتى يأتي دوره كواحد من الطبقة الثانية عشر من الصحابة ، فيكون هو أولى أفراد الطبقة الثانية عشرة شرعاً .

— الخلافة العباسية :

قاد العباسيون ثورة باسم الدفاع عن الشرعية واعادة الحق لأهل البيت ، ولما سيطروا على مقاليد الأمور وانتقموا من بني أمية باسم بني هاشم وباسم الأمة وباسم أهل البيت ، اقاموا مملكة عباسية ، وسارت على المنهاج الأموي فيما يتعلق بتعيين رئيس الدولة .

— الخلافة العثمانية :

وعندما سقطت دولة بني العباس وآلت الأمور مع الأيام لبني عثمان بحكم الغلبة ساروا على نفس المنهاج .

— خصائص العائلات الثلاث :

- ١ - اشترك الجميع باعتبار ان أهل البيت خطر على أمن الدولة فعزلوا .
- ٢ - أمن الجميع بنظام الوصاية . «ولاية العهد» .
- ٣ - والحقيقة ان الأمة مدينة لهذه العائلات الثلاث لحفظها متحدة تحت رئاسة رجل واحد ، واطهارها بمظهر الدولة الواحدة .
- ٤ - ان الاطار العام لنظام الحكم كان إسلامياً ولومن الناحية الشكلية على الأقل .

— الحكم على خلافة أبي بكر وعمر وعثمان واولياؤهم :

لقد تأولوا النص بالخلافة كأي شيء من شؤون السياسة وتدبير قواعد الدولة

وتقرير شؤنها . ولعلمهم لم يعتبروها كأمر دينية فهان عليهم مخالفة الرسول فيها .
 وحين تمّ لهم الأمر، اخذوا بالحزم في تناسي تلك النصوص، وعلنوا الشدة على من
 يذكرها أو يشير إليها، ولما توقفوا في حفظ النظام ونشردين الإسلام، وفتح الممالك
 والاستيلاء على الثروة ولم يتدنسوا بشهوة، علا امرهم وعظم قدرهم، وحسنت بهم
 الظنون، واحبتهم القلوب، ونسج الناس في تناسي النص على منوالهم . وجاء
 بعدهم بنو أمية ولا هم لهم الا اجتياح أهل البيت واستئصال شأفتهم، ومع ذلك فقد
 وصل من النصوص الصريحة ما فيه الكفاية والحمد لله^(١).

— نماذج على النصوص التي لم يتمدوا بها :

- ١ - يوم الرزية عندما منعوا الرسول ان يكتب وصيته^(٢).
- ٢ - وسرية اسامه، فقد عبأ الرسول كل الصحابة بما فيهم أبوبكر وعمر وابقى علياً
 وامر عليهم اسامه وظلوا يتاقلون حتى مات الرسول بالرغم من الحاح الرسول
 بتسيرها . وامر عليهم اسامه ومات الرسول وهي لم تسر، ومع هذا جاء عمر بن
 الخطاب وطلب من أبي بكر ان يعزل اسامه الذي عينه رسول الله^(٣).
- ٣ - وامره ﷺ لابي بكر وعمر كلا على حده بقتل المارق وعدم امثالهم لامره^(٤).

— خلاصة ما مرّ كله :

قلنا ان الرسول ﷺ قد سماه الله نبيا . وقيام الدولة الإسلامية سماه اماماً
 وولياً، واثبتنا بالدليل القاطع والبرهان الساطع ان الله أمر نبيه ان يسمي خليفته وولي
 عهده، فسماه وهو علي بن أبي طالب .

(١) راجع المراجعات ص ٢٩٩-٣٠٠ للامام العاملين .

(٢) راجع صحيح بخاري ج ٤ ص ٥ و ج ١ ص ٢٢ و راجع صحيح مسلم ج ٢ ص ١٤ و راجع مسند الامام
 أحمد ص ٣٢٥ ج ١ ص ٢٠ و ١١٨ و ١١٤ مجلد ٣ من شرح النهج ص ٢٢٢ ج ١ من صحيح مسلم
 و ص ١٣٨ ج ١ من كنز العمال و ص ١١٤ ج ٣ من الشرح سطر ٢٧ .

(٣) راجع سيرة اسامه من طبقات بن سعد، والسيرة الحليّة والذحلانية و راجع تاريخ ابن جرير الطبري في
 احداث سنة ١١ .

(٤) راجع مسند الامام أحمد ص ١٥ ج ٣ واخرجه أبويعلى و راجع ص ٥٥ ج ١ من مسند الامام أحمد
 و ص ٣٩٦ ج ٦ من الكنز .

وسقنا من النصوص الشرعية الصحيحة والمتواترة ما يؤيد ذلك ويثبتة . وكان من المفترض ان يبايعه أهل الشورى البيعة الخاصة وان يقدموه للامة لتبايعه البيعة العامة ، فهو امام لأن الرسول سماه بناء على امر ربه . ولكن لأن الأمة لم تبايعه تعذر عليه ممارسة مهام منصبه كامام .

وتجملنا نقول ان الأمة اجتهدت بتعيين خلفائها، وهؤلاء الخلفاء الذين حكموا يمكن ان يحشروا في مجموعتين :

- ١ - الخلافة الراشدة : وهم أبوبكر وعمر وعثمان وعلي .
- ٢ - بقية الخلفاء : بدءا من حكام بني امية ، ومرورا بحكام بني العباس ، وانتهاء بحكام بني عثمان حتى آخر سلاطينهم .

والمجموعة الأولى لها من الاحترام والمحبة ما ليس للمجموعة الثانية، خاصة أبوبكر وعمر، فعلماء السياسة الشرعية يكادون أن ينظروا الى تصرفاتهما نفس النظرة التي ينظرون بها للقواعد الشرعية، بل ويفسرون القواعد الشرعية بما لا يتعارض مع تفسير هذين الخليفين . فيقولون هكذا فعل أبوبكر، أو هكذا فعل عمر، أو هكذا فعلا الاثنان واسناد الفعل الشبيهة من افعال أبي بكر وعمر يجعله شرعياً حسب رأي هؤلاء العلماء ، ومن ابرز الامثلة على ذلك ولاية العهد .

وقد بينا الطريقة التي تولى الخلافة فيها كل خليفة من هؤلاء الاربعة والطريقة التي عين فيها كل الخلفاء .

وعادة كل خليفة يعهد لمن بعده ، ومن يؤيدونه هم أهل الشورى . وعلى الأمة ان تبايع أما طوعا أو كرها .

وقد ذكرنا ان الرسول سمى خليفته من بعده . وكان على أهل الشورى وهم القرابة الطاهرة وافاضل الصحابة ان يبايعوه . ولكن هذا لم يحدث .

والذي حدث ان أبابكر غلب واستقام له الأمر ، فعهد من بعده لعمر وبايعه جزء من أهل الشورى ، وعهد عمر لعثمان وبايعه جزء من أهل الشورى وأبايعه الجميع بغير رضا .

ومع الأيام الغي دور أهل الشورى الشرعيين وطمسوا . فأصبح أهل الشورى

هم الذين يبايعون الخليفة ويشدون له عضده . اما الأمة فهي ملزمة بالمبايعه أما رغبة
أورهبه ، طوعا أو كرها ، لانه لم يصدف طوال التاريخ ان امتنعت الأمة عن مبايعه
حاكم فوقها . وبهذه الحالة تابعنا عرض النصوص الشرعية بغض النظر عن الواقع .
الامام المعين وفق الشرع يسمي خليفته أهل الشورى معروفون شرعا وهم
القرابة الطاهرة وافاضل الصحابة هؤلاء يبايعون الامام البيعة الخاصة .
الأمة : تباع بعدهم البيعة العامة .

الفصل العاشر

— اختصاصات الامام وصلاحياته :

١ - الاختصاص العقائدي :

يتعلق هذا الاختصاص بالقرآن والسنة كشرعية . ويتعلق بالمجتمع المسلم الذي تحكمه تلك الشريعة . ويتعلق بالجنس البشري الذي يأمل الإسلام بهدايته وانقاذه .

أ - فيما يتعلق بالقرآن الكريم :

من أهم واجبات الامام واعظم اختصاصاته ان يتلو القرآن الكريم على المجتمع المسلم .

﴿وامرت ان اكون من المسلمين وان اتلو القرآن﴾^(١) . وان يعلمهم احكام هذا القرآن ، قراءته واسباب نزوله وعلومه وكل ما يساعد على فهمه . ﴿يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾^(٢) . لأن القرآن هو اللفظ المتعبد بتلاوته والموحى إلى رسول الله لفظاً ومعنى ﴿وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾^(٣) .

ب - اما ما يتعلق بالسنة المطهرة :

وهي ما صدر عن الرسول من قول أو فعل أو تقرير فهي بيان وان الرسول قد أرسل مع القرآن للبيان . ﴿ان اتبع الا ما يوحى الي﴾^(٤) . ﴿لقد جاءكم رسولنا يبين لكم﴾ .

وهذا الاختصاص من اعظم اختصاصات الامام بعد القرآن ، وهي ملزمة للرسول لأن البيان تكليف من الله ﴿ان اتبع الا ما يوحى الي﴾ . . وملزم بالتالي ، لخليفته ، ومن واجبه ان يبين للناس ، ويصعب على الاشخاص العاديين ان يفهموا

(١) سورة النمل آية ٩٢ .

(٢) سورة البقرة آية ١٥١ .

(٣) سورة الاعراف آية ٢٠٢ .

القرآن دون بيان ، لأن القرآن معجزة بيانية فيه من الاجمال ما يستعصي فهمه على العامة دون بيان . . ومهمة البيان انتقلت من رسول الله إلى اهله المطهرين .

جـ - أما ما يتعلق بالمجتمع المسلم :

فمن اختصاص الامام تطبيق هذه الشريعة (القرآن والسنة) عليه وتربيته على هذه الشريعة لأنها القانون السائد وحق للمحكومين ان يعرفوا القانون السائد حتى يعرفوا ما يتقون ﴿وما انزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم﴾^(١).

وعن طريق البيان والتعليم والتطبيق يتحول المجتمع المسلم إلى مجتمع عقائدي ويتحول افراده إلى افراد متقين ومتذكرين^(٢) . ومتعقلين^(٣) ومتفكرين^(٤) وبالتالي مهتدين^(٥).

أما ما يتعلق بالمجتمعات غير المسلمة فهم داخلون باختصاص الامام العقائدي لأن الرسول هو أول امام للدولة المسلمة أرسل للناس كافة ورحمة للناس وبشيرا ونذيرا للناس كافة . وتلك حقائق ثابتة في الشريعة الإسلامية وحتى يمكن انفاذ الجنس البشري وهدايته يتذرع الامام بالوسائل التالية :

- ١ - الدعوة إلى دين الله وتعريف الناس به .
- ٢ - محاربة طواغيت الكفر وهم الذين لا يحكمون بكتاب الله .
- ٣ - بيان فساد الأسس التشريعية التي تقوم عليها مجتمعات الكفر . وهدف الإسلام من ذلك كله : خلق حرية الاختيار امام الإنسان ، أي إنسان ليختار الحق ويترك الباطل بغير اكراه ، ووسيلته إلى ذلك كله الكلمة الطيبة والجهاد ليحمي الكلمة الطيبة لأن الكلمة لا تثمر اذا لم تكن مدعمة بالقوة والسنة شاهدة على ذلك ومبينة له . فقد قضى الرسول في مكة بضع عشرة سنة وهو يتلو القرآن ، مع ان

(١) سورة النمل آية ٦٤ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٢١ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٤٢ .

(٤) سورة البقرة آية ٢١٩ .

(٥) سورة آل عمران آية ١٠٣ .

هذا القرآن كلمة الله ولم ينجح ، نجح فقط عندما تجسدت الكلمة إلى واقع واستعملت تحت حماية القوة وبهيبتها .

٢ - اختصاص الحكم :

يختص الامام بالحكم . وكلمة الحكم إذا اخذتها على اطلاقها تعني كيان الدولة وكامل مؤسساتها ، ويشمل تعبئة جهازها بالكفاءات وتطبيق شريعتها وادارة امورها بالشكل الذي يجعلها محققة لغايات وجودها في النظام السياسي .

فالامام هو رئيس السلطة التنفيذية ، يعين جهازها سواء للعاصمة أو بالولايات وبالطريقة التي تحقق الغاية من حكم الله تماما .

والامام هو أيضاً معلم الأمة ، يتلو عليها كتاب ربها ويعلمها احكامه وعلومه ويبين لها بيان نبينا لهذا الكتاب وسيرة النبي وطريقته باقامة الدين .

والامام أيضاً يطبق شريعة الله ويعمل على انقاذ الجنس البشري واثابة حرية الاختيار امام الناس ليختاروا الحق ان شاؤوا غير ممنوعين عنه .

ويدخل في اختصاص الامام هذا بيان حكم الله والحكم فيه ﴿ فاحكم بينهم بما انزل الله ﴾^(١) . ومنع حكم الطاغوت ، ومنع شريعة الطاغوت ، والطاغوت هو كل حاكم لا يحكم بكتاب الله ، وشريعة الطاغوت هي كل شريعة مطبقة غير شريعة الله . ﴿ ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ﴾ . ﴿ واولئك هم الفاسقون . . ﴾ . ﴿ واولئك هم الظالمون . . ﴾^(٢) .

٣ - اختصاصات الامام التشريعية :

ما ورد في القرآن الكريم تشريع ، وما صدر عن الرسول من قول أو فعل أو تقرير فهو تشريع . ﴿ ان اتبع الا ما يوحى الي ﴾^(٣) . ﴿ قل انما انذركم بالوحي ﴾^(٤) .

لم يمت الرسول ﷺ إلا بعد أن اكمل الله الدين واتم النعمة . فالشريعة كاملة شاملة لكل شيء ، وما ليس فيه نص يستنبط بوسائل الاستنباط الشرعية .

(١) سورة المائدة آية ٤٨ .

(٢) سورة الاعراف آية ٢٠٣ .

(٣) سورة الانبياء آية ٤٥ .

والامام الذي يخلف رسول الله ليس من صلاحيته التشريع، ولا من صلاحية الأمة كلها التشريع، لأن التشريع محصور بالله ورسوله وقول الرسول ليس إلا ايضاحا وبيانا للوحي .

﴿فاحكم بينهم بما انزل الله . . .﴾^(١) . ﴿ان الحكم إلا لله﴾^(٢) ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون . . الفاسقون . . الظالمون . . .^(٣) وكل حاكم لا يحكم بكتاب الله طاغوت .

يريدون ان يتحاكموا إلى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به^(٤) .

وبايجاز شديد يخرج عن صلاحيات الامام تماما ان يشرع، ودور الامام ينحصر في البحث عن النص الذي يطبق على الواقعة فيطبقه أو يتأكد من تطبيق القضاء له .

وهنا تبرز حكمة الله بتعيين الذي يخلف الرسول، اذ يجب ان تتوفر فيه صفات معينة وإلا فلا يؤمن زلله ويجب أن يكون معتصما بالله، ومن يعتصم بالله يهد قلبه . والله وحده هو الذي يعرف من يعتصم به، لذلك خص نفسه بتسمية خليفة الرسول .

٤ - اختصاصات الامام التنفيذية :

الامام في الإسلام يتمتع بصلاحيات هائلة جدا، لأن النظام الإسلامي محتاط بطريقة تعيين الامام . فالله سبحانه وتعالى هو الذي أوحى لرسوله وسمى له الامام الذي سيخلفه، وهو الذي كلف رسوله بأن صنعه على عينه ويعدده اعداداً خاصاً ليكون أهلاً لخلافته، وبالتالي لا يكون هنالك خطر من صلاحيات الامام الهائلة . ومن اختصاصاته التنفيذية :

- ١ - إن الامام ينقل السلطة لولي عهده المعين ويعلن تسميته ولياً للعهد .
- ٢ - يعين الوزير أو الوزراء بالعدد الذي يفي بتحقيق الغاية الشرعية ويعزلهم .

(١) سورة المائدة آية ٤٨ .

(٢) سورة الأنعام آية ٧٥ .

(٣) سورة المائدة آية ٤٨ .

(٤) سورة النساء آية ٦٠ .

٣ - يعين قادة الجيش ويعزلهم، يقود الجيش بنفسه أو يعين له قائداً.

٤ - يعين حكام الولايات ويعزلهم.

٥ - يعين القضاة ويعزلهم.

٦ - يرسم السياسة التنفيذية على الصورة التي يراها محققة للغايات الشرعية وله ان يسخر كل طاقات المجتمع بالطريقة الشرعية لتحقيق مقاصد الشرع ولا استمرار سير المجتمع على نفس مسيرة النبوة المثال.

هذه الصلاحيات كانت معطاة لرسول الله وهي أمور مسلم بها. ويدوان ولي العهد أو خليفته من بعده يتمتع بهذه الصلاحيات، لأن الرسول تمتع بها باعتباره ولياً للمؤمنين.

٥ - الاختصاصات القضائية:

كان رسول الله ﷺ هو رئيس ما يمكن أن نسميه بالسلطة القضائية، فهو المرجع الرسمي لحل الخلافات التي نشأت بين المسلمين مع بعضهم، أو بين الجماعات التي يتكون منها مجتمع الدولة الإسلامية. ويمكن مراجعة الصحيفة التي اصدرها رسول الله ﷺ عند قدومه إلى المدينة المنورة^(١).

ومن الناحية العقائدية لا يمكن ان يكتمل ايمان المؤمن ولا المجتمع المؤمن اذا لم يكن الرسول هو القاضي، واذا لم يسلموا في حكمه ولا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضى. ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت...﴾^(٢).

فالرسول اما ان يحكم بالقضايا المعروضة عليه بنفسه، أو يعين قاضيا للحكم فيها، كذلك الامراء الذين يعينهم الرسول، يمارسون القضاء أو يعينون من يمارسه لحل الخلافات التي تنشأ في المنطقة الخاضعة لامارتهم. ويلوح لي ان الامام

(١) راجع المادة ٣٣ من الصحيفة التي ذكرها ابن هشام في سيرته ص ٥٠١، ج ١، ونقلها القاسمي في نظام الحكم ص ١٥، ونقلها مصطفى طلاس في كتابه الرسول العربي وفن الحرب عند العرب، ونقلها السيد سابق في آخر المجلد الثاني من فقه السنة.

(٢) راجع سورة النساء آية ٦٥.

المعين شرعاً من بعد الرسول له هذه الصلاحيات . ومن الأهمية بمكان التذكير بان الامام هو الامام المعين شرعاً وليس من غلب .

— من مبادئ القضاء في الإسلام :

- ١ - « لا يقضي حكم بين اثنين وهو غضبان »^(١) .
- ٢ - لا يجوز اصدار الحكم قبل سماع حجة الطرفين .
« فاذا جلس بين يديك الخصمان لا تقضي حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول فانه احرى ان يتبين لك القضاء »^(٢) .
- ٣ - البينة على من ادعى واليمين على من انكر^(٣) قيل يا رسول الله ، انه فاجر لا يبالي بما حلف ليس يتورع من شيء فقال ﷺ ليس لك منه إلا ذلك^(٤) .
- ٤ - « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تفضل احدهما فتذكر احدهما الأخرى ولا يأبى الشهداء اذا ما دعوا . . . »^(٥) .
- ٥ - قال ﷺ ، لرجل حلفه : احلف بالله الذي لا إله إلا هو ما له عندك شيء^(٦) .
- ٦ - اليمين المتممة : قضى الرسول بيمين وشاهد^(٧) .
ترد شهادة الخائن والخائنة والزاني والزانية^(٨) .
ترد شهادة ذي الغمر^(٩) .
خير الشهود : الذي يأتي بالشهادة قبل ان يسألها^(١٠) .

(١) رواه الخمسة ص ٥٩ ، ج ٣ من التاج الجامع للأصول .

(٢) رواه أبو داود والترمذي ص ٦٠ ، ج ٣ من التاج .

(٣) رواه الترمذي ص ٦١ ، ج ٣ من التاج .

(٤) رواه الخمسة إلا البخاري ص ٦١ ، ج ٣ من التاج .

(٥) رواه أبو داود والنسائي ص ٦١ ، ج ٣ من التاج .

(٦) راجع ص ٦٣ ، ج ٣ من التاج .

(٧) رواه أبو داود ص ٦٣ ، ج ٣ .

(٨) رواه أبو داود والترمذي ص ٦٣ ، ج ٣ .

(٩) رواه الخمسة إلا البخاري ص ٦٢ ، ج ٣ من التاج .

٦ - اختصاصات الامام المالية :

قال تعالى : ﴿ خذ من اموالهم صدقة تطهركم وتزكيهم بها ﴾^(١) . ﴿ وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ﴾^(٢) انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها . . . ﴿

حددت الشريعة مقدار الزكاة الواجب دفعها على جميع الاموال التي يملكها مالكوها ، وبينت الشريعة الوجوه التي تحقق فيها تلك المقادير المجموعة ومن هنا تبين اختصاصات الامام المالية وهي :

- ١ - اخذ الصدقات من باذليها وتوزيعها على مستحقيها .
- ٢ - اخذ الزكاة من اغنياء المسلمين بالنسب المفروضة بالشريعة وصرفها على الوجوه المحددة بالشريعة .
- ٣ - جمع غنائم الحرب وصرفها على الطريقة المحددة بالشريعة .
- ٤ - تحديد ما ينفق وما يدخر .
- ٥ - تعيين العمال والجباة والايدي العاملة اللازمة لتحقيق تلك المقاصد ، واعطائهم حقوقهم المحددة شرعاً .

٧ - اختصاصات الامام برأي الماوردي :

- ١ - حفظ الدين على الاصول المستقرة التي اجمع عليها سلف الأمة . فاذا زاغ ذو شبهة بين له الحجة واوضح له الصواب واخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود ليكون الدين محروسا من خلل والأمة ممنوعة من زلل .
- ٢ - حماية البيضة والذب عن الحوزة ليتصرف الناس في المعاش وينشروا في الامصار آمين .
- ٣ - تنفيذ الاحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام حتى تظهر النصفة فلا يتعدى ظالم ولا يضعف مظلوم .
- ٤ - اقامة الحدود لتصان المحارم من الانتهاك وتحفظ حقوق العباد من الانلاف والاستهلاك .

(١) سورة التوبة آية ١٠٣ .

(٢) سورة الذاريات آية ١٩ ، والمعارج آية ٢٤ .

- ٥ - تحصين الثغور بالقوة الدافعة والعدة المانعة حتى لا تظفر الاعداء بغرة ينتهكون بها محرماً ويسفكون بها دماً لمسلم أو لمعاهد.
- ٦ - جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمة.
- ٧ - جباية الفية والصدقات على ما اوجبه الشرع نصاً واجتهاداً من غير عنف.
- ٨ - تقدير العطاء وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقصير ورفع في وقته لا تقديم فيه ولا تأخير.
- ٩ - استكفاء الامناء وتقليد النصحاء فيما يفوضه اليهم من الاعمال ويكله اليهم من الاموال لتكون الاعمال مضبوطة والاموال محفوظة.
- ١٠ - ان يياشر بنفسه مشاركة الامور وتصفح الاحوال ليهتم بسياسة الأمة وحراسة الملة. ولا يعول على التفويض متشاغلاً بلذة أو عبادة، فقد يخون الامين ويغش الناصح^(١).

٨ - الحسم باختصاصات الامام:

احسن صاحب كتاب نظام الحكم الاستاذ ظافر القاسمي عندما قال:
ان اختصاصات الخليفة تشمل جميع الشؤون الداخلية والخارجية والعسكرية. وان اعباءه تقع عليه وحده، وانه اذا فوض شيئاً منها فان ذلك لا يسقط حقه الاصيل بممارستها.

— حقوق الامام:

١ - للامام ثلاثة حقوق:

١ - حق الطاعة.

٢ - حق النصرة.

٣ - الحق المالي.

— حق الطاعة:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ وهو الرسول وخلفائه الشرعيين والولاة الذين عينهم الرسول أو الخليفة الشرعي.

(١) راجع الفراء ص ١١، والماوردي ص ١٥-١٦، ونظام الحكم للقاسمي ص ٣٥٣.

ويروي مسلم في صحيحه قول رسول الله ﷺ :

«عليك بالسمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك» ويقول ﷺ :
من خلع يدا من طاعة لقي الله ولا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة ، مات ميتة
جاهلية والطاعة فيما احب أو كره ما لم يؤمر بمعصية . فان امر بمعصية فلا سمع ولا
طاعة .

ويبدو ان حق الطاعة المنوه عنها محصور بطاعة الرسول والائمة الشرعيين
فقط .

— حق النصرة :

في الدول الغربية تتناوب على الحكم الاغلبية والمعارضة . والمعارضة تتلقت
اخطاء الاغلبية بلهفة وتمناها لتجد المبرر للحلول مكانها ، وتستمر على ذلك حتى
يأتي اليوم الذي تستولي فيه المعارضة على زمام الحكم . وهكذا تصبح الاغلبية فيما
بعد معارضة ، لتفعل كما فعلت المعارضة لها .

اما في النظامي السياسي الإسلامي ، فرئيس الدولة عينه الرسول وبايعته الأمة
بشقيها الخاصة والعامة ، وهو معصوم لاغتصامه بالله وهو قائم بواجباته وفقا لقواعد
الشريعة ، وعندئذ تصبح طاعته حقا على كل مسلم ومسلمة ، وتصبح نصرته والهب
لمساعدته عملا تعبديا ويتمنى المسلمون دوامه ، والكل يتمنى توفيقه حتى الذين
يطمعون ان يصلوا للحكم يوما لأن تمنى غير التوفيق والخير للامام غش وخداع ومن
غش المسلمين فليس منهم .

والمسلم الذي يمارس الغش اذا استطاع ان يخفي نواياه عن الرسول أو عن
خليفته الشرعي أو عن الأمة ، فانه لا يستطيع ان يخفي نواياه الحقيقية عن الله
فيلاحقه ضميره حيث يقصر سلطان الدولة وما يزال به حتى يرد إلى حظيرة الحق
فيعطي للامام ثمرة قلبه ويده ويلبي دعوته لكل خير وتعاون .

ويتعاون مع الامام ومساعدته كل مسلم لتنفيذ الشريعة . والحرية متاحة امام
المواطن المسلم وامنية المسلم الحق وقصده هي امنية الامام المسلم وقصده ،
واماني وقصد الامام المسلم والأمة والمسلمة هي نفس امانى وقصد الشريعة وبالتالي

تلتقي الأمة مع مقاصد الامام مع مقاصد الشرع ويصنع التكافل الاجتماعي المكرس بالاصول العامة المستقرة للشريعة .

— الحق المالي :

حدد الله جزءا لرسول الله من موارد الدولة، وينتقل هذا الجزء إلى الائمة من بعده وهم أهل البيت الكرام، وهذا الجزء باق لهم ينفقون على الصورة التي حددها الشرع وطبقها الرسول، وهذا الخمس ينفق بالمعروف .

فالمسكين والفقير واليتيم من العترة الطاهرة، محرمة عليه الصدقة ويساعدهم الامام من هذا الجزء ويتصرف بالباقي على الصورة التي ترضي الله .

«بقي عن الرسول ﷺ ستة دنانير فقال وهو على فراش الموت، آتوني بها، فقسم خمسة منها إلى خمسة بيوت من الأنصار ثم قال استنفقوا هذا الباقي، وعندما فعل ذلك قال الآن استرحت»^(١) .

(١) راجع جـ ٢ من الطبقات لابن سعد، ص ٢٣٧ .

مساعدوا الإمام:

الفصل الحادي عشر

١ - ولي العهد.

٢ - مجلس الوزراء أو أعضاء الحكومة.

٣ - أهل الشورى.

٤ - الولاية.

— ولي العهد:

أو على حد تعبير ظافر القاسمي الوزير الحزبي لا المعارض .
كان ولي عهد رسول الله ﷺ علي بن ابي طالب، وقد اثبتنا في باب تسمية الامام وولاية العهد، ان الرسول ﷺ دعا ربه بنفس الدعاء الذي دعا فيه موسى ربه، وما ان اتم الدعاء حتى هبط عليه جبريل ومعه آية الولاية لعلي . وكثيرا ما كان يقول لعلي انت مني بمنزلة هارون من موسى .

وبحمد الله ومنته ان هذه الاحاديث بلغت مرتبة التواتر واعترف بها اعداء علي قبل اوليائه، فارجع إليها موثقة ومنسقة في باب موقف الشرع من تسمية الامام .

وحقيقة، فلا يوجد صحابي قط إلا وقد عارض الرسول ﷺ، والوحيد الذي لم يعارضه هو علي بن ابي طالب . ومما يؤيد ذلك أيضاً انه لا يوجد صحابي إلا وقد امر عليه رسول الله ﷺ الا علي فانه لم يؤمر عليه احدا قط .

فعلى سبيل المثال في غزوة ذات السلاسل، كان الامير عمرو بن العاص وتحت امرته جل الصحابة بما فيهم أبوبكر وعمر وابوعبيدة، وكان عمرو بن العاص امامهم واميرهم .

وفي غزوة اسامه أمر الرسول كل الصحابة بالخروج مع اسامه، وكان اسامه هو أميرهم وامامهم وفيهم أبوبكر وعمر وابوعبيدة .

والوحيد الذي لم يؤمر عليه رسول الله ﷺ احدا هو علي ولا ينبغي ان يكون هذا صدفة .

بل ان الرسول ارسل أبابكر للحج بالناس، ومعه عشر آيات من سورة براءة

ليبلغها للناس يوم الحج الاكبر. وسار أبو بكر قاصدا مكة المكرمة. إلا ان جبريل هبط على رسول الله ﷺ وابلغه بأمر الله بان يلحق علي بأبي بكر ويأخذ منه سورة براءة ليبلغها علي بالذات إلى الناس وليس أبو بكر.

وابلغ جبريل محمدا بانه لا يؤدي عنه إلا علي، على حد تعبير جبريل، كما امره ربه. تلك حقيقة بفضل الله ومنته لم تقو السياسة على طمسها، وقد وثقناها في باب ولاية العهد. وفي كل المعارك كان لواء الرسول اما بيد علي أو بيد حمزه^(١).

وفي غزوة الخندق كان عمرو بن ود يقول:

ولقد بحثت من النداء لجمعهم هل من مبارز. كان عمرو ينادي كل المسلمين، كل كبار الصحابة هل من مبارز؟ فلم يجروا على مبارزة عمرو بن ود غير علي، كما ذكر ابن سعد^(٢). سل عنه كل المعارك، سل بدرا، وسل احداً، سل الخندق، سل خيبر، سل كل المواقع هل هرب علي أو تقاعص أو هرب أي واحد من العترة الطاهرة. من يدعي انه يفوقهم شرفاً فقد خدع نفسه وان غلب. (راجع ما اثبتنا من نصوص في باب تسمية الامام وولاية العهد).

— مجلس الوزراء أو اعضاء الحكومة:

يتألف مجلس الوزراء أو اعضاء حكومة الرسول من فئتين من الاعضاء.

١ - الفئة الاولى: وهم القرابة الطاهرة، وقد اثبتنا بالنصوص القاطعة في باب البيعة الخاصة ان العترة الطاهرة ركن حقيقي من اركان السلطة لا يمكن الاستغناء عنه اذا ما اريد للسلطة ان تكون إسلامية وان تفلح.

٢ - افاضل الصحابة وفقاً لمعايير التفاضل الدينية: وهي ليست معايير طبقية أو عرقية أو مالية، انما هي معايير مستمدة من القرآن ومن السنة، وموقف الفرد من دين الله تقدماً أو تأخراً، نصراً أو خذلاناً، وهذه المعايير هي: القرابة الطاهرة، والسابقة في الايمان والتقوى، والعلم، ورأي الرسول.

(١) راجع على سبيل المثال ج٢، ص ٨ من الطبقات و ص ٩ و ٢٩ و ٣١ و ٤٩ و ٥٨ و ٥٩ و ٧٤ و ١٠٦ و ١٥ و ١٧ و ١٨.

(٢) راجع ج٢، ص ٦٨ من الطبقات لابن سعد.

فأفاضل الصحابة هم حكومة الرسول ومجلس وزرائه . وما يثبت صحة هذا التحليل ما رواه احمد والبخاري والطبراني في الكبير من ان واصحاب النبي وزراءه^(١).

والمقصود بأصحاب النبي هم الصفوة أو أفاضل الصحابة وقادتهم وهم بالذات أهل الشورى، لأن الصحابة كما اثبتنا في معرض البيعة الخاصة طبقات شرعية، ولأن المجتمع المسلم كله كان زمن الرسول صحابة حسب تعريف ابن حجر في أصابته، وحسب تقسيم ابن سعد في طبقاته وحسب تقسيم الحاكم للصحابة في مستدركه.

ومن المستحيل عقلا ان يصبح كل افراد المجتمع وزراء، لكن الذي لا شك فيه ان نطاق المشاركة بالوزارة المحمدية كان يجري بطرق موضوعية صرفه، ولا علاقة لرئيس الدولة فيه، فالسابقة والتقوى والعلم والاشتراك في معارك الايمان، أمور متروكة لحرية الفرد، فمن يبرز بهذه النواحي ويصدق مع الله يفرض نفسه فرضاً في مجلس وزراء أو حكومة الإسلام. ثم انظر الى قول زيد بن ثابت وهو يجيب خطيب تميم بحضور الرسول ﷺ: (نحن انصار الله ووزراء رسوله)^(٢).

فاذا اخذنا بعين الاعتبار معنى الوزارة لغة، ومعنى الوزارة اصطلاحاً ووحدة المعنيين، لوجدنا ان أهل الشورى حقيقة كانوا وزراء النبي ﷺ بما للكلمة من معنى. كانوا يقومون بعمل الوزراء فيستشيرهم مجتمعين أو منفردين، أو يستشير بعضهم دون بعض. وهكذا يؤلف أهل الشورى مجلساً لشورى الامام، وهذه وظيفة من وظائف الوزراء وكان يطلب من بعضهم تنفيذ احكامه. وتلك وظيفة من وظائف الوزراء، فهم هيئته التنفيذية، ويطلب من آخر قيادة الجيش، وثالث قيادة سرية عسكرية، ورابع يرسله سفيراً لرئيس دولة أو لتجمع سكاني، أو لمفاوضته امراً أو بحث أمر. فاذا اخذنا بعين الاعتبار ان الإسلام دين عملي وقواعده غائية، فان الاسلوب المتبع بالوزارة المحمدية مؤدياً للغاية الشرعية من اقرب الطرق ويضمن مشاركة شعبية واسعة وعريضة.

(١) راجع نظام الحكم للقاسمي ص ٤١٣-٤١٤.

(٢) راجع نظام الحكم للقاسمي، ص ٤١٣-٤١٤.

وبالتالي يصبح تعيين اشخاص محددين وخلع لقب وزراء عليهم وفتح مكاتب لهم تجاوزا لحاجات الغايات الشرعية آنذاك خاصة مع وجود رئيس دولة الرسول ﷺ ، ومع وجود ولي عهده الذي يكون دائما مع الحق بنص الشرع كما اثبتنا ذلك . ومع الاخذ بعين الاعتبار بان المسلم يقدمه عمله لله .

وبعد وفاة الرسول بدأت دائرة أهل الشورى تضيق ، واختلت موازين التفاضل فهذا سعد بن عباد مثلاً ، وهو أحد وزراء الرسول اللامعين واحد النقباء ليلة العقبة يطرد من وزارته بل وتكره جبرته بسبب موقفه من رئيس الدولة ابي بكر وموقفه من الرئيس اللاحق عمر ويضطر إلى الرحيل عن المدينة ويموت قتلاً ثم يسند قتله إلى الجن ، كما وثقنا ذلك .

ويلمع يزيد بن أبي سفيان ومعاوية ، ويحولوا إلى بطانه ، مع انهم من المؤلفة قلوبهم ولم يكونوا وزراء للرسول ﷺ وعهد عمرو أبي بكر ذهبي من هذه اذ ما قيس بأواخر عهد عثمان ، فقد ضاقت دائرة الصحابة ، وخرج الأمر من ايديهم حتى انتهى الأمر بان اصبح مروان بن الحكم بمشابة رئيس وزراء لعثمان ، واصبح لعثمان اربعة وزراء فقط هم :

١ - عبدالله بن أبي السرح وهو الذي افترى على الله الكذب والذي اباح الرسول دمه فقد كان والي مصر .

٢ - معاوية بن أبي سفيان الذي حارب الإسلام في كل موقعة حتى اذا حوصر وسط جزيرة الكفر اسلم لينجو بروحه وهو طليق وابن طليق ومن المؤلفة قلوبهم .

٣ - سعيد بن العاص وعمرو بن العاص وعبيد الله بن عامر . فقد استقدمهم الخليفة عثمان وكانوا من امرائه وقال لهم : لكل أمير وزراء ونصحاء وانكم وزرائي ، ونصحائي وأهل ثقتي .

وعلى أي حال فان الإسلام يحكم عليه كنظام وتطبيق من خلال عهد رسول الله والمفاهيم الاخرى الاصطلاحات التي طرأت على الوزارة شريعة عقلية وضعية وليست شرعية . وما يعيننا بالذات هو الموروث من الكتاب والسنة والمعتبر جزءاً من النظام السياسي الإسلامي .

— نواب الرسول على المدينة اثناء غيابه عنها :

لم يترك رسول الله ﷺ المدينة قط إلا وقد استخلف عليها . فعلى سبيل المثال :

- ١ - في غزوة الأبواء ، استخلف سعد بن عبادة وهوبدري .
- ٢ - في غزوة بواط استخلف سعد بن معاذ وهوبدري .
- ٣ - في غزوة طلب كرز الفهري استخلف زيد بن حارثة .
- ٤ - في غزوة ذي العشيرة استخلف ابامسلمة بن الاسد المخزومي وهومن اوائل المهاجرين وبدري أيضاً^(١) .
- ٥ - في غزوة بني قينقاع استخلف ابا حبابة بن المنذر^(٢) . واستخلفه في غزوة السويق^(٣) .
- ٦ - في غزوة بدر استخلف عمرو بن ام مكتوم^(٤) . واستخلفه في غزوة قرقرة الكدر^(٥) . واستخلفه في غزوة بني سليم^(٦) وفي حمراء الأسد^(٧) وفي بني النضير^(٨) وفي بني قريظة^(٩) ولحيان^(١٠) والغابة^(١١) والحديبية^(١٢) وعام الفتح^(١٣) .
- ٧ - وفي غزوة غطفان استخلف عثمان بن عفان^(١٤) وفي ذات الرقاع^(١٥) .
- ٨ - وفي بدر الموعد استخلف عبدالله بن رواحه وهوبدري ونقيب^(١٦) .
- ٩ - في دومة الجندل استخلف سباع بن غرطة الغفاري^(١٧) .
- ١٠ - في تبوك استخلف عليا بن أبي طالب^(١٨) .
- ١١ - في غزوة القضية استخلف أبارهم الغفاري^(١٩) .

— الأمراء الذين عينهم الرسول ومات وهم على أعمالهم^(٢٠) .

- ١ - مكة وارضها : عقاب بن اسيد على بني كنانة والظاهر بن أبي هاله على عك وذلك ان النبي قال اجعلوا أعمال عك في بنيتها .

(٢٨-١) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٨ و ٦١٣ ، ج ٢ ص ٨ و ٤٢٠ ، ج ٢ ص ٩ و ٦٣ ، ج ٢ ص ٩

٦٣ و ٢٣٩ ، ج ٢ ص ٢٧ ، ج ٢ ص ٣٠ و ٤٥٧ و ٢٧ و ٣١ و ٣٦ و ٣٩ و ٤٩ و ٥٨ و ٧٤ و ٧٩ و ٨ و ٩٥

و ١٣٥ و ٦١ و ٣٤ و ٦١ و ٥٩ و ٦١٢ و ٦٢ و ١٠٦ و ١٢٦ .

(٢٩-٢٠) راجع تاريخ الطبري ، ج ٣ ص ٣١٨ .

٢ - الطائف وارضها: عثمان بن أبي العاص على أهل المدرومالك بن عوف
النصري على أهل الوير.

٣ - نجران وارضها: عمرو بن حزم على الصلاة وأبوسفیان بن حرب على
الصدقات.

٥ - على ما بين رمح وزبيد إلى حد نجران: خالد بن سعيد بن العاص.
٦ - على صنعاء: فيروز الديلمي ويسانده دازويه وقيس بن الملوخ وعلى الجند
يعلى بن أمية.

٧ - على مأرب: أبو موسى الأشعري.
٨ - على الأشعرين مع عك: طاهر بن أبي هاله ومعاذ بن جبل معلم القوم يتنقل في
عمل كل عامل^(١)

— المعارك والسرايا والقادة:

١ - غزا رسول الله ﷺ ٢٧ غزوة. وقاد في تسع منها: بدر، احد، المريسيع،
الخنندق، خيبر، فتح مكة، حنين، الطائف^(٢).

٢ - بلغ عدد السرايا التي ارسلها ﷺ ٤٧ سرية وعين قادتها بنفسه^(٣).
٣ - في كل وقعاته كان يحمل اللواء اما حمزه بن عبدالمطلب أو علي بن أبي
طالب، وأول لواء عقد في الإسلام كان لحمزه بن عبدالمطلب^(٤).

٤ - ابرز القادة العسكريين واشجع المسلمين على الاطلاق بعد رسول الله وحمزه،
كان علي بن أب طالب ويكفي ان تعلم قصة عمرو^(٥).

وعندما ينادي عمرو بن ود ويصاب الجميع بالصم، خرج ولي الله واخو رسوله
فأسكت صوت عمرو بن ود إلى الأبد، وهذا معيار موضوعي لقياس الشجاعة.

قالت عائشة تحرض الزبير: يا ابا عبد الله خفت سيوف بني عبدالمطلب طوال
حداد يحملها فتية انجاد^(٦).

ويمكننا القول بكل ارتياح ان علياً بن أبي طالب كان أكبر واعظم واشجع

(١) الطبقات لابن سعد، ج٢ ص٦، ج٢ ص١٢٦-١٢٨.

(٢) راجع ج٦ ص٨ و٩ و٢٩ و٣١ و٤٩ و٥٨ و٥٩ و٧٤ و١٠٦ و١٥٠، ج٢ من الطبقات.

(٣) راجع الطبقات ج٢، ص٣٨ على سبيل المثال.

(٤) راجع الامامة والسياسة ص٧٣.

رجالاً الرسول على الاطلاق . قبل بدء القتال في وقعة الجمل كلم علي طلحة والزبير وقال لهما :

استحلف عائشة بحق الله وبحق رسوله على أربع خصال أن تصدق فيها : هل تعلم ان رجلاً من قريش أولى مني بالله ورسوله ، وإسلامي قبل كافة الناس اجمعين ، وكفايتي رسول الله كفار العرب بسيفي ورمحي . . . (١)

— القادة العسكريون الذين عينهم الرسول :

- ١ - عبيد بن الحارث بن عبدالمطلب بن عبد مناف أرسله الرسول إلى رابغ (٢).
- ٢ - سعد بن أبي وقاص أرسله ﷺ لعير قريش (٣).
- ٣ - عبد الله بن جحش الاسدي أرسله إلى بطن نخله (٤).
- ٤ - عمر بن عدي بن خرشه الخطمي أرسله إلى عصماء بنت مروان (٥).
- ٥ - سالم بن عمير العمري أرسله إلى أبي عفك اليهودي (٦).
- ٦ - محمد بن مسلمة أرسله لقتل كعب بن الاشرف بناء على طلبه (٧).
- ٧ - زيد بن حارثة أرسله إلى القرد من أرض نجد ، وأرسله إلى بني سلم وإلى الطرف وإلى العيص وإلى خمي وإلى وادي القرى (٨).
- ٨ - أبوسلمة بن عبد الأسد المخزومي أرسله إلى قطن (٩).
- ٩ - عبد الله بن انيس أرسله إلى سفيان بن خالد الهذلي (١٠).
- ١٠ - المنذر بن عمرو الساعدي أرسله إلى بثر معونه (١١).

(١) راجع الامامة والسياسة ص ٧٢ .

(٢) الطبقات ، ج ٢ ص ٧ .

(٣) الطبقات ، ج ٢ ص ٧ .

(٤) الطبقات ، ج ٢ ص ٢٧ .

(٥) الطبقات ، ج ٢ ص ٢٧ .

(٦) الطبقات ، ج ٢ ص ٢٨ .

(٧) الطبقات ، ج ٢ ص ٣٢ و ٧٨ و ٨٥ .

(٨) الطبقات ، ج ٢ ص ٣٦ و ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٠ .

(٩) الطبقات ، ج ٢ ص ٥٠ .

(١٠) الطبقات ، ج ٢ ص ٥٠ .

(١١) الطبقات ، ج ٢ ص ٥١ .

- ١١ - مرثد بن أبي مرثد الغنوي^(١).
- ١٢ - عكاشة بن محصن الأسدي أرسله إلى ذي الغمر^(٢).
- ١٣ - أبو عبيدة بن الجراح أرسله إلى القصة^(٣).
- ١٣ - علي بن أبي طالب أرسله إلى فذك، وأرسله إلى طي ليهدمه وأرسله إلى اليمن مرتين^(٤).
- ١٥ - عبدالله بن عتيك أرسله إلى أبي رافع^(٥).
- ١٦ - عبدالله بن رواحه أرسله إلى أسير بن زارم^(٦).
- ١٧ - كرز بن جابر الفهري أرسله إلى العرفين^(٧).
- ١٨ - عمرو بن أمية الضمري وسلمه بن أسلم بن جريس إلى أبي سفيان لاغتياله^(٨).
- ١٩ - عمر بن الخطاب أرسله إلى تربه^(٩).
- ٢٠ - أبو بكر الصديق أرسله إلى ناحية خربه^(١٠) وأرسله مرة ثانية^(١١).
- ٢١ - غالب بن عبدالله الشبي أرسله^(١٢).
- ٢٢ - ابن أبي العوجاء أرسله إلى بني سليم^(١٣).
- ٢٣ - شجاع بن وهب الأسدي أرسله إلى بني عامر^(١٤).
- ٢٤ - كعب بن عمير الغفاري أرسله إلى ذات اطلاق^(١٥).

-
- (١) راجع الطبقات، جـ ٢ ص ٥٥.
 - (٢) راجع الطبقات، جـ ٢ ص ٨٤.
 - (٣) الطبقات، جـ ٢ ص ٨٦ و ١٣٢.
 - (٤) الطبقات، جـ ٢ ص ٨٩ و ١٦٤ و ١٦٩.
 - (٥) الطبقات، جـ ٢ ص ٩١.
 - (٦) الطبقات، جـ ٢ ص ٩٤.
 - (٧) الطبقات، جـ ٢ ص ٩٣.
 - (٨) الطبقات، جـ ٢ ص ٩٣.
 - (٩) الطبقات، جـ ٢ ص ١١٧.
 - (١٠-١١) الطبقات، جـ ٢ ص ١١٨ و ١١٧ و ١٢٠.
 - (١٢) الطبقات، جـ ٢ ص ١١٩ و ١٢٤ و ١٢٦.
 - (١٣) الطبقات، جـ ٢ ص ١٢٣.
 - (١٤) الطبقات، جـ ٢ ص ١٢٧.
 - (١٥) الطبقات، جـ ٢ ص ١٢٧.

- ٢٥ - زيد بن حارثة إلى مؤته وعين نائبا له جعفر بن أبي طالب ونائبا ثانيا عبد الله بن رواحه ولما قتلوا تولى القيادة خالد بن الوليد ^(١).
- ٢٦ - عمرو بن العاص أرسله إلى ذات السلاسل وأمره على أبي بكر وعمر وأمّ بهم وبجل الصحابة وأرسله لراع ^(٢).
- ٢٧ - ابن ربيعي الأنصاري أرسله إلى خضرة نجد ^(٣).
- ٢٨ - خالد بن الوليد أرسله إلى العزى ^(٤).
- ٢٩ - سعد بن زيد الأشهلي ^(٥).
- ٣٠ - الطفيل بن عمرو الدوسي أرسله إلى ذى الكفين ^(٦).
- ٣١ - عيينه بن حصن الفزاري أرسله إلى بني تيم ^(٧).
- ٣٢ - قطبة بن عامر بن حديد ^(٨).
- ٣٣ - الضحّاك بن سفيان الكلّابي إلى بني كلاب ^(٩).
- ٣٤ - علقمة بن مجزر المدلجي أرسله إلى الحبشة ^(١٠).
- ٣٥ - عكاشة بن محصن الأسدي أرسله إلى الجنب ^(١١).
- ٣٦ - استعمل الرسول أبا بكر على الحج وأرسل معه عشر آيات من سورة براءة إلّا أن جبريل أمر بأخذها منه وإن يكلف علي بتبليغها.
- ٣٧ - اسامه بن زيد إلى البلقاء وحته على السفر قبل موته إلا أنهم تباطأوا حتى مات ﷺ فطلب عمر من أبي بكر أن يعزل اسامه لصغره إلا أن أبا بكر رفض طلب عمر وبقي اسامه.

(١) الطبقات، ج ٢ ص ١٢٨.

(٢) الطبقات، ج ٢ ص ١٤٦ و ١٣١.

(٣) الطبقات، ج ٢ ص ١٣٢ و ١٣٣.

(٤) الطبقات، ج ٢ ص ١٤٥ و ١٤٧ و ١٦٩.

(٥) الطبقات، ج ٢ ص ١٤٦.

(٦) الطبقات، ج ٢ ص ١٥٧.

(٧) الطبقات، ج ٢ ص ١٦٠.

(٨) الطبقات، ج ٢ ص ١٦٢.

(٩) الطبقات، ج ٢ ص ١٦٣.

(١٠) الطبقات، ج ٢ ص ١٦٣.

(١١) الطبقات، ج ٢ ص ١٦٤.

— بعض مبادئ التولية في الإسلام :

قال تعالى : ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي . هارون أخى . أشد به أزرى .
واشركه في امرى﴾ .

يقول الماوردي : اذا اجيزت الوزارة في النبوة ، فهي في الامارة اجوز^(١) . قال
تعالى : ﴿ان خير من استأجرت القوي الامين﴾^(٢) .

قال ابن تيميه : يجب على الامام أن يولي على كل عمل من أعمال المسلمين
أصلح من يجده لذلك العمل^(٣) .

ومن قبل قال الامام علي : حيثما وجدت القوة والامانة .
قال ﷺ : من ولي أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح
للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله^(٤) .

قال ﷺ : من قلد رجلاً عملاً على عصابة وهو يجد في تلك العصابة من هو
أرضى منه فقد خان الله ورسوله وخان المؤمنين^(٥) .

في معرض إسلام ثقيف ، لما اسلموا كتب رسول الله لهم كتاباً ، وأمر عليهم
عثمان بن أبي العاص ، وكان أحدثهم سناً وذلك لأنه كان أحرصهم على النفقة
بكتاب الله وفهم الإسلام^(٦) .

والمعاهدة التي أبرمها رسول الله ﷺ مع أهل مقنا نصت بأن الأمير أما ان يكون
منهم أو من أهل رسول الله^(٧) .

(١) الأحكام السلطانية للماوردي ، ص ٢٢ .

(٢) سورة القصص آية ٢٦ .

(٣) السياسة الشرعية لابن تيمية .

(٤) رواه الحاكم وصححه .

(٥) راجع نظام الحكم للقاسمي ، ص ٤٧٨ .

(٦) راجع سيرة ابن هشام ص ٥٤٠ ج ٢ ، وراجع تاريخ الطبري ج ٣ ص ٩٩ .

(٧) راجع الوثائق السياسية ص ٥٨٥٧ .

ويجب على الامام ان يختار الامثل فالامثل ﴿واتقوا الله ما استطعتم﴾^(١)،
﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾^(٢).

قال ﷺ: من ولي لنا شيئا فلم يكن له زوجة فليتزوج. ومن لم يكن له مسكنا فليتخذ مسكنا. ومن لم يكن له مركبا فليتخذ مركبا. ومن لم يكن له خادما فليتخذ خادما^(٣).

قال معاذ: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فما سرت حتى أرسل في اثري، فرددت فقال ص: اتدري لم بعث اليك؟ لا تصيبين شيئا بغير اذني فانه غلول، ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة، لهذا دعوتك فامض إلى عملك^(٤).

قال ﷺ: انه ستكون بعدي امراء من صدقهم بكذبهم، واعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس بوارد على الحوض. ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وانا منه وهو وارد على الحوض^(٥).
قال ﷺ: ان شر الرعاء الحطمة^(٥).

— حقوق الولاية:

إذا كان على العامل ان يتفرغ للخدمة العامة، فان له مقابل ذلك الحقوق التالية:

قال ﷺ: من ولي لنا شيئا فلم يكن له امرأة فليتزوج، ومن لم يكن له سكنا فليتخذ سكنا، ومن لم يكن له مركبا فليتخذ مركبا، ومن لم يكن له خادما، فليتخذ خادما. فمن اعد سوى ذلك جاء يوم القيامة غاللا سارقا.

(١) سورة التغابن آية ١٦.

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٦.

(٣) راجع نظام الحكم للقاسمي ص ٤٩٧ نقله عن مشكلة المصاييح ٣٥٧١ وتذكره ابن حمدون ص ٦٨، وراجع ص ٥٢ ج ٣ من التاج الجامع للأصول، وقد أسقطت بعض هذه الحقوق من التاج.

(٤) راجع التاج الجامع للأصول ص ٥٦ ج ٣.

(٥) رواه الترمذي والنسائي ص ٥٤ ج ٣ من التاج.

(٦) راجع الجامع للأصول ص ٤٩ ج ٣.

اذن فان للعامل : السكن ، والزواج ووسيلة النقل ، والخادم ، والانفاق هو ومن
يعول بالمعروف بغير سرف ولا تقتير^(١).

(١) راجع نظام الحكم للفاسمي فقد نقله عن مشكاة المصابيح رقم ٣٧٥١ وتذكرة ابن حملون ص ٦٨ .
وفي باب الامارة من التاج الجامع للأصول وحدث حديثاً لرسول الله ﷺ يتضمن أكثر هذه الحقوق .
راجع ص ٥٢ ج ٣ من التاج .

الباب الثاني

كيفية قيام دولة الاسلام الاولى
دولة الرسول ﷺ

الفصل الأول

— الخطوة الأولى: تعيين الامام أو رئيس الدولة :

الخطوة الأولى التي وضعت في النظام السياسي الإسلامي كانت تعيين رئيس الدولة أو الامام، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية وجود الامام. فهو الاساس، وكل بناء لا أساس له منهدم لا محالة. فضلاً عن ذلك، فإن صلاحيات الامام في النظام السياسي الإسلامي صلاحيات هائلة جداً، ولا مثيل لتلك الصلاحيات في الانظمة السياسية العصرية. لذلك وجب التحوط عند اختيار الامام. من أجل هذا حصر الله بنفسه حق اختيار وتسمية رئيس الدولة في النظام السياسي الإسلامي. فالله هو الذي اختار محمداً نبياً واصطفاه ولياً «اماماً» للمؤمنين، وهو الذي رباه، وهو الذي امره بالجهر في الدعوة، وهو الذي وجهه في كل مراحل قيام الدولة^(١).

ولأن الامام أو الشخص الذي يرعى عملية اقامة الدولة الإسلامية، يجب ان يكون شخصاً غير عادي بملكاته واستعداداته. فقد اختص تعالى بتسميته لأنه وحده القادر على معرفة هذا التقييم الدقيق ورحمة بهذه الأمة خاصة وان دين محمد آخر الاديان ورسالته آخر الرسالات ونبوته آخر النبوات ونظامه آخر الانظمة، فقد جعل اختيار وتسمية رئيس الدولة في النظام السياسي الإسلامي محصوراً بجلال الله وحده بشكل مباشر كما حدث بتسميته ﷺ وكما حدث بتسميته الامام علي أو بشكل غير مباشر كما حدث بالنسبة للائمة الآخرين.

وعليه فإن أية محاولة لاقامة الدولة الإسلامية يجب أن تركز على شخصية الامام وماهيته، وتؤكد إنه الامام الشرعي، وبغير ذلك ستسرق المحاولة أو تجهض أو تستغل أو تتخبط، وبالتالي ستفشل وستوظف تلك المحاولة بكل اخطائها ضد الإسلام، ولكن باسمه. لأنه لا بد من تواجد القائد أو الامام حتى يمكنه قيادة سفينة

(١) راجع الطبقات لابن سعد ج١ ص ٢٠-٢٥، وراجع السيرة الحلبية ج١ ص ٢٦-٢٨، وراجع النصوص التي سقناها في معرض موقف الشرع من تسمية الإمام، وراجع النصوص التي سقناها في باب البيعة الخاصة لاثبات أن أهل البيت والعترة الطاهرة من أهل الشورى وقد وثقناها وهي دليل كاف على ما قلناه.

الإسلام وسط تلك الظلمات المتراكم بعضها فوق بعض .

ولوراجعنا التاريخ كله لما وجدنا أية دولة إيمانية قد قامت ونجحت بتطبيق
الإيمان وقواعده إلا اذا كان رئيسها مختاراً من الله عز وجل .

ارجع لدولة طالوت ، فالله هو الذي اختاره . قال تعالى : ﴿ ان الله اختار لكم
طالوت ملكاً ﴾ . وعين الله بعده داود وورث سليمان داود وموسى عينه الله وارسل معه
اخاه هارون وزيراً وخليفة بأمريه .

أما الانظمة التي تتخذ من الإسلام قناعاً لها ، وتحكم سياسياً وفق رأي ومزاج
القائمين عليها ، فهي ليست إسلامية انما تستند إلى شرائع عقلية أو مزاجية ، ان
اخطأت أو اصابته فحسابها على الله وحكمه عليها واضح . ولا تفترق عن أي نظام
من الانظمة السائدة إلا بمقدار ما يقودها العقل إلى الخير أو يبعدها عن الشر .

— المقرر الأول لرئيس الدولة الاولى ﷺ :

أو اقليم الدولة المؤقت : الخطوة الأولى تسمية رئيس الدولة ، والخطوة الثانية
تحديد المنطقة التي ينطلق منها رئيس الدولة .

أمر الله محمداً ﷺ ان يجهر بدعوته في مكة ، جمع أهلها وقال لهم : « تقولوا
إله إلا الله تملكون العرب وتدين لكم العجم »^(١) . وأمره سبحانه وتعالى ان يتخذ منها
مقرأ له حتى يأتي أمر الله .

أما لماذا اختار الله سبحانه وتعالى مكة اقليماً مؤقتاً ومقرأ لرئيس الدولة فاننا لا
نعرف بالضبط ، لكننا سنحاول الاقتراب من المعرفة وتلمسها بالحقائق التالية :

١ - لأن بمكة بيت الله الحرام الذي بناه إبراهيم وابنه اسماعيل والمقدس من كافة
العرب .

٢ - لأن العرب تحج البيت كل عام ، فمكة ملتقى لكل قبائل العرب .

٣ - لأنها مسقط رأس الامام ومقر أهله وعشيرته .

٤ - لأن في مكة عشيرة قريش وهم من اواسط العرب انساباً . ولقريش أهمية خاصة
عند العرب ولانهم باعتراف الشرع أفضل العرب^(٢) .

(١) راجع الطبقات لابن سعد ج١ ص ٧٤ .

(٢) راجع الطبقات لابن سعد ج١ ص ٢٠-٢٥ .

٥ - ولأن سادات قريش هم بنو عبد مناف وهم معروفون عند زعماء العالم آنذاك ، وكان يقال لهم المجبرون لفخرهم وسيادتهم على العرب^(١).

فقد أخذوا العصم لقريش فانتشروا من الحرم اخذ لهم هاشم حبلا من ملوك الشام والروم وغسان ، واخذ لهم عبد شمس حبلا من النجاشي الاكبر واخذ لهم نوفل حبلا من الاكاسرة ، واخذ لهم المطلب حبلا من ملوك حمير ، وهاشم وعبد شمس ونوفل والمطلب هم أولاد عبد مناف اذ جبر الله بهم قريشا فسموا المجبرين^(٢).

وهم اكرم العرب واشرف العرب^(٣). وربما لأن بني هاشم عامة ونسل عبد المطلب بشكل خاص بما ورثوه وآمنوا به مهياؤن لتقبل الدعوة المحمدية ، فكانوا واقعيًا مسلمين يأمرؤن أولادهم بترك الظلم والبغي ، ويحثون على مكارم الاخلاق ويتجنبون دنياات الأمور ، وبعضهم رفض عبادة الاصنام كما فعل عبد المطلب ، وكانوا يأمرؤن بالوفاء بالنذر ، ومنع نكاح المحارم وقطع يد السارق ، والنهي عن قتل المؤؤودة وتحريم الخمر والزنا ، ولا يطوفون في البيت عراة ، وبعضهم كان مجاب الدعوة كعبد المطلب أيضاً ، وكان فائض الرحمة ، فمائدته تمد للطير وأخرى للوحوش وثالثة لبني البشر ، وكانوا يكرمون الجار ، ويرعون الذمام ، وكانوا من أبعد الناس عن كل موبقة ، وكانت رؤؤياهم حق ، وكانوا يقون بالعقود ولا يظلمون ولا يغدرون^(٤). ولقد اثبت هذا البيت الهاشمي العظيم انه بحق غرة العرب وتاجهم ، وانهم خير خلق الله بعد نبيه كما قال فقد احتضنوه وتحملوا الحصار ثلاث سنوات وحماؤا حياته^(٥).

(١) راجع السيرة الحلبية ج١ ص ٥.

(٢) راجع المراجع السابقة.

(٣-٤) راجع تاريخ الطبري ج٢ ص ١٨٠ وج١ ص ٥٠ من السيرة الحلبية وج١ ص ٧٦ من الطبقات لابن سعد وج٢ ص ١٧٩ من تاريخ الطبري وج١ ص ٤ من السيرة الحلبية وج١ ص ٨٠ من الطبقات لابن سعد وج٢ ص ١٧٧ من تاريخ الطبري وج١ ص ٨٣ و٨٤ و٨٥ من السيرة الحلبية ج١ ص ٢٧.

(٥) راجع النصوص التي سقناها في باب البيعة الخاهمة عن أهل البيت والعترة الطاهرة.

— النهج الأول لرسول الله باقامة دولته وتكوين الشعب :

لجأ رسول الله ﷺ إلى الكلمة المجردة : يخاطب بها الناس كما فعل يوم صعد على الصفا قال :

«يا معشر قريش» فقالت قريش محمد على الصفا يهتف فاقبلوا :

١ - واجتمعوا فقالوا مالك يا محمد؟

فقال النبي : أرأيتم لو أخبرتكم ان خيلا بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقوني؟

فقالوا نعم ، انت عندنا غير متهم وما جربنا عليك كذبا قط .

قال النبي : فاني نذير بين يدي عذاب شديد ، يا بني عبد مناف ، يا بني زهرة . . . عدد الافخاذ كلها .

وقال إن الله امرني أن اندر عشيرتي الاقربين ، واني لا املك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا إلا ان تقولوا لا إله إلا الله^(١)

٢ - واما الدعوة بصورة عائلية : كحديث الدار اذ دعا بني عبدالمطلب إلى وجبة

طعام وقال لهم : اني لا اعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل ما جئتمكم به ، جئتمكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد امرني الله ان ادعوكم اليه^(٢) .

٣ - واما الدعوة بصورة فردية هو واتباعه كما فعل مع خديجة زوجته ، ومع علي بن أبي طالب^(٣) وأبوبكر الصديق^(٤) .

أو الدعوة عن طريق اتباعه كما فعل أبوبكر الصديق^(٤) . فقد اسلم على يديه :

عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبد الله التميمي^(٥) . والخلاصة ان أبابكر أسلم على يديه خمسة من المبشرين في الجنة وهم : عثمان وطلحة والزبير وسعد^(٦) .

٤ - وأما بعرض نفسه على قوافل الحجيج : حتى انه ليسأل القبائل قبيلة قبيلة

ويقول : يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب ، وتذل لكم العجم واذا آمنتم كنتم ملوكا في الجنة .

(١) راجع الطبقات لابن سعد ج١ ص ٢٠٠ .

(٢) راجع تاريخ الطبري ج٢ ص ٢١٧ وج٢ ص ٢٢ من تاريخ ابن الأثير ج١ ص ٢٦٣ وج٢ ص ٣ من الشرح الحديدي .

(٣-٦) راجع السيرة الحلبية ج١ ص ٢٦٨ و ٢٧٣ و ٢٧٦-٢٧٧ .

وكانوا يقولون له اسرتك وعشيرتك اعلم بك حيث لم يتبعوك، ويكلمونه ويجادلونه ويدعوهم إلى الله ويقول: اللهم لو شئت لم يكونوا هكذا. فكان ممن سمي من القبائل التي عرض نفسه عليها، بنو عامر بن صعصعة ومحارب بن خصفه وفزاره وغسان ومرة وحنيفة وسليم وعبس وبنو نضر وبنو البكاء وكنذه وكلب والحارث بن كعب وعذرة والحضارمة، ولم يستجب له احد منهم^(٧).

٥ - وساقه الله إلى حي من الأوس والخزرج، فجلس اليهم فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فاستجابوا له فقبل آمن به رجل وقيل رجلان وقيل ستة وقيل ثمانية واخذوا يدعون الله ويتكاثرون في يثرب^(٨).

والخلاصة: انه عليه السلام دعا عليا قريش، ودعا عائلته بني عبدالمطلب مجتمعين، ودعا بشكل افرادي، وعرض نفسه على القبائل، وكلما آمن به فرد ارتبط به ذلك الفرد بشكل هؤلاء الافراد قطاعا من الشعب.

وما يميز هذه المرحلة ان الذين آمنوا، نتيجة الكلمة المجردة فقط بغض النظر عن قناعات الذين آمنوا أو دوافعهم.

— موقف أهل مكة من الدعوة الإسلامية:

منذ اللحظة التي اعلن فيها محمد دعوته انقسم أهل مكة إلى ثلاثة اقسام.

١ - بنو هاشم وبنو المطلب ابناء عبدمناف: بزعامة عميدهم عبدمناف بن عبدالمطلب (ابوطالب).

٢ - الذين اتبعوا محمداً من كانت له منهم قبيلة فقد أؤذي ولكن ليس بالقدر الذي أؤذي فيه الذين لا قبائل لهم كسميه وياسر وعمار وبلال. هؤلاء آمنوا بمحمد كأشخاص واخذوا يترددون عليه ويجتمعون به ما اتاحت لهم الفرصة ليسمعوا منه، ويعتبرونه نبيهم ووليهم، وهؤلاء هم الذين عرفوا ببعد النظر، والذين قد مستهم البشرية بعبوديتها مسا اليما.

(٢٠١) راجع الطبقات لابن سعد ج١ ص ٢١٦-٢١٧ و ٢١٨.

٣ - كل اخاذ قريش وبطونها ومن لف لفهم بزعامه بني أمية وبالتحديد أبوسفیان لأن له القيادة بلا كلام ولا جدال .

وسنحاول الآن ان نحلل هذه المراتف الثلاثة ونوضحها .

١ - موقف بني هاشم وبني المطلب :

اعلنوا منذ البداية ان محمدا منهم ، وانهم لن يسلموه ولن يسمحوا لأحد ان يصيبه بمكرهه ، وما شذ عن هذا الموقف غير أبولهب . وعندما مات أبوطالب اعلن أبولهب وقوفه إلى جانب النبي ، وما زالت به قريش حتى غير موقفه ، فأصبح هو الشاذ الوحيد من بني هاشم وبني المطلب^(١) .

حاولت قريش ان تتفاوض مع عميد هذين البيتين عندما رأت ظهور الإسلام وجلس المسلمين حول الكعبة ، فمشوا إلى ابي طالب حتى دخلوا عليه فقالوا له : انت سيدنا وفضلنا ، وقد رأيت هذا الذي فعل هؤلاء السفهاء مع ابن اخيك من تركهم لآلهتنا وطعنهم علينا وتسفيههم احلامنا ، وجاؤا بعمار بن الوليد بن المغيرة فقالوا قد جئناك بفتى قريش جمالا ونسبا ونهادة وشعرا ندفعه اليك فيكون لك نصرة وميراثه وتدفع الينا ابن اخيك فنقلته فان ذلك اجمع للعشيرة وافضل في عواقب الامور مغبة .

قال أبوطالب : والله ما انصفتُموني تعطوني ابنكم اغذوه لكم ، واعطيك ابن اخي تقتلونه ، ما هذا بالنصف تسوموني سوم الغرير الضليل .

قالوا : فأرسل اليه نعطيه النصف ، فأرسل أبوطالب إلى رسول الله فقال : يا ابن اخي ، هؤلاء عمومتك واشراف قومك وقد ارادوا ان ينصفوك . فقال ﷺ : قولوا أسمع . قالوا تدع آلهتنا وتدعك والهك . قال أبوطالب قد انصفك القوم فاقبل منهم .

فقال ﷺ : أرايتم ان اعطيتم هذه هل انتم معطي كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم العجم . فقال أبوجهل : ان هذه الكلمة مربحة نعم وابيك لنقولنها وعشر امثالها .

(١) فصلت ذلك في باب البيعة الخاصة (أهل البيت والعترة الطاهرة كجزء من أهل الشورى ، ارجع إليه تجده موثقاً .

قال النبي (قولوا لا إله إلا الله) .

فأشمازوا وقالوا لا نعود أبدا وما خير من ان يغتال محمد .

فلما كان المساء فقد رسول الله ﷺ وجاء أبوطالب وعمومته إلى منزله فلم يجدوه ، فجمع فتيانا من بني هاشم وبني المطلب ثم قال : ليأخذ كل منكم حديده صارمة ويتبعني ، فاذا دخلت المسجد فلينظر كل فتى منكم فليجلس إلى عظيم من عظمائهم بما فيهم أبوجهل فانه لم يغيب عن شر ان كان محمد قد قتل . فقال الفتيان نفعل .

فجاء زيد بن حارثة فوجد أباطالب على تلك الحالة ، فسأله عن رسول الله فقال زيد كنت معه آنفا . فقال أبوطالب لا ادخل بيتي حتى اراه . فذهب زيد واحضر الرسول فقال له أبوطالب أكنت في خير؟ قال الرسول نعم . فقال أبوطالب ادخل بيتك . فلما اصبح أبوطالب غدا على النبي فأخذ بيده فوقف به على اندية قريش ومعه الفتية الهاشميون والمطلبيون ، فقال يا معشر قريش ، هل تدرون ما هممت به؟ قالوا لا فأخبرهم الخبر ، وقالوا للفتيان اكشفوا عما في ايديكم ، فاذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة فقال ، والله لو قتلتموه ما ابقيت منكم واحدا حتى نتفانى نحن وانتم فأنكر القوم وادركوا الجد الهاشمي ^(١) .

— الحصار :

واخيرا فتفتت ذهنية قريش وزعامتها ومن لف لفهم عن فكرة مقاطعة بني هاشم وبني المطلب ليحملوهم على التخلي عن محمد ، وكتبوا فيما بينهم كتابا على بني هاشم إلا يناكحوهم ، ولا يبایعوهم ، ولا يخالطوهم ، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة ، وحصروا بني هاشم في شعاب أبي طالب ومعهم بنو المطلب بن عبد مناف ، وقطعوا عنهم الميرة والمائدة ، فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم حتى بلغهم الجهد ، وسمع اصوات صبيانهم من وراء الشعب فأقاموا في الشعب ثلاث سنين .

كل افخاذ قريش اشتركت بالمقاطعة ، بنو أمية وبنو زهرة وبنو مخزوم وبنو نوفل وبنو عدي وبنو تيم .

(١) راجع الطبقات لابن سعد جـ ١ ص ٢٠٢-٢٠٣ .

ويقول أبوطالب: جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا وتيما ومخزوما عقوقا ومأتما .
ويقول أبوطالب أيضاً: جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا عقوبة شرعاً عاجلاً غير
آجل^(١).

وخوفا من بني هاشم قررت قريش ان تختار من كل قبيلة رجلاً وان تقتل النبي
ﷺ حتى يضيع دمه بين القبائل ، فلا يقوى الهاشميون والمطلبون على المطالبة
بدمه . وبالفعل فقد نفذوا المؤامرة ولكن الله نجى نبيه وانسل من بينهم ووجدوا عليا
نائماً في فراشه^(٢).

وباختصار شديد فالإسلام مدين لبني هاشم ودولة الإسلام مدينة لهذين
الفخزين من قريش فقد كان محمد في عزوهم حوله ، انظروا إلى قول العباس في
العقبة الآخرة: (ومحمد من اعز الناس في عشيرته) .

ومن المفارقات المضحكة والمبكية معا ان اصبح هدف سادات قريش بعد
الرسول ابعاد بني هاشم حتى لا يجمعوا مع النبوة الملك خوفا من اجحافهم^(٣) .
ومن المضحك المبكي أيضاً انه قد حرم على بني هاشم الولاية حتى ولو كان
من يتقدم للولاية ذا قوة وذا امانة^(٤) .

ومن المحزون أيضاً ان الخلافة قد اخذت من الأنصار تحت شعار ان أهل النبي
وعشيرته أولى بميراثه وتحت شعار القرابة منه^(٥) .
ولقد ابعدوا عن الولايات طوال عصور أبي بكر وعمر وعثمان وطوال العصر
الأموي . تنفيذاً لهذا المبدأ الغريب .

(١) راجع ص ٢٠٩ من الطبقات لابن سعد ج١- وص ٣٣٦- ٣٣٨ ج١ من السيرة الحلبية ص ٢٤٣- ٢٤٥
ج٢ من تاريخ الطبري .

(٢) راجع ص ٢٢٧- ٢٢٨ ج١ من الطبقات لابن سعد ج٢- ص ٢٤ من السيرة الحلبية ص ٢٤٣- ٢٤٤
من تاريخ الطبري وص ٣٠٥- ٣٠٨ من السيرة الدحلانية هامش السيرة الحلبية .

(٣) راجع ص ٢٢٢ ج١ .

(٤-٥) راجع ص ٢٤ ج٣ من الكامل في التاريخ لابن الأثير وص ١٠٧ مجلد ٣ من الشرح للحديدي
وص ٧٠٥ من الإمامة والسياسة وص ٣٤٣ من المراجعات للغاملي .

فقدت زعامة قريش رشدها، واستخفت بطون قريش واتخذوا التدابير

التالية:

- ١ - محاولة قتل الرسول^(١).
- ٢ - مقاطعة بني هاشم وبني المطلب ثلاث سنين في شعاب أبي طالب^(٢).
- ٣ - تعذيب المستضعفين من الذين اسلموا مع محمد، اذ ثارت كل قبيلة بمن آمن من افرادها، فعذبوهم وسجنوهم وارادوا فتنهم^(٣)، كما فعلوا ببلال، وبالمسلمة زنيره التي عميت من التعذيب^(٤)، وبالمسلمة لطيفه التي عذبها عمر بن الخطاب حتى مل^(٥)، والخباب بن الأثر^(٦)، وياسر وعمار واخوه عبدالله وسميه أم عمار^(٧)، وأبو بكر فرض عليه المشركون ان يعبد الله في داره^(٨).
- ٤ - محاصرة من يريد الهجرة لمنعه من المهاجرة كما فعلت قريش بالمهاجرة الأولى الى الحبشة^(٩)، وكما فعلت يوم حاولت قتل الرسول عند هجرته، وخصصت الجوائز لمن يلقي القبض عليه حياً أو ميتاً كما مر.
- ٥ - محاولة طرد المهاجرين من مهاجرهم كما فعلت قريش يوم ارسلت عمرو بن العاص في اثر الذين هاجروا إلى الحبشة ومعه عماره بن الوليد بن المغيرة وهديّة الى النجاشي ليرد من جاء من المسلمين اليه^(١٠).

(١) راجع ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ج١ من الطبقات لابن سعد وص ٢٤٣ - ٢٤٤ ج٢ من تاريخ الطبري وراجع

ص ٣٠٥ - ٣٠٨ من السيرة الدحلانية وج١ ص ٣٢٢ من السيرة الجلية.

(٢) راجع ص ٢٠٨ - ٢٠٩ من الطبقات لابن سعد ج١ وص ٣٣٩ - ٣٣٨ ج١ من السيرة الجلية وص ٢٤٣

- ٢٤٥ ج٢ من تاريخ الطبري.

(٣) راجع ص ٢٠٣ ج١ من الطبقات لابن سعد وص ٢٩٨ ج١ من السيرة الجلية.

(٤) راجع ص ٢٩٩ ج١ من السيرة الجلية.

(٥) راجع ص ٣٠٠ ج١ من السيرة الجلية.

(٦ - ٧) راجع ص ٣٠٠ ج١ من السيرة الجلية.

(٨) راجع ص ٣٠١ ج١ من السيرة الجلية.

(٩) راجع ص ٢٠٤ ج١ من الطبقات.

(١٠) راجع ص ٣٣٨ ج١ من السيرة الجلية.

- ٦ - الطعن بالرسول وبالقرآن الكريم كقولهم حاشا لرسول الله : انه كذاب ، وانه ساحر وانه مفترى وانه شاعر وانه كاهن وانه مستضعف ﴿لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ وطعنوا بالقرآن العظيم فقالوا : ﴿ان هذا الا اساطير الأولين﴾ وآيات القرآن الكريم حافلة باتهاماتهم .
- ٧ - محاولات قتل الرسول لم تتوقف^(١) .
- ٨ - تخصيص فرقة لتستهزئ بالرسول ﷺ منهم : الوليد بن المغيرة والد خالد بن الوليد والعاص بن وائل واسود بن عبدالمطلب والاسود بن عبد يغوث والحرث بن عيطله^(٢) ، وعقبه بن ابي معيط والحكم بن العاص بن أميه جد ملوك بني أمية ووالد مروان باني المملكة الأموية وعم عثمان بن عفان الخليفة الراشد الثالث وأبوجهل^(٣) .
- ٩ - محاولة جذب الناس عن الرسول عن طريق الزعم بان القرآن اساطير الأولين ، وبروز محدثين يحدثون عن الامم السابقة كما فعل النضر بن الحرث اذ كان يحدث قريش عن ملوك فارس لأنه كان يعلم احاديثهم^(٤) .
- ١٠ - واخيرا ، جيش قريش الجيوش وحاربت الرسول واتباعه كما فعلت يوم بدر واحد والخندق ، ففي وقعة الخندق استعانت حتى باليهود للقضاء على محمد ، تلك حقائق ولا حاجة لتوثيقها .
- ١١ - التهديد بسب الله اذا سب محمد آلهتهم^(٥) .
- ١٢ - وعندما حاصر محمد طرق تجارتهم ، وحصر قريش بجزيرة من الشرك ودخل مكة فاتحا قال لهم الرسول : ما تظنون اني فاعل بكم ؟ قالوا (اخ كريم وابن اخ كريم) . فقال لهم الرسول : اذهبوا فانتم الطلقاء . ويشاء الحظ ان يسيطر هؤلاء الطلقاء على مقاليد الأمور ، وان يصبحوا قادة الدولة الإسلامية

(١) راجع ص ٣٢٢ ج ١ من السيرة الحلبية.

(٢) راجع ص ٣١٨ - ٣١٩ ج ١ من السيرة الحلبية.

(٣) راجع ص ٣١٦ - ٣١٧ ج ١ من السيرة الحلبية.

(٤) راجع ص ٢٢ ج ١ من السيرة الحلبية.

(٥) راجع ص ٣٢٢ ج ١ من السيرة الحلبية.

والأوصياء على المسلمين باسم الإسلام بل أولياء أمورهم ، وان يتراجع
قدامى الصحابة وساداتهم وبالتالي يسلموا لهم بقيادة الدولة .

موقف محمد والذين اتبعوه :

تذرع محمد بالوسائل التالية لمواجهة قريش :

١ - تشجيع اتباعه على الصبر: مرّ على آل ياسر وهم يتعذبون ، فقال لهم : صبراً آل
ياسر ان موعدكم الجنة^(١)
وقال لعمار: صبرا يا ابا اليقظان ، ثم قال : اللهم لا تعذب احدا من آل عمار
بالتار^(٢) .

٢ - تشجيعهم على الهجرة: اذ قال لهم الرسول: تفرقوا في الأرض . و اشار عليهم
ان يذهبوا الى الحبشة . فهاجر قوم رجالا ونساء منهم عثمان ب عفان وزوجته
رقية بنت الرسول ، وابو حذيفة بن عتبة وامراته والزبير بن العوام بن خويلد
ومصعب بن عمير وعبدالرحمن بن عوف وابوسلمة بن عبدالاسدي وامراته
وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامراته وابوسبره بن ابي رهم^(٣) .

٣ - وبالهجرة الثانية هاجر إلى الحبشة ٨٣ رجلاً ومن النساء احدى عشرة امرأة من
قريش ولما سمعوا بمهاجرة الرسول إلى المدينة رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلاً
وثماني نسوة .

٤ - محاولة البحث عن مخارج والاستمرار بدعوة الناس ، وخروجه إلى الطائف
نموذج على ذلك^(٤) .

٥ - واجتماعه مع الأوس والخزرج وترتيب هجرته ليثرب لتكون مقراً دائماً له ، وأول
اقليم من اقاليم الدولة الإسلامية ، واستمر بعرضه نفسه على القبائل قبل
الهجرة^(٥) .

(١-٢) السيرة الحلبية ج١ ص ٣٠٠ .

(٣) الطبقات لابن سعد ج١ ص ٢٠٤ .

(٤) الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٢١١ على سبيل المثال .

(٥) راجع الطبقات لابن سعد ج١ ص ٢١٦ - ٢٢١ والطبري ج٢ ص ٢٣٣ - ٢٤٩ والسيرة الحلبية ج١

ص ٢٨١ - ٢٩٧ والسيرة الدحلانية .

— الهجرة المباركة وقيام الدولة بكل مقوماتها:

ادرك الرسول ﷺ ان بقاءه في مكة أمر لا طائل تحته، وبمثل ظروفه فإنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن، وان الكلمة قد ادت دورها تماما، وان اللغة التي تفهمها زعامة قريش هي لغة القوة أو الكلمة المسلحة بالقوة. وان نبتة الأيمان التي زرعها في قوافل حجيج الأوس والخزرج قد اثمرت، وقد بايعوه، كما سيمر.

وانه ن الناحية الحقيقية قد عثر على الاقليم والمقر الدائم له وهو يثرب، وان أموره منظمة، واتباعه لهم الكلمة العليا في يثرب. وقد طلبوا منه ان يهاجر إليهم وان يتولى امورهم ويقود الدعوة والدولة معا بنفسه، وان الله المطلع على ذلك قد اذن له بالهجرة.

— اقليم الدولة:

يثرب: حاضرة حجازية تسكنها قبائل عربية أهمها الأوس والخزرج، وقبائل يهودية ترتبط مع هاتين القبيلتين بأحلاف عشائرية، كل قبيلة من الخزارج ترى ان السيادة اذا آلت للآخرى حط من قدرها، وانتقاص من كبريائها، ولم تتوصلا مع الزمن إلى حل مشترك مما جرّ عليهما المتاعب والويلات.

والقبائل اليهودية كانت تحتكر التجارة، وتتمركز لديها رؤوس الأموال وتتعاطى الربا وتمارس اذكاء نار الفتنة بطريقة ذكية بين القبيلتين، لكنها لم تكن تتطلع الى السيادة على اعتبار انها عنصر اجنبي لا يقبل اليتاربة حكمه.

ان المعادلة يجب ان تأتي من خارج يثرب. وكان النبي يستعرض قوافل الحجيج، فاجتمع مع اعداد كبيرة من اليتاربة آمنوا بدعوته، وجاءت وفود كبيرة منهم واتفقوا معه على ان تتحول يثرب الى قاعدة للدولة والدعوة معا أي تتحول إلى اقليم بالمعنى الدستوري المعاصر. وطلبوا منه ان يهاجر إليهم، وان يتولى بنفسه مقاليد الأمور. وهكذا ترشحت يثرب لتكون اقليم الدولة الإسلامية. وبدأت الخطوات الفعلية على هذا الطريق حتى غدت يثرب حقيقة أرض الدولة الإسلامية^(١).

(١) راجع الطبقات لابن سعد ج١ ص ٢١٦ - ٢٢١ وراجع تاريخ الطبري ج٢ ص ٢٣٣ - ٢٤٩ وراجع السيرة الحلبية ج١ ص ٢٨٢ - ٢٩٧ والحاشية السيرة الدحلانية.

— السلطة :

قلنا ان رسول الله بعث للناس نبياً وللمؤمنين ولياً أي إماماً، وهو أول اسباس للدولة وأول مظهر من مظاهر سلطتها. وان الذين آمنوا به يعتبرونه ولياً لأمرهم. ولكن قضية الهجرة اعطت للموضوع طابعاً خاصاً.

— البيعة :

اثناء استعراض محمد للحجيج اجتمع مع ستة من أهل يثرب وعرض عليهم دعوته فآمنوا به ووعدوه بنشرها. ومما قالوه له : انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى الله ان يجمعهم بك، فسنقدم عليهم، وندعو إلى امرك، ونعرض عليهم الذي اجبناك له، فان يجمعهم الله بك فلا رجل أعز منك، وكانوا ينتمون الى مختلف فئات يثرب، ولما عادوا نشروا ما دار بينهم وبين محمد حتى اصبح مادة لكل احاديث المجتمع اليثربي. وفي السنة التالية رجع من هؤلاء خمسة ومعهم سبعة آخرين، ثلاثة من الأوس واربعة من الخزرج، وبايعهم الرسول كمبايعة النساء (أي مبايعة النساء) ومن جملة بنود البيعة (ان لا يعصون في معروف) أي طاعتهم للرسول^(١).

وفي السنة الثالثة جاء مصعب بن عمير ومعه مجموعة من المؤمنين قوامها ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان للاجتماع مع الرسول. وعندما فرغوا من مناسكهم تسللوا ليلاً وفردى حتى لا يثيروا انتباه قريش، واجتمعوا عند شعبة العقبة حيث سيأتيهم الرسول.

— البيعة الخاصة على صعيد الأنصار :

وحضر الرسول ومعه عمه العباس الذي كان يومذاك على الشرك، كما يقول الرواة، ولكن جاء ليطمئن على مصير ابن اخيه. وافتتح العباس الاجتماع بكلمة منه جاء فيها : ان محمداً منا حيث علمتم، وقد منعناه من قومنا وهم على مثل رأينا، وهو في عز في قومه ومنعة في بلده، وقد أبى إلا الانقطاع اليكم واللاحاق بكم، فان كنتم

(١) راجع الطبقات لابن سعد ج١ ص ٢١٦ - ٢٢٧ وتاريخ الطبري ج٢ ص ٢٣٣ وما فوق.

ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج فمن الآن فدعوه^(١).

ولما انتهى العباس وقف الرسول وتكلم ثم بايعوه واحداً واحداً على ان يحموه كما يحمون نساءهم واولادهم . واشتروا على الرسول ان لا يترك يثرب عندما تعلقو كلمة الله ويظهر امره .

فقال لهم الرسول : بل الدم الدم ، الهدم الهدم ، انتم مني وانا منكم احارب من حاربتم واسالم من سالمتم .
وبايعه الأنصار واحداً واحداً على الطاعة ، وعلى ان يحموه كما يحمون نساءهم واولادهم .

— البيعة الخاصة على صعيد المهاجرين :

الذين احبوا محمداً وفضلوه على الأهل والمال والوطن آخى بينهم وامرهم ان يهاجروا إلى ارض الدولة الجديدة ، وان يشتركوا مع اخوانهم الأنصار في تحضير مكان الدولة لتقبل قدومه ونجاح هذا القدوم .

وعندما وصل الرسول ﷺ الى اقليم الدولة آخى بين المهاجرين والأنصار ، فأصبح المسلمون كعائلة واحدة تربطهم وشائج الأيمان واخوته . واصبح النبي ﷺ ولي هذه العائلة مجتمعة ، وولي كل فرد من افرادها ، علاوة على ولايته ورئاسته لكل مواطني يثرب . والمهم ان المهاجرين بايعوه على أنه وليهم وإمامهم وقائدهم وانهم ملتزمون بطاعته ، وأول دليل على هذه الطاعة ، هو انهم نفذوا أوامره وتركوا الأهل والمال والوطن تنفيذا لأوامره .

ويلاحظ ان النبي ولي المؤمنين قد اعطى توجيهات لنفر من الذين آمنوا معه . هذا النفر عمل بهذه التوجيهات . هذا النفر الذين نفذوا أوامر النبي ووطدوا له ، وكانوا عضده وناصحين له في غيبته ، وكانوا قنوات اتصاله مع الناس^(٢)

(١) راجع الطبقات لابن سعد ج١ ص ٢١٦ - ٢٢٧ والطبري ج٢ ص ٢٣٣ وما فوق والسيرة الحلبية ص ٢٨٢ - ٢٩٧ ج١ والحاشية .

(٢) راجع الطبقات لابن سعد ج١ ص ٢١٦ - ٢٢١ وتاريخ الطبري ج٢ ص ٢٣٣ - ٢٤٩ والسيرة الحلبية ج١ ص ٢٨٢ - ٢٩٧ .

— العقد الاجتماعي :

الذين آمنوا بمحمد من أهل مكة ، اختاروه وآمنوا به ورضوا به ولياً بمحض ارادتهم واختيارهم وبدون اكراه .

والذين آمنوا بمحمد من أهل يثرب اختاروه ولياً لهم وآمنوا به بمحض ارادتهم ، وبغير اكراه .

هذا الولي اتفق مع الذين آمنوا به من أهل يثرب على ان يهاجر إليهم ، وان يكون وليهم وإمامهم وقائدهم وبايعوه على ذلك بغير اكراه .

كذلك فان هذا الولي طلب من الذين آمنوا ان يهاجروا إلى المدينة وان ينفصلوا عن مجتمعهم الكافر ليشكلوا مجتمعاً إيمانياً جديداً مع اخوانهم الأنصار في يثرب . هاجر المؤمنون من أهل مكة كاخوة تمت بينهم عملية المؤاخاة قبل الهجرة . بوصول هؤلاء المهاجرين استقبلهم اخوتهم الأنصار وتمت بينهم عملية مؤاخاة .

فالرابطة الحقيقية بينهم هي رابطة الايمان . المهاجرون والأنصار هم شعب الدولة الإسلامية الاصيلين ، اتفقوا مع الرسول على ان يطيعوه وان يطبقوا قوانينه التي ذكرت في البيعة أو التي لم تذكر ولكنها فهمت ضمناً .

قادة المهاجرين والأنصار كانوا يتصرفون بتحويل من تجمعاتهم تصرف حكومة فعلية مؤقتة في غياب الرسول وحضوره .

الطرفان اشتركا معه بترتيب أمر الهجرة وبايعوه البيعة الخاصة بحضور القرابة الطاهرة ورضوا به اماماً لهم وولياً لأمرهم ورئيساً لدولتهم باتفاق ومبايعة أو معاودة . وهكذا تكون بالفعل ما يمكن ان نسميه بالعقد الاجتماعي لا خيالا كما تصور روسو انما حقيقة .

— محاولة اجهاض قيام الدولة بقتل رئيسها :

لقد علمت قريش بالبيعة الخاصة أو التعاقد الذي تم بين محمد وبين الأنصار . وعلمت بغزم النبي على الهجرة وعلان دولته .

اذ استطاعت مقاومة مكة ان تحاصر الدعوة محليا ، فقد فشلت بمحاصرة الدعوة ووقف نشاطها خارج مكة .

فاذا استطاع محمد ان ينشر دعوته رغم القيود التي فرضوها عليه ، فكيف اذا تحرروا و أصبح سيد يثرب و حاكمها المطاع . عندئذ سيحطم مجدهم و يزلزل الأرض من تحتهم إذا لم يبق غير القتل طريقا للخلاص .

ولكن ليكن قتلا بلا ويلات ولا حل سوى ان تشترك كل قبائل قريش و بطونها بقتله ، فيتوزع دمه بين البطون ولا يقوى الهاشميون و المطليبيون على المطالبة بدمه لأنه لا طاقة لهم بعداء الجميع .

وقد ارتاحوا إلى الحل ، واختاروا من كل قبيلة رجلا حتى اذا دخل محمد بيته ليلة الهجرة احاطوا به احاطة السوار بالمعصم لينتظروا خروجه ، ثم ينقضوا عليه و يضربوه ضربة رجل واحد .

حتى اذا وقف النجم وقفة الحيران ، كما يقول شاعرهم ، ولم يخرج محمدا بدأت الشكوك . تساورهم ، وكم دهشوا عندما علموا ان عليا هو النائب بفراش محمد ليفديه بنفسه .

ان هذا لأمر عجاب ، لقد دخل البيت امام اعينهم ، واقاموا بعد دخوله مباشرة حلقة محكمة حول البيت ، كيف خرج الرجل ؟

حبذا لو افترضوها و أعمالوا عقولهم ذهلت قريش عندما عرفت بما جرى ، واعلنت الجوائز لمن يلقي القبض على محمد حياً أو ميتاً^(١) .

وبالجانب الآخر ، كان محمد يشق طريقه إلى يثرب ، عاصمة الدولة الجديدة ، منشرح الصدر ومع دليل مشرك هو ابن اريقط^(٢) .
— البيعة العامة و اعلان الدولة :

قلنا ان وفود الأنصار جاءت و بايعت الرسول ﷺ بالعقبة البيعة الخاصة .

(٢-١) راجع الطبقات لابن سعد ج١ ص ٢٣٨ و راجع ص ٢٢٧ - ٢٢٨ ج١ من الطبقات لابن سعد و ج٢

ص ٢٤ من السيرة الحلبية و ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ج٢ من تاريخ الطبري و ص ٢٤٣ - ٢٤٤ من السيرة الحلبية و ص ٣٠٥ - ٣٠٨ ج١ من السيرة الحلبية .

وتربطهم مع رباط الأيمان وشائج القرى ، آخى الرسول بين المهاجرين قبل سفرهم ، فتكونت بينهم رابطة الأخوة الأيمانية مع رابطة الولاء للنبي ﷺ . وأمر الرسول بالرحيل إلى اقليم الدولة .

تعاون الأنصار مع المهاجرين وخلقوا رأياً عاماً من المسلم والمشرک واليهودي يقبل بزعامه النبي (٣) .

كبار المهاجرين وكبار الأنصار حضروا العامة من المسلمين والعامة من غيرهم لاعطاء البيعة العامة للرسول ﷺ . حتى اذا دخل الرسول يثرب ، بدأت الأيدي تصافحه وتبايعه نبياً ورئيساً للمسلمين ، ورئيساً لغير المسلمين ، باستفتاء عفوي بدءا من عبدالله بن ابي زعيم المنافقين وانتهاء بزعامه الأوس والخزرج وزعماء المهاجرين وعامة الأنصار وعامة المهاجرين ، وعامة اتباع الديانات الأخرى .

يحفونه بقلوب طافحة بالشوق بدون اكرام . تلك هي الهيئة التي صنعها الله من خلال الخاصة (٤) .

وهكذا تأكدت الحقائق التالية :

- ١ - ان رسول الله نبي ورسول إلى كافة الناس .
- ٢ - ان رسول الله إمام مسمى من الله ، وولي للذين آمنوا ورئيس لدولتهم .
- ٣ - ان كبار الأنصار والمهاجرين بايعوه البيعة الخاصة ورضوا بتسمية الله له إماما وولياً للمؤمنين .
- ٤ - ان هؤلاء الكبار هيأوا المجتمع اليثربي لتقبل النبي كرئيس وولي للذين آمنوا منهم وكنبي أيضاً . وكرئيس للذين لم يؤمنوا منهم .
- ٥ - ان جميع سكان يثرب عبروا عن تأييدهم له والتفافهم حوله ورضاهم برئاسته ووقعوا على عقد معه (٥) . قبلوا به رئيساً ومرجعاً لحل خلافاتهم وبالتالي بايعوه بيعة عامة بغير اكرام .

(١) راجع ص ٢٣٨ ج ١ من الطبقات لابن سعد .

(٢) حتى أن عبدالله بن أبي دعاه ليكون في ضيافته قولاً واحداً بلا اختلاف .

(٣) راجع سيرة ابن هشام ص ٥٠١ ج ١ وراجع مجموعة الوثائق السياسية لمحمد حميد الله ص ١٥ وما

الفصل الثاني

— وهكذا تكونت كل عناصر الدولة :

- ١ - الإمام وهو رسول الله وأهل شوره أو حكومته الفعلية .
 - ٢ - الأقليم وهو يثرب .
 - ٣ - الشعب وهم الذين آمنوا بشقيهم المهاجرين والأنصار وأهل الديانات الأخرى من سكان يثرب .
- الشعب :

من خلال البيعة العامة ، تكون شعب الدولة الإسلامية الأولى من :

- ١ - المسلمين وهم أمة من دون الناس ويتألفون من :
 - أ - المهاجرين .
 - ب - الأنصار ، الأوس والخزرج ومواليهم .
- ٢ - اليهود المتحالفون مع قبائل الأوس والخزرج وهم : يهود بني النجار ، يهود بني الحارث ، يهود بني ساعده ، يهود بني جشم ، يهود بني الأوس ، يهود بني ثعلبه .
- ٣ - اليهود خارج المدينة ممن حولها .
- ٤ - من بقي على الشرك من الاعراب المتواجدين داخل المدينة وخارجها^(١) .

بعدها وراجع فقه السنة لسيد سابق آخر المجلد رقم ٢ وراجع الرسول العربي وفن الحرب عند العرب لمصطفى طلاس فقد أشار لهذه الاتفاقية ونقلها عن ابن اسحق وراجع نظام الحكم للقاسمي ص ٣١ .

(١) راجع السيرة الحلية ج ١ ص ٣٢٥ - ٣٣٤ والطبقات لابن سعد ج ١ ص ٢٣٤ - ٢٣٨ وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٥٤ - ٢٥٧ راجع الاتفاقية المبرمة بين الرسول ﷺ وفئات مكة تجدها في آخر المجلد الثاني من فقه السنة لسيد سابق وص ٣١ من نظام الحكم للقاسمي وص ١٥ من الوثائق السياسية لمحمد حميد الله وقد أشار إليها السيد مصطفى طلاس في كتابه الرسول العربي وفن الحرب عند العرب .

— تنظيم الشعب والسلطة :

— المؤاخاة :

كان الرسول قد آخى بين المهاجرين قبل الهجرة . وباجتماع شمل المسلمين جميعا في يثرب آخى بين المهاجرين والأنصار اخوة حقيقية ، حتى ان الرجل المسلم من الأنصار كان يطلق زوجته الثانية بمحض اختياره ليتزوجها المسلم المهاجر الذي لا زوجة له^(١).

— اعلان الصحيفة :

اقوال الرسول وافعاله وتقريراته شرع بنص القرآن الكريم ، وهي المصدر الثاني من مصادر النظام السياسي الإسلامي .

والمسلمون يعرفون القواعد الشرعية ويرتبطون مع الرسول دائماً ويجتمعون معه خمس مرات في اليوم أو مرة واحدة في الأسبوع على الأقل .

أما العناصر الأخرى التي يتكون منها مجتمع الدولة الإسلامية والتي لا تدين بالإسلام فهي لا تعرف الحلال من الحرام ولا المحظور من المباح . فوضع الرسول ﷺ صحيفة تنظيمية بمشابة ملحق دستوري تنظم العلاقات بين افراد المجتمع الجديد وتنظم العلاقات بين فئاته ليعرفوا حدودهم فلا يتجاوزوها ، ولتتكرس فكرة سيادة الشريعة الإسلامية على الأمة المسلمة .

— تكييف الصحيفة :

هي عبارة عن كتاب من محمد النبي للمؤمنين ، وهي عبارة عن ملحق دستوري لكافة حقوق فئات المجتمع اليثربي ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم .

— الخطوط العريضة لهذه الصحيفة التنظيمية :

١ - المؤمنون والمسلمون من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم أمة من دون الناس .

٢ - قريش عدوة للمجتمع اليثربي لا تجار ابداء .

(١) راجع.....

- ٣ - يشترك اليهود بالنفقات الحربية ويقتسمون الغنائم .
- ٤ - يثرب للجميع وهي محرمة لا يقطع شجرها ولا يقتل طيرها ولا يروع ساكنها .
- ٥ - دين الدولة الإسلام ورئيس الدولة هو محمد رسول الله وهو مصدر الصحيفة وهو المختص بفصل النزاعات التي تنشأ في المجتمع الشرقي .
- ٦ - المجرم عدو للمجتمع لا يجوز ايوؤه ، والقاتل يقتل ويتعاون الجميع على تنفيذ الحكم ولو كان ابن احدهم .
- ٧ - الجريمة شخصية والمجتمع كله ضد البغي .
- ٨ - جار الانسان كنفسه لا يضار .
- ٩ - المجتمع مع المظلوم ضد الظالم .
- ١٠ - لا تجار المرأة إلا باذن أهلها .
- ١١ - من خرج من المدينة فهو آمن ومن قعد في بيته فهو آمن .
- ١٢ - وحتى يضمن الأمن لليهود لا يجوز لأي يهودي ان يخرج من المدينة إلا باذن محمد .
- ١٣ - على المسلمين سداد دين الغارم منهم .
- ١٤ - اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .
- ١٥ - يهود بني عون أمه مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، وكذلك يهود بني الحارث وبني النجار وبني ساعده وبني جشم وبني الأوس وبني ثعلبة وبطانتهم ، الجميع كأنفسهم ولا يخرج منهم احد إلا باذن محمد .
- ١٦ - الله ومحمد جار لمن بر واتقى ومن ظلم فلا آمن له .

— هذه الصحيفة تتكون من ٤٧ مادة :

المادة ٢٣ تكرر بوضوح شريعة الدولة الإسلامية وتكرر بوضوح رئاسة محمد للدولة واختصاصه بفصل الخصومات^(١) .

(١) راجع سيرة ابن هشام ج١ ص ٥٠١ وراجع فقه السنة آخر مجلد ٢ للسيد سابق وراجع الوثائق السياسية محمد حميد الله ص ١٥ وما بعدها وراجع ص ٣١ من نظام الحكم للقاسمي وقد ذكر مصطفى طلاس في كتابه الرسول العربي وفن الحرب عند العرب نقلاً عن ابن اسحق .

الفصل الثالث

— منهج الرسول بتوطيد اركان الدولة وتوسيع رقعتها :

- ١ - مبدأ الكلمة الطيبة المسلحة بالقوة : رتب الرسول ﷺ أمور اتباعه في المدينة المنورة وجعلهم أمة من دون الناس وانتزع موافقة سكان المدينة المشرك والكافر واليهودي والمسلم بان محمداً هو الحاكم ، والحكم ، وبعد ذلك واجه المرحلة اللاحقة وهي اخضاع زعامة مكة تمهيدا لاختضاع الجزيرة كلها للحق .
- فحاول ان يجمع كل الذين آمنوا به في المدينة ليشكل منهم ذراعاً قوياً حتى أصبحت الهجرة عنوان الايمان . وقد ركز الجزء الاعظم من جهوده بالضغط على زعامة مكة ، فبدأ بمحاصرتها اقتصادياً ، وجعل طرقها التجارية غير آمنة ، وقاده هذا الأسلوب الى المواجهة المسلحة ، لأن التجارة عصب الحياة في مكة .
- وما زال يلاحق مكة ويضيق عليها الخناق حتى اضطرت زعامتها صاغرة ان تعقد معه معاهدة صلح الحديبية اعترفت به ككيان مستقل واعطت الحرية للعرب بان يتحدوا مع محمد ان شاؤوا او يتحدوا معها ، وما زال محمد يلاحقها حتى ركعت واسلمت قيادتها له .
- ٢ - مودعة القبائل التي تريد مودعته .
- ٣ - معاقبة الخائنين والناكثين لعهد .
- ٥ - قتل الذين لا علاج لهم إلا القتل .
- ٦ - وعندما تحول إلى ذراع قوي وطبقت سمعته الآفاق بدأ بالكتابة إلى ملوك الأرض ورؤساء الدول وشيوخ القبائل يدعوهم إلى الإسلام . وبدأ يقطف ثمرة هذا ، فجاءته الوفود لتعلن اسلامها على يد محمد القوي ومحمد النبي ، إذ هابت الجزيرة كلها واخذت الدول تحسب الف حساب لكل حركاته .
- ٧ - وخلال ذلك كانت دعوته بالهداية الربانية مرافقة وموافقة لكل تحركاته العسكرية وتجد ذلك مفصلاً في كتب السيرة .
- ٨ - لم تتوقف قط تحركاته العسكرية ، فكانت سراياه تجوب المنطقة ليل نهار تحسباً

من هجوم مفاجيء وترصدنا لتحركات اعداء الدولة^(١).

١ - التركيز على الطرق التجارية لزعامة مكة ومحاولة السيطرة عليها:

لأن التجارة عصب الحياة في مكة . فاذا شعرت زعامة مكة ان تجارتها تحت رحمة محمد ، فقد تلين وتخلي بينه وبين العرب ، وقد تتوقف عن استغلال مكة والبيت الحرام في معاداة محمد . وقد تسلم ، وبإسلامها تدين الجزيرة كلها بدين الحق .

وتحقيقاً لهذا الهدف خرج في غزوة الابداء بنفسه ليعترض غير قريش^(٢) . ولنفس الغاية قاد حملة بواط لاعتراض غير قريش ، وكان يقودها أمية بن خلف ومعه مئة رجل^(٣) .

ولنفس الغاية خرج في غزوة ذي العشيرة لاعتراض غير قريش ، ولكن القافلة نجت ، وهي نفس القافلة التي اعترضها الرسول ولم يتمكن منها قبل معركة بدر^(٤) . ولنفس الغاية ارسل عبدالله بن جحش في سرية لرصد غير قريش وتحركوا إلى قرب مكة^(٥) .

ولهذا السبب وحرصاً على القافلة ، خرجت زعامة مكة لتحمي تجارتها ، والتقت برسول الله في بدر ، ودارت أول معركة في التاريخ بين زعامة مكة الكافرة وبين زعامة المدينة المنورة المؤمنة .

فمرغ محمد الكافرين بأحوال الهزيمة وقتل منهم سبعين رجلاً ، واسر مثلهم . وكردة فعل لهذه المعركة جرت معركة أحد^(٦) .

وفي غزوة الخندق جمعت قريش اعداداً هائلة بتحريض يهودي ، وهاجموا

(١) راجع على سبيل المثال السيرة الحلبية جـ ٢ ص ١٢٥ - ٣٣١ وراجع ص ١٦٥-٥ من الطبقات لابن سعد جـ ٢ .

(٢) راجع الطبقات لابن سعد جـ ٢ ص ٨ .

(٣) راجع الطبقات لابن سعد جـ ٢ ص ٩ .

(٤) راجع الطبقات لابن سعد جـ ٢ ص ١ .

(٥) راجع الطبقات لابن سعد جـ ٢ ص ١٠ .

(٦) راجع الطبقات لابن سعد جـ ٢ ص ٣٦-٤٩ وص ١١-٢٧ .

المدينة، فحفر الرسول حولها خندقاً. ورد الله كيد قريش وهزم احزابها^(١). وفي غزوة لحيان تعمد الرسول ان تسمع به قريش ليذعرها^(٢). ومثل ذلك سرية زيد بن حارثة لاعتراض عير قريش، اذ اخذوا القافلة واسروا جزءاً من حرس العير.

وقد حاول الرسول ان يؤدي العمرة، وان يتيح لقريش الفرصة لترى قوته وتراجع حساباتها، ولكن قريش منعتة وعقدت معه اتفاقاً يعود بموجه في العام القادم، واعترفت بوجوده واباحت لمن يريد ان يتعاهد معه من العرب، وهذا انجاز عظيم^(٣).

وفي غزوة خيبر دانت للرسول خيبر بكل خيراتها^(٤). اعتمر الرسول ودخل مكة وخرجت قريش منها، وطاف هو واصحابه الالفان، وأقام الرسول ثلاثة ايام في مكة.
— عام الفتح:

واخيراً، وبمنتهى السرية، جمع الرسول عشرة آلاف مقاتل واحاط بمكة، وارسل مجموعات إلى اكابر الالهة، فأرسل خالد بن الوليد إلى العزى ليهدمها، وعمر بن العاص إلى سواع^(٥)، وسعد بن زيد ارسل إلى مناة^(٦)، وبانتهاء غزوة حنين دوخ الجزيرة كلها وأسلمت الطائف امورها في النهاية، وتم نصر الله^(٧).

٢ - تشتيت شمل القبائل التي تحاول غزوه ومهاجمتها قبل ان تقوم بالغزو «الحرب الوقائية»

كما فعل في غزوة قرقرة الكدر اذ بلغه ان جمعاً من بني ثعلبة ومحارب قد تجمعوا، يريدون ان يصيبوا اطراف المدينة. فقاد بني حملة بنفسه فيها ٤٥٠ رجلاً

(١) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٦٥-٦٦.

(٢) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٧٩.

(٣) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٩٥-١٠٦.

(٤) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ١٠٦-١١٦.

(٥) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ١٤٦.

(٦) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ١٤٧.

(٧) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ١٤٩.

واخبر الرسول انهم لن يلاقوا اذا سمعوا غيره، ولم يلاق رسول الله احد^(١).

ومثل ذلك قاد الرسول حملة عندما بلغه تجمع بني سليم. اذ خرج بثلاثمئة رجل ففترقوا لما سمعوا بمقدمه^(٢).

ومثل ذلك سرية أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي التي ارسلها الرسول عندما بلغه ان طليحة ومسلمة بن خويلد قد سارا في قومهما يدعوان إلى حرب الرسول، فأرسل الرسول حملة قوامها ١٥٠ رجلاً وامر بمباغتتهم وشتت شملهم^(٣).

ومثل ذلك غزوة ذات الرقاع التي قادها الرسول لارهاب جموع انمار وثعلبة، فخرج بسبعمئة رجل، ففترقوا لما سمعوا بمقدمه ولم يجد غير النسوة وهربت الاعراب^(٤).

ومثل ذلك غزوة دومة الجندل إذ بلغه ان بدومة الجندل جمع كبير، وانهم يريدون ان يهاجموا المدينة، ففاجأهم وشتت شملهم وهربوا^(٥).

ومثل ذلك غزوة المريسيع، إذ بلغه ان بمصطلق من خزاعة يجمعون الجموع وعلى رأسهم الحارث بن أبي ضرار لمحاربة الرسول، فردعهم الرسول وادبهم^(٦).

ومثل ذلك سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء وهي بطن من بني بكر، فسار ليلاً وكمن نهارا حتى غافلهم فشتت شملهم واستاق نعما وشاه^(٧).

ومثله سرية عكاشة بن محصن إلى الغمر ومحمد بن مسلمة إلى ذى القصة أيضاً بني محارب وثقله^(٨).

وسرية زيد بن حارثة إلى بني سليم^(٩).

(١) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٣٤-٣٥.

(٢) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٣٥-٣٦.

(٣) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٥.

(٤) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٦١.

(٥) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٦٢.

(٦) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٦٣-٦٤.

(٧) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٧٨.

(٨) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٨٤-٨٥.

(٩) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٨٦.

وسرية زيد بن حارثة إلى بني ثعلبة^(١).
 وسرية علي بن أبي طالب إلى بني سعد بن بكر بفدك لتشتيت شمل جمعهم
 الذي يريدون ان يمدوا به يهود خيبر، فشئت علي جمعهم وهربوا^(٢).
 ومثل ذلك سرية عمر بن الخطاب إلى هوازن، فلما سمعوا بمجيئه تفرقوا
 وهربوا^(٣).
 وسرية عبدالله بن رواحه لاسير بن زارم في غطفان فاحتال عليه عبدالله بن
 رواحه وقتل اصحابه ولم يصب من المسلمين احد وتشتت جمعهم^(٤).
 ومثله سرية أبي بكر إلى بني كلاب في نجد^(٥).
 وسرية عبدالله الليثي إلى بني عواد وبني عبد بن ثعلبة^(٦).
 وسرية بشير بن سعد الأنصاري إلى عين اجبا لتشتيت جمع من غطفان واعدوا
 عينه بن حصن ليكونوا حربا على الرسول^(٧).
 ومثله سرية ابن أبي العوجاء إلى بني سليم، واخفق بن أبي العوجاء لعدم
 المفاجأة^(٨).

ومثلها سرية بني الملوح^(٩).
 ومثلها السرية التي ارسلت إلى هوازن^(١٠).
 ومثلها غزوة ذات السلاسل لتشتيت جمع قضاة^(١١).

(١) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٨٧.

(٢) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٨٩-٩٠.

(٣) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ١١٧.

(٤) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٩٢.

(٥) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ١١٧.

(٦) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ١١٩.

(٧) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ١٢٠.

(٨) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ١٢٣.

(٩) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ١٢٥.

(١٠) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ١٣٠.

(١١) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ١٣١.

ومثلها سرية بن أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى غطفان بمنطقة نجد ^(١) .
 وسرية عيينه بن حصن إلى بني تميم ، اذ فاجأهم وشتت شملهم ^(٢) .
 وسرية قطبة بن عامر بن حديده إلى خثعم ^(٣) .
 وسرية علقمة بن مجزر إلى الاحباش في جده ^(٤) .
 وسرية الضحاك بن سفيان إلى كلاب ^(٥) .

٣ - معاقبة الخائنين والناكثين لعهد ﷺ :

كما فعل مع بني قينقاع ، اذ غدروا به في وقعة بدر واطهروا الحسد ، فهاجمهم الرسول واخذ اموالهم وجلاهم إلى اذرعات ، وكان الرسول يرى قتل مقاتليهم .
 فما زال عبدالله بن أبي يكلمه ويلح عليه حتى قال الرسول : «خلوهم لعنه الله ولعنهم» ^(٦) .

وكما فعل مع بني النضير ، اذ نقضوا العهد وهموا ان يقتلوا الرسول ، فأرسل إليهم محمد بن مسلمة ان اخرجوا من بلادي بسبب غدركم ، وامهلهم عشرة وحرصهم بن أبي ان لا يخرجوا فرفضوا الخروج ، فحاصروهم الرسول ، وبعد الحصار الذي استمر خمسة عشر يوما ، رضوا بالخروج بما حملت الابل إلا الحلقة ^(٧) .

وكما فعل ببني قريظة : اذ همت بغدر الرسول والتحالف مع قريش يوم زحفت الاحزاب واتفقت قريظة ان تطعن المسلمين من ظهورهم ، فحاصروهم الرسول بعد جلاء الاحزاب حتى سلموا فحكم فيه سعد بن معاذ على اختيارهم .

فحكم سعد بأن يقتل من جرت عليه المراسي وتسبى النساء والذرية وتقسم الاموال ^(٨) .

(١) راجع الطبقات لابن سعد جـ ٢ ص ١٣٢ .

(٢) راجع الطبقات لابن سعد جـ ٢ ص ١٦٠ .

(٣) راجع الطبقات لابن سعد جـ ٢ ص ١٦٢ .

(٤) راجع الطبقات لابن سعد جـ ٢ ص ١٦٣ .

(٥) راجع الطبقات لابن سعد جـ ٢ ص ١٦٣ .

(٦) راجع الطبقات لابن سعد جـ ٢ ص ٢٨-٢٩ .

(٧) راجع الطبقات لابن سعد جـ ٢ ص ٥٧-٥٨ .

(٨) راجع الطبقات لابن سعد جـ ٢ ص ٧٤-٧٥ .

ومثله غزوة بني لحيان : اذ وجد الرسول على عاصمة بن ثابت واصحابه وسار إلى بني لحيان الذين غدروا بأصحابه ، فلما سمعوا بمسيره ، هربوا إلى الجبال ، وبني لحيان كانوا بناحية عسفان^(١).

وسرية زيد بن حارثة لمعاقبة الهندي بن عارض وابنه من بني جذام لا اعتراضهم دحية الكلبي اذ اغار عليهم وشتت شملهم وقتل منهم^(٢).

ومثله معاقبة الذين اعترضوا زيد بن حارثة اثناء سفره إلى الشام بتجارة وهم من بني بدر ، فأرسل الرسول زيدا نفسه فصباحهم ونكل بهم^(٣).

ومثل ذلك النفر الذين قدموا من عريفه واسلموا ثم قتلوا مسلما ، فأرسل الرسول في إثرهم سرية ، فقطع الرسول ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم^(٤). ومنها سرية مؤته ، لمعاقبة قتلة الحارث بن عمير وهم من بني غسان^(٥).

٤ - مودعة القبائل الواقعة بينه وبين مكة ومحاولة هدايتها للإسلام :

كما فعل مع بني ضمره ، إذ اتفق مع سيدهم مخشي بن عمرو الضمري ان لا يغزوه ، ولا يكثروا عليه جمعا ، ولا يعينوا عدوا ، وتعهد الرسول ان لا يغزوهم^(٦).

وسرية عبدالرحمن بن عوف ، ارسله إلى كلب بدومة الجندل وقال له : ان استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم . فمكث عندهم واسلم عدد كبير منهم^(٧).

ومثلها سرية الخبط بقيادة أبي عبيدة إلى حي من جهينه مما يلي ساحل البحر^(٨).

(١) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٧٨-٧٩ .

(٢) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٨٨ .

(٣) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٩٠ .

(٤) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٩٣ .

(٥) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ١٢٨ .

(٦) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٨ .

(٧) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٨٩ .

(٨) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ١٣٢ .

٥ - قتل الذين لا علاج معهم غير القتل :

مثلما فعله مع عصماء بنت مروان من بني أمية كانت تجيد الشعر وتعيب على الإسلام وتؤذي النبي وتحرض عليه، فذهب إليها عمير بن عدي وقتلها^(١).

ومثله مقتل أبي عفك اليهودي الذي كان يحرض على الرسول ويقول الشعر، فعلم به سالم بن عمير ونذر ليقتلنه^(٢).

ومثله كعب بن الاشرف اليهودي، الرجل الشاعر الذي كان يهجو النبي واصحابه ويحرض عليهم ويؤذيه، فلما كانت وقعة بدر خرج إلى مكة وبكى قتلها، وحرض قريشا بالشعر فقال الرسول: من لي بابن الاشرف، فقال محمد بن مسلمة انا به يا رسول الله وانا اقتله. قال الرسول، افعل، فذهب ومعه نفر من المسلمين فقتلوه^(٣).

ومثل ذلك عبدالله بن انيس لقتل سفيان بن خالد الهذلي أو اللحياني الذي كان يجمع الجموع لحرب الرسول، فقتله واخذ رأسه معه^(٤).

وكما فعلت مجموعة عبدالله بن عتيك بأبي رافع سلام بن أبي الحقيق النضري بخيبر، اذ اجلب في غطفان ومن حوله من مشركي العرب وجعل لهم الحقل العظيم لحرب رسول الله، فبعث إليه الرسول عبدالله بن عتيك ومعه نفر وامرهم بقتله^(٥).

أرسل أبوسفيان رجلاً ليغتال الرسول، فنجاه الرسول، وقام الرسول بالرد على ذلك بارسال رجل ليغتال أباسفيان ولكن أباسفيان قد نجا^(٦).

(١) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٢٧.

(٢) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٢٨.

(٣) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٣١-٣٢.

(٤) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٥٠-٥١.

(٥) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٩١.

(٦) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص ٩٤.

٦ - معاقبة من يعتدي عليه :

كما فعل عندما قاد حملة لمعاقبة كرز بن جابر النهري ، الذي اغار على سرح المدينة فاستاقه وتعقبه الرسول حتى وادي بدر ولكنه لم يدرك كرز^(١) .

بعد معركة بدر حلف أبوسفیان ان يثأر من محمد قبل ان يغتسل ، فجاء المدينة وقتل رجلاً من الأنصار واجيراً ، واحرق ابياتا وتبنا ، فلحقه الرسول في حملة السوق ومعه مئتا رجل ، ولكنه لم يدرك أباسفيان^(٢) .

ومثله غزوة الغابة : اذ قادها الرسول لينتقم من عيينه بن حصن الذي هاجم ضاحية الغابة وقتل ابن ابي ذر ، وما زال يلاحقه حتى قتل منهم اناسا ، منهم حبيب بن عيينه بن حصن^(٣) .

ومثل ذلك سرية غالب بن عبدالله التي ارسلها إلى مصاب اصحاب بشير بن سعد فصبحهم .

٧ - وقد يقصد الرسول بمنهجه احيانا رفع الروح المعنوية واجبار العدو على التفكير بردة فعله :

كما حدث في غزوة حمراء الاسد ، اذ باليوم التالي لعودته من أحد ، وجيشه منهزم أمر بالاستعداد والتجهيز لملاحقة قريش . ولحق بها ، واوقد المسلمون ٥٠٠ نارٍ ولم يحدث صدام .

لكن الغزوة كانت تعبر عن عبقرية قيادية منقطعة النظير ، فقد عكر على قريش صفوانتصارها وافقدها زهو هذا الانتصار ، واعاد للمسلمين هيبته في نظر قريش ونظر سكان المدينة من الديانات الأخرى^(٤) .

قال أبوسفیان بيننا وبينكم بدر الصفراء رسل الحول نلتقي ونقتل .

(١) راجع الطبقات لابن سعد جـ ٢ ص ٩ .

(٢) راجع الطبقات لابن سعد جـ ٢ ص ٣ .

(٣) راجع الطبقات لابن سعد جـ ٢ ص ٨٠-٨١ .

(٤) راجع الطبقات لابن سعد جـ ١ ص ٤٨-٤٩ .

وبالموعد المحدد كره أبوسفیان الخروج بسبب القحط والجذب . فأرسل من
يخذل محمدا واصحابه عن الخروج ، فأبى الرسول إلا الخروج ، فخرج في ١٥٠٠
رجل ، فرجعت قريش عندما سمعت بخروج الرسول ﷺ^(١) .

(١) راجع الطبقات لابن سعد ج ١ ص ٥٩-٦٠ .

الفصل الرابع

— مظاهر وجود الدولة الإسلامية الأولى (دولة الرسول):

الدولة التي انشأها الرسول في صدر الإسلام دولة لا تختلف عن أية دولة بالمعنى الدستوري المعاصر، اللهم إلا يكون رئيس الدولة الإسلامية الأولى نبي ورئيس أي دولة أخرى شخص عادي .

ف عناصر الدولة من سلطة وإقليم وشعب، متوفرة في دولة الرسول تماماً، وهذا أمر من الواضح بحيث أنه لا يحتاج إلى بيان، ولكن اضطرت أن أوضح مظاهر وجود الدولة الإسلامية الأولى على أثر مناقشة بيني وبين عالم ازهري ينكر وجود هذه الدولة .

فمن مظاهر وجود الدولة الإسلامية الأولى :

١ - امام الدولة أورئيسها: وهو النبي ﷺ اختاره الله نبياً وسماه ولياً، فبايعه خاصة الذين آمنوا به وعامتهم ولي وإمام لهم، التزموا بطاعته واعتبروا أن طاعته كطاعة الله وأرضائه أرضاء الله .

كلامه نافذ، وأوامره مطاعة، وهو الذي :

أ - يعين الولاة على الأقاليم التابعة للدولة ويعزلهم^(١) .

ب - وهو الذي يقود الجيش بنفسه أو يعين قاداته^(٢) .

ج - وهو الذي يفصل المنازعات أو يعين من يفصلها^(٣) .

د - وهو الذي يعين نائباً له على العاصمة إذا غادرها^(٤) .

٢ - شريعة الدولة : أوقانونها النافذ وهو القرآن الكريم والسنة المطهرة، بفروعها الثلاث، القول والفعل والتقرير، وقد نظمت هذه الشريعة حقوق الفرد من تاريخ تكوينه كجنين في بطن أمه، حتى وفاته وتسديد ديونه وتوزيع تركته .

(١-٤) راجع مساعدو الإمام وأنظر الولاة الذين عينهم الرسول ومات وهم على أقاليمهم وراجع قاداته العسكريين في باب مساعدي الإمام وراجع نوابه على المدينة في غيابه تجدها موثقة ومؤكدة .

ونظمت علاقات الافراد سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، ونظمت علاقات الدولة مع رعاياها، وعلاقات الدولة مع الدول الأخرى ومع الجماعات السياسية التي لم تصل إلى مرحلة الدولة.

٣ - السلطة التنفيذية والشرع : الإسلام يتمنى على الفرد ان يقوم بواجباته الشرعية وان يتجنب المحظورات الشرعية بطريقة طوعية وبحافز وجداني وذهنى . ومع هذا، اذا اتى الفرد أي محظور شرعاً، فيعاقب تماماً كما نص الشرع . وقد اقيمت الحدود على عدد من الافراد لارتكابهم جرائم توجب اقامة الحدود، وبعد محاكمة عادلة تنفذ العقوبة باشراف الدولة وامرها . ومن يخالف الشريعة ويخرج على قوانين الدولة، يعاقب سواء كان ذكراً أم أنثى فرداً أم جماعة . ولقد عوقبت جماعات كانت تعتبر من رعايا الدولة المسلمة، مع انها لا تدين بدين الإسلام .

فبنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع، عقوبوا كجماعات خرجت على قوانين الدولة وبعد محاكمات عادلة، وصدر قرارات قضائية بغض النظر عن الشكليات^(١).

والمرأة المخزومية مثلاً التي سرقت قطعت يدها وعوقبت كمواطنة انتهكت قوانين الدولة وبعد محاكمة عادلة وصدر قرار بالحكم .

٤ - تعيين ولاية على المدينة (العاصمة) : ما غادر الرسول قط عاصمته إلا وقد عين واستخلف نائباً له عليها^(٢) .

٥ - كذلك فان الرسول عين امراءه على الاقاليم يمارسون سلطة الدولة، فكان له أمير على مكة، وآخر على الطائف، وثالث على نجران، ورابع على صنعاء، وخامس على مأرب^(٣) .

٦ - ومن مظاهر وجود الدولة فرض الضرائب على المواطنين وكما هي محددة بالقرآن والسنة، وتعيين الجباة لتحصيل تلك الضرائب، فعدي بن حاتم على صدقات طي ومالك بن نويرة على صدقات حنظله، وعلي بن أبي طالب أرسل ليجمع

(١) راجع منهج الرسول بتوطيد أركان الدولة وتوسيع رقعتها من هذه الدراسة تجد ذلك مفصلاً .

(٢) راجع نوابه على المدينة من باب مساعدي الإمام في الدراسة تجد ذلك موثقاً تماماً .

(٣) راجع الامراء الذين عينهم الرسول ومات وهم على أقاليمهم من باب مساعدي الإمام .

صدقات نجران وأبوسفیان على صدقات نجران أيضاً^(١).

كذلك فقد فرضت ضريبة على أهل الذمة لانهم لا يساهمون بالنفقات الحربية ولا يجوز اجبارهم على الدخول في حروب دينية ليست لديهم قناعة فيها. فالضريبة التي فرضها الإسلام على أهل الذمة ضريبة الدفاع عنهم.

٧ - الجيوش والتحركات العسكرية المنظمة : فلم تتوقف التحركات العسكرية ولا تجييش الجيوش طوال حياة الرسول كرئيس للدولة . فلقد بلغت غزواته ٩٠ غزوة وسرية كان يعين قادتها أو يقودها بنفسه ، وهو يعين من يحمل اللواء . وكانت دورياته وعساكره يجوبون الجزيرة وتتناوش مع اطراف الدولتين الاعظم ، ويخضعون سكان الأراضي المفتوحة لحكم الدولة الإسلامية ، وكانت جيوشه منظمة . وقد عرفت مجموعة من الاصطلاحات العسكرية مثل حامل الراية ، وتقسيم الجيش إلى مقدمة وجنبن وقلب وساقه والوازع الذي يأمر الخيل ويتقدم عليها . واستخدام لفظ المخلفين كتعبير عن القواعد . وعرفت فكرة المخابرات أو العيون كاستعماله لعمه العباس ليكتب له عن اخبار قریش^(٢).

٨ - المعاهدات : مثل معاهدة صلح الحديبية ومعاهدة أهل مقنا .

٩ - المراسلات الدبلوماسية : مثل رسالته لقيصر أرسلها مع دحية الكلبي ، ورسالته لكسرى أرسلها مع عبدالله بن حذافه ، ورسالته لملك الحبشه أرسلها مع عمرو بن أميه الضمري ، ورسالته لمقوقس مصر أرسلها مع حاطب بن بلتعه ، ورسالة أمير البحرين أرسلها مع العلاء بن الحضرمي ، ورسالة ملك غسان أرسلها مع عمرو بن العاص ، ورسالة صاحب اليمامة أرسلها مع سليط بن عمرو العامري^(٣).

١٠ - عاصمة الدولة : وهي مدينة يثرب وسميت فيما بعد بالمدينة المنورة وفيها يقيم رئيس الدولة ومساعدوه ، واليها تفد الوفود ، ومنها كانت تسير الجيوش والبعوث .

(١) راجع نظام الحكم للقاسمي ص ٥٢٩ و ٥٢٦ و ٥٣١ و ٤٩٧ وراجع مساعدي الإمام من بحثنا .

(٢) راجع نظام الحكم للقاسمي ص ٥٢٩ و ٥٢٦ و ٥٣١ و ٤٩٧ .

(٣) راجع السيرة الحلبية ص ٩٠-٩١ ج-٣ .

- زح ١١ - اذاعة الدولة : وهم شعراء الرسول وخطباؤه ، كحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحه^(١) .
- ١٢ - منفذوا الاحكام : كعلي بن أبي طالب والزبير والمقداد وعاصم بن ثابت والضحاك بن سفيان^(٢) .
- ١٣ - مجلس الوزراء : وهم كبار الصحابة والعتره الطاهرة وهم مجلس الشورى أيضاً^(٣) .
- ١٤ - ولاية العهد : وهو علي بن أبي طالب كما اثبتنا^(٤) .
- ١٥ - حرس رئيس الدولة : سعد بن معاذ حرسه ليلة بدر ، ومحمد بن مسلمة حرسه ليلة أحد ، والزبير بن العوام يوم الحديبية ، وأبويوب الأنصاري ببعض طرق خيبر ، وسعد بن أبي وقاص وابن أبي مرثد الغنوي يوم حنين ، وبعد نزول آية ﴿والله يعصمك من الناس﴾ الغي الحرس^(٥) .
- ١٦ - ادارة الاسواق : الحسبه : كان على مكة سعيد بن سعد بن العاص وعلى المدينة عمر بن الخطاب^(٦) .
- وهذه أمور لا تقوم بها إلا دولة ومظاهر لا تدل إلا على وجود دولة حقيقية .

(١) راجع السيرة الحلبية ج٣ ص ٣٢٨ .

(٢) راجع السيرة الحلبية ج٣ ص ٣٢٧ .

(٣) راجع مساعدي الإمام من دراستنا هذه .

(٤) راجع السيرة الحلبية ج٣ ص ٣٢٧ .

(٥) راجع السيرة الحلبية ج٣ ص ٣٢٧ .

الباب الثالث

مفهوم الدولة وطبيعتها في النظام السياسي الإسلامي

- ١ - شكل الحكم في النظام السياسي الإسلامي :
- ٢ - مبادئ الحكم في النظام السياسي الإسلامي :
- ٣ - مميزات الشريعة في النظام السياسي الإسلامي كقانون سائد في الدولة :
- ٤ - مصادر قواعد النظام السياسي الإسلامي :

من خلال عرض هذه المواضيع الأربعة وتفرعاتها نستطيع ان نقف على حقيقة مفهوم وطبيعة الدولة في النظام السياسي الإسلامي .

الفصل الأول

١ - شكل الحكم في النظام السياسي الإسلامي :

أ - ليس نظاماً ملكياً :

نظام الحكم الإسلامي ليس نظاماً ملكياً . فالانظمة التي كانت سائدة عند ظهور الاسلام انظمة تسييرها سياسة القهر والغلبة والجبروت ، وغايتها استعباد الشعوب واستغلالها من أجل خدمة مصالح الحكم من افراد وطبقات ، وابرز مثالين على هذه الانظمة هما الدولتان الأعظم آنذاك ، فارس في الشرق وروما في الغرب .

الأولى الكسروية والثانية القيصرية ، ويقال لهذه الأنظمة الملك . الفرد فيها يتحكم بمصير أمة يحكمها وفق هواه دون ان يكون خاضعا لقانون يعلو ارادته ، طبقة تسود وتتعم والسواد الاعظم من الناس يعاني الويل والثبور ، وتسمى هذه الانظمة عند العرب بالجبورية أو الجبارية ، ويقال للحاكم الملك أو الجبار أو العنيد أو المسرف أو المتكبر^(١) .

وهي تخضع لنظام الوراثة ، ف رئاسة الدولة تؤول من رئيس لآخر وفق قواعد الوراثة ، وينحصر منصب الملك في أسرة معينة أو في ذرية الحاكم لا لشيء إلا لأنه حاكم وغالب ، وكل الأنظمة المشابهة لها يمكن ان تدرج في تلك الزمرة بغض النظر عن التسميات ، ملك ، شاه ، قيصر ، كسرى ، ميكادو ، أمير ، شيخ ، سلطان^(٢) .

ويأقتضاب عبقرى يعرف بن خلدون هذه الانظمة من خلال حكمه على ممارستها فيقول : انها حمل للكافة على مقتضى الغرض والشهوة^(٣) .

هـ - منطقياً انطلقت الجيوش الإسلامية لتحرير البشرية من عبودية الملوك وتغيير أنظمة الطاغوت ، فهل من الممكن عقلاً ان يخلص الإسلام الناس من ملوك ظالمين ويستبدلهم بملوك جدد .

(١) راجع النظريات السياسية في الإسلام د . محمد ضياء الدين الرئيس ص ٩٩ .

(٢) السلطات الثلاثة في الدساتير المعاصرة د . سليمان طماوي ص ١٥ .

(٣) المقدمة لابن خلدون ص ١٥٨ و ١٦٨ .

و- ثم ان الملك لقب الهي : قال تعالى : ﴿ملك الناس، إله الناس﴾ .
ز- ولغة: الملك يعني الحوزة والاختصاص، والأمم لا تحاز عقلاً والملك يعني ضرب الشيء ببعضه ليشدد، ولا خلاف بين أهل الملّة بأنه لا يجوز التوارث (١).

— ايضاح شبهه :

ورد في القرآن الكريم قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا...﴾

مما يعني جواز النظام الملكي عند النظرة الأولى، وبالتدقيق تجد ان ما يميز النظام الملكي عن غيره ان ابن الملك أو وارثه السياسي هو الذي أصبح ملكاً.

بينما لم يرث ابن طالوت اياه، انما الذي جاء بعده هو داود عليه السلام .
وقد عبر الله عن مسؤولية طالوت بالملك لانها لغة مفهومة باصطلاحات العصر آنذاك .

وعندما يعين الله شخصاً كولي لفئة مؤمنة به تعالى، فان الله العادل يضع الشخص الملائم والمناسب، فلا يخشى منه ظلماً ولا جوراً ولا عسفاً، وتلك أمور ملازمة للملك .

وبالتالي جلت قدرته يوجب على الفئة المؤمنة ان تكون مع هذا الشخص بظاهرها وبباطنها تحت رقابة الله . بينما الملك يطمع بذلك ولكن همه الأوحـد ملك الاجساد وطواعيتها .

٢ - النظام السياسي الإسلامي ليس نظاماً استبدادياً :

في الأنظمة الاستبدادية، ارادة الحاكم هي القانون الفعلي .
فلأنت كسرى ما ترى تحريمه كان الحرام وما تحل حلالاً
ان وجد قانون فهو يخضع لهواه فيعمله ان شاء ويبطله ان شاء .
لا يقيم لحقوق ولا لحريات الانسان وزناً، ظالم لأن شريعته هي الهوى، يعز فئة ويذل أخرى، ويحكم الأفواه .

(١) راجع الفصل والنحل جـ ٤ ص ١٦٧ وراجع المقدمة لابن خلدون ص ١٦٩ وراجع ابن الأثير جـ ٣ ص ١٤٧ و ٢١١ و ٢٠٩ و جـ ٤ ص ٥٤ تجد الأمثلة التي سقناها . وراجع مروج الذهب للمسعودي .

وبتعبير ابن خلدون : انه يحمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة^(١) . بينما في النظام السياسي الإسلامي ، الشريعة مقيدة للامام وللأمة ، بل ان الرسول يطبق الشريعة تحت اشراف الله نفسه ويوجهه الله . وآيات القرآن حافلة بتوجيهات الله لرسوله ورسول الله هو ولي المؤمنين وحاكمهم سياسياً . وموقف الحاكم من تطبيق الشريعة أو عدم تطبيقها يبين وضعه الايماني .

﴿ون لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ . ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ . ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ .

والأمة أئمة إن رضيت بغير حكم الشرع ، وستعاقب بالدنيا بالذل والهوان والتمزق جزاء وفاقا على رضاها . والامام ملزم بالعدل ولومع اعدائه ، والأمة مكلفة بذلك لأن الخطاب للذين آمنوا . ﴿ولا يجرمكم شأن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا﴾ .

يقول الرازي في تفسيره : أجمع المفسرون على انه من كان حاكماً وجب عليه ان يحكم بالعدل^(٢) .

والحكم وظيفة الولاية فالخطاب موجه لهم^(٣) .

والنظام الإسلامي نظام يقر المساواة . انظر إلى قوله ﷺ : «انما أهلك الذين كانوا من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد . فوالذي نفسي بيده لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» .

والنظام السياسي نظام يقوم على الشورى ، وهي مفروضة على الرسول وعلى الأئمة من بعده . وقد نزلت آية الشورى بعد معركة أحد بالرغم من النتائج المفجعة التي جرّ لها رأي الاغلبية^(٤) .

(١) راجع المقدمة لابن خلدون ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(٢) راجع تفسير الرازي ج ٣ ص ٣٥٥ .

(٣) راجع تفسير البضاوي ص ٧٠ .

(٤) راجع تفسير الزمخشري ج ٣ ص ١٢٠ .

٣ - النظام السياسي الإسلامي ليس نظاما ديمقراطيا :

لا بالمفهوم الديمقراطي عند الاغريق ولا بالمفهوم المعاصر. فالشعب عند اليونان هم طبقة الحكم، بينما الشعب في النظام السياسي الإسلامي هو كل الأمة. والشعب في الأنظمة الديمقراطية يضع قوانينه بنفسه بواسطة ممثليه ولا معقب على ارادته بالأنظمة الديمقراطية الحققة. ومن يدقق يجد أن الديمقراطية نظام طبقي.

بينما في النظام السياسي الإسلامي ارادة الشعب مقيدة بحكم الله ورسوله، لأن الشريعة هي صاحبة السلطان ولا يملك الفرد أو الشعب ان يشرع. والنظام الديمقراطي يحدد مدة الرئيس، بينما في النظام الإسلامي يبقى الامام على رئاسة الدولة ولا ينزله عنها غير الموت.

ثم ان اهداف الديمقراطية الغربية أهداف مادية ترمي لتحقيق سعادة أمة معينة أو شعب معين، بينما في النظام الإسلامي الأهداف الروحية ملازمة تماما للأهداف المادية وغاية النظام تحقيق المصالح الدنيوية والآخروية معا.

والإسلام يتعالى عن القومية واطارها الضيق ويهتم بالانسانية جمعاء لانها مداه. ﴿وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين﴾^(١)، ﴿يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا﴾^(٢)، ﴿وما ارسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾^(٣).

فالنظام الديمقراطي هو حمل للكافة على مقتضى النظر العقلي، كما يقول ابن خلدون، وتلك حقيقة دستورية، لأن من خصائص الديمقراطية الغربية، كما يقول الاستاذ حسن الجلي، انها عقلانية.

بينما النظام السياسي الإسلامي حمل للكافة على مقتضى النظر الشرعي في المصالح الآخروية والدنيوية^(٤).

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٧.

(٢) سورة الأعراف آية ١٥٨.

(٣) سورة سبأ آية ٢٨.

(٤) راجع المقدمة لابن خلدون ص ١٥٨ وما بعد، وراجع الاتجاهات الدستورية في الوطن العربي د. حسن الجلي.

٤ - النظام السياسي الإسلامي ليس نظاماً ثيوقراطياً :

بالمعنى المفهوم لهذه الكلمة وكما طبق في بلاد كثيرة ومنها فرنسا قبل الثورة . فالملك بهذه الانظمة يزعم بأنه يستمد سطرانه من الله ، وهذا قول بلا دليل ، فليس لدى الملك شريعة الهية ، وليس لديه حجة على ذلك ، وهو معرض للخطأ والصواب .

بينما في النظام السياسي الإسلامي ، النبي والولي مرسل من الله ، ويأتيه الوحي ولديه دليله ، وهو رئيس لدولة وهو معصوم عن الخطأ ، وأقام الحجة على ذلك وقد أهل النبي خليفته طوال حياته ووضعه بناء على أمر الله .

ومع هذا فالامام في الإسلام خاضع للشريعة ومقيد بها ومسؤول عن جنایات الانفس والاموال^(١) .

ثم ان الامام مقيد بالشريعة الواضحة والمعممة على الناس ، ويخضع هولها أيضاً ، وهو يدور مع الأمة في افقين متداخلين ويهدفان إلى غاية واحدة وهي تنفيذ احكام الدين المبررة بمصالح العباد طلباً لرضوان الله .

ومن واجب الرعية ان تنصح للامام وتبحث معه وتسأله لأن الأمة حرة ضمن الشرع . بينما في الانظمة الثيوقراطية على عكس ذلك . فسلطة الملوك مستمدة من تفويض الخالق حسب زعمهم ، وتنحصر مسؤوليتهم امام الله عن كيفية استعمال هذه السلطة .

كما يقول لويس الرابع عشر ملك فرنسا . ويقول لويس الخامس عشر في تبريره لقانون (اننا لم نتلق التاج إلا من الله ولنا وحدنا سلطة سن القوانين ولا نخضع في عملنا لأحد)^(٢) .

وحول هذا النظام تتمركز طبقة من رجال الدين والنبلاء واصحاب الحظوة يتنعمون لقاء الموافقة على هذا التصور وتشقى بقية الرعية ، وفساد هذا الرأي واضح وغني عن البيان .

(١) راجع سنن الكنز وشرحه للزيلقي ج٣ ص ١٨٧ .

(٢) راجع المبادئ والنظم السياسية د . محمد كامل ليله ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

٥ - النظام السياسي الإسلامي :

تبين لنا انه لم يكن نظام حكم مطلق ، ولا نظاما ديمقراطيا على نحو ما عرف عند اليونان ، ولا نظاماً ملكياً أو جمهورياً أو قيصرياً على نحو ما عرف عند الرومان .

بل هو نظام عربي إسلامي خالص ، بين الإسلام حدوده العامة ، وهوليس نظاماً ثيوقراطياً ، فهو لم يكن ملكياً ولا دينياً بالمعنى المفهوم .

ولم يكن قيصرياً بالمعنى المفهوم عند الرومان ، فلم يكن للجيش دور في اختيار الامام .

هو نظام لم يسبق اليه ولم يقلد^(١) .

فالنظام الإسلامي نظام فريد في شكله ومضمونه ومتميز ومغاير لكل الانظمة السابقة له واللاحقة به . فالنظام الذي تضعه البشرية لا يخلو من الثلمات ، ثم ان الذين يضعون النظام البشري يجهلون الماضي وتجاربه والمستقبل واحداثه ، فيأتي النظام افتراضي لمعالجة اوضاع مفترضة ، مما يجعله مع الأيام مناقضاً للواقع وقاصراً على بلوغ الغاية .

بينما النظام الإسلامي صنع الله ، المطلع على ما كان وما سيكون ، وعلى نزعات فطرة النفس البشرية مما يجعل قواعده ضربة لازبة . ويحقق السعادة للحاكم والمحكوم معا ، وفي الدارين ، وفي الجانبين الروحي والمادي ، وهو مستمد من العقيدة الإسلامية التي جمعت العقائد السابقة على منهج جديد ، ورسمت الشريعة الإسلامية تصورات واصولاً فاصلة لكل تصورات المستقبل .

فالأمور التي تتغير أجملت اجمالاً عجباً ، والأمور التي لا تتغير فصلت تفصيلاً دقيقاً .

وفي تجاعيد النظام السياسي الإسلامي نظام عالمي انساني اخلاقي ، دينوي وأخروي ، فيلاحق الجاني نفسه بنفسه حيث يقصر سلطان الدولة . وهكذا يتشكل المجتمع العقائدي الذي تحلم به البشرية .

(١) راجع الإسلام عقيدة وشريعة للإمام الأكبر محمود شلتوت ص ١٠-١٥ وراجع الحق ومدى سلطان الدولة في تفسيره . وراجع الفتنة الكبرى باب عثمان ص ٣١-٣٢ و٤٦-٤٧ للدكتور طه حسين .

وقد شُخص الإسلام غايات القواعد الشرعية، فردية كانت أم جماعية، ورسمت نصوص الشريعة وروحها العامة الوسائل المؤدية إلى تلك الغايات بأقرب الطرق وأقل التكاليف.

وأجمال القواعد يتيح للبشرية أن تفكر وتشترك الأمة المؤمنة بصنع وتنفيذ قرارات حياتها السياسية مع الله ومع الشريعة.

والحكومة الإسلامية لا تشبه الأشكال الحكومية المعروفة. فهي ليست حكومة مطلقة يستبد فيها رئيس الدولة برأيه، عابثاً بأموال الناس ورقابهم، إنما هي دستورية ولكن لا بالمعنى الدستوري المتعارف عليه الذي يتمثل في النظام البرلماني والرئاسي أو المجالس الشعبية، وإنما هي دستورية بمعنى أن القائمين على الأمر يتقيدون بمجموعة الشروط والقواعد المبينة في القرآن والسنة^(١).

ويكمن الفرق بين الحكومة الإسلامية والحكومة الملكية منها والجمهورية في أن ممثلي الملك هم الذين يقننون ويشرعون، في حين تنحصر سلطة التشريع بالله عز وجل وليس لأحد أياً كان أن يشرع وليس لأحد أياً كان أن يحكم بما لم ينزل به الله من سلطان. فالحكومة الإسلامية تعني اتباع القانون وتطبيقه^(٢).

(١) راجع الحكومة الإسلامية للإمام آية الله روح الله الخميني ص ٤١-٤٥ مجموعة محاضرات ألقاها في النجف الشريف قبل سقوط الشاة.

الفصل الثاني

— مبادئ الحكم في الإسلام: وهي الغايات الشرعية الكبرى للدولة الإسلامية :

المبدأ الأول: إقامة حكم الله في الأرض: النبي سبيل الله، وطواغيت الكفر سبيل الضلالة، وبإقامة حكم الله في الأرض يتحرر الإنسان من حكم الطبقة التي تشرع، ومن حكم الفرد، ومن تحكم المزاج والغوغائية والافتراض كالمحكوم. لأن القواعد منزلة من عند الله، وتنفيذها تنفيذ لأمر الله والحاكم مكلف كالمحكوم. وواضع القواعد الشرعية أعلم بمصلحة الناس لأن الله يعلم السراخفى، يعلم الحاضر والمستقبل، كما يعلم الماضي، يعرف ما يترتب على الأفعال في الحال والمال، والرسول يتصرف وفق الوحي الإلهي، فمن يطع الرسول يطع الله. وما وصفه الرسول كرئيس للدولة كأنما وضعه الله لأنه بوحيه وهداه.

وإقامة حكم الله هو الذي يفرق مجتمع الكفر عن مجتمع الايمان، مجتمع الكفر يحكم بهواه أو بعقله، ومجتمع الايمان يخضع للشرع الإلهي. ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون﴾. ﴿وم لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون﴾. ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾.

المبدأ الثاني: تكوين دولة الإيمان المثالي: لتكون سلوكها العملي دعوة عملية لتقليص رقعة الكفر والضلالة، لأن الأرض كلها لا تتسع إلا لدارين، دار الكفر بكل مفاهيمه، ودار الايمان بمفهومه الواضح الوحيد.

دار الكفر منظمة وفق الهوى أو العقل أوهم معا، وتحكمها دول تترجم هذا التنظيم، ودار الإيمان منظمة وفوق الشرعية الإلهية، ودولة الايمان ترجمة لهذا التنظيم.

فالذا طبقت الشريعة الإلهية بدقة يتكون المجتمع المثالي الذي تديره وتسوسه دولة الإيمان المثالي وتحقق النتائج التالية:

أ - إقامة العدل: فواجبات الرسول كإمام يمكن ان تجمل بكلمة العدل. قال تعالى: ﴿ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات إلى اهلها وإذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل﴾. ﴿وقل آمنتم بما انزل من كتاب وأمرت لأحكم بينكم﴾. ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا﴾.

والعدل واجب بكل لفظ يلفظه الانسان لأنه مسجل عليه . ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ ، ﴿واذا قلتم فاعدوا ولو كان ذا قربى﴾ . والعدل والاحسان فرض عين على كل مسلم ومسلمة في مجتمع الدولة الإسلامية . والعدل نقيض الظلم ، وما جاء الرسول إلا لرفع الظلم .
ومن لم يحكم بما انزل الله فهو ظالم ﴿ان الظالمين لهم عذاب إليم﴾ ، ﴿بئس مثوى الظالمين﴾ .

ويوم حنين قال ذو الخويصرة التميمي : يا محمد قد رأيت اليوم ما صنعت فقال الرسول : كيف رأيت؟ فقال : لم ارك عدلت . فغضب الرسول وقال له : ويحك اذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون^(١) .

ويوم حنين قسم الرسول الفيء ولم يعط الأنصار ودهش الأنصار وظنوا الظنون فقال لهم الرسول : يا معشر الأنصار، إلا ترضون ان يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله إلى رحالكم؟

ب - المساواة : عندما ظهر الإسلام ، كانت السيادة وكان الرق ، كان العرب وكانت الموالى كان الاقوياء وكان الضعفاء . كان الناس يتفاخرون بالانساب والاحساب وجاء الإسلام ليعلن بوضوح : ﴿يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكرواثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم﴾^(٢) .

وها هو الرسول يقول في حجة الوداع : «كلكم لأدام وآدم من تراب» . «لا فضل لعربي على عجمي» . «الناس سواسية كأسنان المشط» .

ولم تبق الاحاديث قواعد نظرية انما شقت طريقها إلى الواقع العملي طوال حكم الرسول .

عقبة بن عامر كان يقود بغلة الرسول في الاسفار ، قال : قدت برسول الله وهو على راحلته رتوة من الليل ، فقال لي الرسول انخ ، فأنخت . فنزل عن راحلته ثم قال اركب يا عقبة . فقلت سبحان الله ، أعلى مركبك يا رسول الله وعلى راحلتك؟ فأمرني فقلت

(١) راجع سيرة ابن هشام ص ٤٩٦ .

(٢) سورة الحجرات آية ١٣ .

أيضاً مثل ذلك، ورددت مرارا حتى خفت ان اعصي رسول الله فركبت راحلته ورحله ثم زجر الناقة فقامت وقادني^(١).

المساواة في مستوى المعيشة : كان الرسول يحيا حياته الخاصة كأفقر مسلم حتى انه كان يضع الحجر على بطنه من الجوع وهو امام الدولة وبيده اموالها ومات ولم يترك درهما ولا دينارا . وهكذا فعل أهل بيته الكرام .

المساواة امام القانون : وهو نفسه ﷺ القائل لأصحابه عندما راجعوه حتى لا يقيم الحد على المرأة المخزومية التي سرقت «والله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» ونفذ الحكم بالمرأة المخزومية .

ج - الشورى : وهي قضاء للواجب وعلى ولاية الأمور ان لا يمنعوا الناس من اداء هذا الواجب ولم يفترض الله نظام الشورى، ولم يطبقه الرسول لحاجة، فالله ورسوله يملكان الحق دائما والصواب دائما، انما فرض نظام الشورى تطييبا لنفوس الناس واشراكا لهم بادارة شؤنهم . وهي مفروضة على رسول الله ، فمن باب أولى ان تفرض على الائمة الطاهرين من بعده .

وليست الشورى قواعد فقط ، انما طبقت وبدقة زمن الرسول ﷺ .

أ - في معركة أحد كان رأي الرسول ان يبقى في المدينة، وامام رغبة الاكثرية بالخروج خرج^(٢).

ب - وفي معركة بدر لم يقاتل المشركين حتى اشار كل اصحابه الموجودين معه بالقتال .

ج - وعندما انزل الجيش في بدر في موقع ، رأى غيره ان هذا الموقع غير ملائم ، غيره بناء على مشورة احد اصحابه ، وهو الحباب بن المنذر .

د - وفي غزوة الاحزاب حفر الخندق بناء على مشورة الصحابي سلمان الفارسي .

هـ - وفي غزوة الاحزاب كان ينوي إبرام اتفاقية بينه وبين زعماء غطفان ، ينسحبوا من تجمع الاحزاب مقابل جزء من ثمار المدينة ، وجلسوا في مجلس العقد ،

(١) نظام الحكم للفاسي ص ٨٦ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٥٠٣ .

وعندما استشار السعدين سعد بن عباد وسعد بن معاذ انفض المجلس ولم يعقد الاتفاقية بناء على مشورة صاحبيه .

د - الحرية : الحرية متاحة لكل مسلم ومسلمة ولكل مواطن في الدولة الإسلامية وبالحدود التي رسمها الشرع . وقد اذن لهم الشرع بتوخي الخير والصواب وترك لهم الحرية ضمن ذلك .

أ - الحرية الدينية : (لا اكراه في الدين) اي لا يكره احد على الدخول في الإسلام كما قال ابن الاثير ، وسبب نزول هذه الآية ان بعض الصحابة استأذنوا الرسول في اكراه اولاد بني النضير على الإسلام فلم يأذن لهم الرسول بذلك .

والجارية ربحان كانت ملك الرسول ورفضت الدخول في الإسلام وبقيت على يهوديتها ولم يكرهها الرسول حتى اسلمت بنفسها^(١) .

ووفود رؤساء نجران خير مثال على الحرية في الإسلام ، فقد دخلوا المسجد على الرسول ﷺ وقت الصلاة ، وصلوا إلى المشرق داخل المسجد فقال الرسول لأصحابه دعوهم^(٢) .

وحرية التعبير مضمونه : انظر الى قول الخويصرة وانتقاده الميرير لرسول الله عند توزيع الغنائم ، تابع سيرة عمر واعتراضاته على رسول الله طوال حياته وانظر إلى ابي حذيفة بن عتبة يقول للرسول بعد معركة بدر ، نقتل آباءنا ونترك بني هاشم والله لئن ظفرت بالعباس لأقتلنه . فما كان جواب رسول الله إلا ان قال لجليسه عمر بن الخطاب : انظريا ابا حفص يريد ان يقتل عم رسول الله .

ماذا فعل النبي بالذين قالوا اذا مات النبي سنكح نساءه من بعده . ومن شروط صلح الحديبية انه من اتى محمدا من قريش دون اذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريش ممن مع محمد لم يردوه^(٣) .

وفي الدساتير المعاصرة حرية التعبير والانتقاد مضمونة ضمن الدستور والقانون .

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٥٩٢ .

(٢) راجع سيرة ابن هشام ص ٥٧٤ وص ٥٥ من نظام الحكم .

(٣) راجع تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٢١ و ١٢٩ .

وفي الإسلام كانوا ينتقدون الرسول نفسه بما هو خارج عن الشريعة وبما لا تسمح به الشريعة، ومع هذا لم يتعرضوا لأية عقوبة.

المبدأ الثالث : انقاذ الجنس البشري كله :

قال تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ . ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ ، ﴿ وعهد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ﴾ . ﴿ . . . ويظهره على الدين كله ولو كره الكافرون .

ورسالة الرسول كانت للناس كافة ، كما هو ثابت ، والرسول يؤكد : « والله ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار وليلقين اجرانه في الأرض » . فالدولة الإسلامية كتعبير عن وجود الأمة الإسلامية وعن نظامها السياسي ، جسرتعبر منه الهداية إلى كافة اقطار المعمورة ، واداة ذلك هي الجهاد في سبيل الله باليد واللسان . والغاية انقاذ الجنس البشري من عبودية الانسان ومن عبودية مظاهر الطبيعة ومن عبودية الطبقات الحاكمة والمفاهيم الخاطئة ، ومن عبودية وظلم ائمة الكفر ، وبهدف توحيد الجنس البشري وهدايته وتقليص رقعة الكفر . وتلك أمور من صميم الواجبات الدينية المفروضة على الدولة المسلمة والأمة المسلمة .

المبدأ الرابع : الرحمة : وهي باكمال الغاية من الشريعة ومن الرسالة

قال تعالى : ﴿ وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ . والرحمة ثمرة المصلحة الشرعية وغايتها ، وباطارها تنمو الاخوة الاسلامية «انما المؤمنون اخوة» . « اصبحتم بنعمته اخوانا » . وتلك صلة بين الفرد وبين غيره من فرد أو مجموعة ، وباطارها تدخل الولاية والتناصر «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض» وهي تقضي التناصر والتناصح بين افراد مجتمع الدولة في جميع شؤون الحياة .

وباطارها تدخل المحبة « لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » وهذا قول الرسول ﷺ وهي ثمرة الاخوة ، والاخوة ثمرة الايمان . وتلك دوافع طبيعية

يخلقها الايمان في جميع المجالات الحيوية، وهي التي تخلق التكافل بين المؤمنين «والمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا» .

والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والتعاون على البر والتقوى، ومجانبة الاثم والعدوان يدخل في هذا الاطار، فالفرد مرتبط مع الفرد ومع الجماعة باطار الخير المشترك أو البر أو الصالح العام^(١) .

ومهمة الدولة ان ترعى السعي للخير المشترك ضمن اطار الإسلام .

(١) راجع الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده ص ٢٢٦ لفتحي الدريني .

الفصل الثالث

شريعة الدولة في النظام السياسي الإسلامي
الشريعة هي القرآن والسنة بفروعها الثلاثة . وهي القانون النافذ في الدولة الإسلامية
مميزات شريعة الدولة تلقي اضواء على مفهوم وطبيعة الدولة . وهذه المميزات
هي :

١ - انها قانون عالمي عام يضع الحلول الملائمة والمعللة بالتجربة الانسانية عبر
الاعصار وبطبيعة التكوين النفسي الانساني وهي غائية لتحقيق مقاصد الفطرة
السليمة .

وبينما القوانين الوضعية السائدة والباثدة والمعاصرة دوما قوانين شعوية أو
قومية أو قارية بأحسن احوالها ، واذا خلعت عليها صفة العموم تبقى قواعد
اخلاقية ، امكانية تطبيقها مرهونة بهوى الاشخاص الخاضعين لها أو الذين
وضعوها كقوانين عصبة الأمم المتحدة أو هيئة الأمم ، فضلا عن ذلك فانها
تتعامل مع الانسان بطريقة غير مباشرة وباسلوب فوقي . ﴿ ولتكن منكم أمة
يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ . ﴿ وكذلك جعلناكم
أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ﴾ . ﴿ كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ .

فالدعوة إلى الخير قيمة مطلقة والأمر بالمعروف طريقها وتجسيدها لها .
والشهادة رقابة ، وتلك معاني تنبوع الحصر والتقييد .

٢ - انها قانون الهي : فالقرآن كلام الله ، وسنة الرسول وحي من الله ، والرسول
معصوم وخضوع الانسان لهذا القانون ليس خضوعا لطبقة أو لفرد انما هي
خضوع لله .

٣ - انها قانون له صبغة دينية : فاذا طبق ، فانه يؤيد بزاجرين ، زاجر دنيوي وآخر

(١) سورة آل عمران آية ١٠٤ .

(٢) سورة آل عمران آية ١١٠ .

(٣) سورة البقرة آية ٤٣ .

- أخروي، وتنخلق رقابة الضمير على السلوك الانساني .
- ٤ - انها قانون أبدي بعمر الحياة الانسانية : لانه لا نبي بعد محمد، ولا شريعة بعد شريعته، وهذه الشريعة حددت القيم الانسانية التي لا غنى عنها، واعطت معاني الخير والشر معالم محددة واصفا حقيقة، وبالتالي شخصت الغايات الكبرى ورسمت روحها العامة وسائل تحقيق تلك الغايات بأقرب الطرق وبأساليب بيانية في غاية البساطة والعجب والشمول . ففصلت ما لا يتغير تفصيلا دقيقاً، يصعب اضافة كلمة واحدة إليه، واجملت ما يتغير.
- ٥ - انها شريعة للبشر: فلم تنزل قواعدها لتحكم مجتمعاً من الملائكة، انما لحكم البشر بكل ما لدى البشر من قابليات للخير والشر.
- تقود النفس لتعطي اقصى ما لديها بيسر، فاذا حاولت النفس الانسانية ان تعطي فوق طاقتها، تتدخل الشريعة فتوقف الانسان، لأن الشيء لا يملك إلا طاقته، فاذا تجاوزها دخل دائرة التهلكة .
- وبنفس الوقت تلجم قابليات الشرف في النفس الانسانية، فاذا افلتت لم تطلب الشريعة من الانسان ان يركع وان يئأس، وانما تضمد جراحه وتساعده لينهض ويبدأ عملية العطاء . فباب التوبة مفتوح .

مصادر قواعد النظام السياسي الإسلامي :

في الحقيقة لا يوجد مصادر للنظام السياسي الإسلامي إلا مصدر واحد هو القرآن، والمصدر الثاني هو السنة جاءت لبيان المصدر الأول ولتطبيقه عملياً . ومع هذا فقد درج الفقهاء على تقسيم هذه المصادر إلى نوعين :

١ - مصادر رئيسية .

٢ - مصادر فرعية .

المصادر الرئيسية وهي أربعة :

المصدر الأول واساس كل المصادر هو القرآن الكريم :

فالقرآن الكريم هداية تدل على الله ، وتزيل ما لحق بهذه الدلالة من اوضار عبر التاريخ وهي معجزة لرسول الله أوحيت اليه باللفظ تدل على صدق مصدرته . وهو

دليل محمد ﷺ ، بالنبوة لأن بإمكان أي واحد ان يزعم بانه نبي وان يقول اقوالا ينسبها إلى الله فالقرآن في جانب منه الهداية الإلهية للبشرية يروي بصديق ما مر على البشرية، من هم الذين آمنوا، ومن هم الذين كفروا، وماذا كانت عاقبة كل فريق حتى يكون هذا التذكر ينابيع للذكرى النافعة . والقرآن الكريم يقدم تعليلا للبداية والنهاية، ويقدم بالتالي تصوراً كاملاً للحياة ووسائل دوامها وغاياتها، ويرسم السبل التي تؤدي لتلك الغايات، مما يجعل منه دستوراً حقيقياً لحياة كاملة وفاضلة .

ويجعل منه مجموعة القواعد الشرعية واساس النظام الحقوقي الذي يحكم مجتمع الدولة الإيمانية، وبتعبير أدق ان القرآن وتوابعه عقيدة وشرعية كلما ورد فيه هو قول الله يلقي انواراً على ذاته وصفاته، ويرسم طرق التقريب الى تلك الذات ينسجم الانسان مع الكون، ومع ثنائية المسيرة الكونية، ويدين الكون بالعبودية الولائية لله الحق الخالق .

وقد نظم هذا القرآن بأسلوب عجيب يشهد وينطق بكل غاياته يشفيها ويروبها، ويمزج فيها الحكمة مع الواقع والعقل مع الروح، والجسد مع الوجدان بعجب عجاب شمولي .

هذه المشتملات القرآنية لا بد لها من رجل يعرف اسرارها ويكشف ما غمض منها عن الازهان لقصورها، ويسهل عملية وضعها تحت تصرف السعادة البشرية أو تحقيق هذه السعادة . واقتضت حكمة الله ان يكون هذا الرجل أول رئيس لدولة الايمان ليوطد اركانها ويطبق قواعد الشريعة على مجتمعها .

هذا الرجل هو الرسول الموحى إليه هذا القرآن ليبينه للناس . ﴿الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب﴾ .

فالكتاب بلا عبد لا يحقق الغاية، والعبد بلا كتاب كرجل بلا بصر .
فالقرآن الكريم هو المصدر الأول واصل كل المصادر الأخرى لنظام الدولة الإسلامية السياسي .

المصدر الثاني : البيان أو السنة وهي ما صدر عن الرسول من قول أو فعل أو تقرير . اقواله هي الاحاديث، وافعاله هي السنن العملية، وتقاريره هي سكوته في معرض الحاجة إلى البيان .

— انواع السنة من حيث الثبوت :

أ - المتواترة : وهي التي رواها عن الرسول جمع من الناس يمتنع ان يتفقوا على الكذب عقلاً ، كالصلوات وهي قطعية الثبوت .

ب - المشهورة : وهي التي رواها عن الرسول صحابي أو اثنان ثم روي بطريق جمع من الناس يمتنع عقلاً اتفاقهم على الكذب ، مثل لا يرث القاتل ، وهي قطعية الثبوت برواية الصحابة وليست قطعية عن الرسول .

ج - الاحادية : وهي التي ليست متواترة ولا مشهورة ، وهي ظنية الورد عن الرسول وكل هذه الانواع حجة واجبة الاتباع .

— السند الشرع لحجية اقوال الرسول :

﴿يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله والرسول﴾ . ﴿ومن يطع الرسول فقد اطاع الله﴾ . ﴿وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ .

— المصدر الثالث : وهو الاجماع :

وهو الاتفاق التام بين مجتاهدي الأمة الإسلامية جميعاً بعد موت الرسول وفي أي عصر من العصور على حكم شرعي .

وغني عن البيان ان الاجماع يجب ان يكون حقيقياً ورضائياً وتاماً ، وهذا ما لم يحدث قط . ومع هذا فالاجماع لا قيمة له اذا وجد النص الشرعي . ولا يكون الاجماع إلا على حكم شرعي ظني ، وعندما يستوفي الاجماع شروطه لصبح حجة في عصره فقط .

السند الشرعي للاجماع : قول الرسول ﷺ : « لا تجتمع امتي على الخطأ » . (لا تجتمع امتي على الضلالة) . (يد الله مع الجماعة) .

— ما معنى المجتهد :

هو الشخص القادر على استنباط حكم شرعي في مسألة معينة .

— ما هي شروط المجتهد :

يصبح الشخص مجتهداً اذا توفرت فيه الشروط التالية :

- ١ - معرفة آيات الاحكام القرآنية واسباب نهزولها ومراميها.
- ٢ - معرفة الاحاديث المتعلقة بهذه الاحكام ومعرفة اساليب الرجوع إليها.
- ٣ - معرفة اللغة العربية المعرفة التي تؤهلها ان يفهم مدلولات النص.
- ٤ - معرفة اصولية للسيرة النبوية ومجريات الاحداث الإسلامية التي ادت لقيام الدولة الإسلامية الاولى.

— المصدر الرابع : القياس :

ومعناه استنتاج حكم شرعي لواقعة لا نص عليها من واقعة ورد فيها نص لوحدة علة الحكم .

— اركان القياس :

- ١ - الاصل أو المشبه به أو المقيس عليه : وهو ما ورد نص في القرآن والسنة .
 - ٢ - الفرع أو المشبه أو المقيس : وهو ما لم يرد عليه حكم شرعي .
 - ٣ - الحكم الشرعي : وهو الغاية من عملية القياس .
 - ٤ - العلة : وهو الوصف المبني عليه الحكم .
- السند الشرعي للقياس : الآيات الكثيرة الواردة في القرآن الكريم والداعية إلى التبصر .

— المصادر الفرعية :

- ١ - الاستحسان : وهو العدول بالمسألة عن حكم نظائرها إلى حكم آخر لوجه أقوى يقتضي هذا العدول . فالحكم الشرعي معروف بناء على نص أو قياس ، ولكن تطبيقه يؤدي لفوات المصلحة .
- فالمراة المطلقة في مرض الموت لا ترث من حيث الظاهر لانتهاء العلاقة الزوجية المعتبرة شرعا سببا للارث ، فعدل عن هذا الحكم الظاهر إلى آخر يتلاءم مع غايات الشريعة بدفع الضرر . وهذه نظرية الاحناف .
- ٢ - المصالح المرسلة : أي ان يطبق على مسألة من المسائل الحكم الذي تقتضيه المصلحة في حالة انعدام الحكم الشرعي ، ويقصد بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع من الخلق ، وهذا المقصود ضمنا كما يرى الغزالي : المحافظة

على الدين، النفس، العقل، النسل، المال.
٣ - العرف : وهو ما اعتاده الناس واستقر في اذهانهم بأنه ملزم وواجب الاتباع، وقره
الشرع ك بعض الاعراف التي كانت سائدة في الجاهلية، مثل فرض الدية على
عشيرة الجاني .

الباب الرابع

الأحزاب السياسية في الإسلام

الفصل الأول

١ - موقف النظام السياسي الاسلامي من نظام تعددية الاحزاب :

تعددية الاحزاب في القرآن الكريم :

وردت كلمة الاحزاب في القرآن الكريم عشر مرات وبالنص الموجز التالي :

- ١ - ﴿ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده﴾^(١).
- ٢ - ﴿ومن الاحزاب من ينكر بعضه﴾^(٢).
- ٣ - ﴿فاختلف الاحزاب من بينهم﴾^(٣).
- ٤ - ﴿وان يأتي الاحزاب يودون لو انهم بادون في الاعراب﴾^(٤).
- ٥ - ﴿ولما رأى المؤمنون الاحزاب﴾^(٥).
- ٦ - ﴿كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم﴾^(٦).
- ٧ - ﴿وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب﴾^(٧).
- ٨ - ﴿فاختلف الاحزاب من بينهم﴾^(٨).
- ٩ - ﴿يحسبون الاحزاب لم يذهبوا﴾^(٩).
- ١٠ - ﴿جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب﴾^(١٠).

(١) سورة هود آية ١٧ .

(٢) سورة الرعد آية ٣٦ .

(٣) سورة مريم آية ٣٧ .

(٤) سورة الاحزاب آية ٢٠ .

(٥) سورة ص آية ١١ .

(٦) سورة غافر آية ٥ .

(٧) سورة غافر آية ٣٠ .

(٨) سورة الزخرف آية ٦٥ .

(٩) سورة الاحزاب آية ٢٠ .

(١٠) سورة الاحزاب آية ٢٢ .

— معاني هذه الآيات :

١ - الآيات التي تحمل رقما متسلسلاً ٤ و ٥ و ٩ تشير إلى التجمع العربي اليهودي ضد محمد في غزوة الخندق، هذا التجمع الذي كان هدفه اطفاء نور الله والقضاء على رسوله محمد ﷺ .

وتجمع بشري أو تجمعات بشرية تهدف لاطفاء نور الله لا يمكن ان تكون مشروعة في الإسلام

٢ - الآية التي تحمل الرقم ١ تفيد بأن محمداً على بينة من ربه ، وكل الذين يقفون ضده هم من الاحزاب سواء أكانوا من مشركي العرب أو من غيرهم . ولأنهم لا يوجد بينهم رباط مشترك أو فكر مشترك ، لذلك سموأ أحزابا ، فمصير من يكذب محمداً منهم بالنار .

٣ - الآية التي تحمل الرقم ٢ تنوه بالذين آمنوا مع محمد من العرب ومن بني اسرائيل وبأنهم آمنوا بكل ما انزل إلى النبي ، وتعيب على الفئة التي أوتيت الكتاب من بني اسرائيل انكارها لبعض ما انزل على محمد وإيمانها ببعض ، وتلك خصلة مذمومة في الإسلام . يقول تعالى : ﴿ افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ﴾ .

٤ - وكلمة الاحزاب الواردة في الآية رقم ٣ هم الذين اختلفوا وهم الذين كفروا ويتهددهم الله بالمشهد العظيم .

٥ - الآية التي تحمل الرقم ٦ هم الذين كفروا وساروا على درب الكافرين .

٦ - الآية التي تحمل الرقم ٧ هم الذين عوقبوا بكفرهم بالانبياء .

٧ - الآية التي تحمل الرقم ٨ فهم الذين ظلموا انفسهم بشأن عيسى ، وهم نفس الفئات المنوه عنهم بالآية رقم ٣ .

٨ - اما الآية العاشرة فيشار بها إلى الاحزاب كتجمع يقف بمواجهة جند الله .

— حكم الإسلام على نظام تعددية الاحزاب :

تلاحظ ان كلمة الاحزاب جاءت تعبيراً عن الكفر، وعن انكار الحق ، وعن الاختلاف ، وعن الرعب ، وعن الكذب ، وعن الوقوف ضد الحق .

وفي الآيات الكثيرة التي اوردناها فيما مضى ، فان كلمة الاحزاب دلت

وابرزت صفات مجموعات مشبوهة تجمعت ضد الخير، وضد الحق . والرباط الوحيد المشترك بينها هو انها ضد الحق وضد الخير، واتجاه تلك المجموعات اتجاه خاطئ ، فهدفها معاداة الحق ومعاداة الانبياء وما جاؤوا به . ولم ترد كلمة الاحزاب ولو مرة واحدة في القرآن الكريم كدليل على خير .

.وهذا قمة التنفير من كلمة الاحزاب وبالتالي من نظام تعددية الاحزاب . وعليه فان نظام تعددية الاحزاب في النظام السياسي الإسلامي غير وارد قطعاً ومحظور .

٢ - موقف النظام السياسي الإسلامي من نظام ثنائية الاحزاب :

وردت كلمة حزبين في القرآن الكريم مرة واحدة وهي : ﴿ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين احصى لما لبثوا امدا﴾^(١) .

ومجمل الآية ان احد الحزبين يعرف الحقيقة أو المفترض ان يعرفها، فهو بالتالي على صواب، وان الحزب الآخر لا يعرف الحقيقة فهو على خطأ .

ومن ناحية ثانية فان الحقيقة جاءت من الله ورصدت له . وان المعرفة الحقيقية هي من عند الله وحده، فالحزب الذي يقف مع الله ويتلقى الحقيقة من عنده هو الحزب الجدير بالمعرفة والجدير بالبقاء ، اما الحزب الآخر فهو تجمع لا طائل منه لأنه مخمن ليس إلا .

— حكم الإسلام على ثنائية الاحزاب :

الحزب الذي يقف مع الله هو الحزب الذي ينبغي ان يسود، ولا وجود لحزب آخر في النظام السياسي الإسلامي ، إلا اذا كان خاضعاً لنظام الدولة ، مطيعاً لشريعتها، موالياً لامامها، وهذا يسلبه مبررات بقائه ويؤدي لزواله وبالتالي لاحتية وجود الحزب الواحد .

ومن الممكن تصور حزب آخر لأهل الذمة فقط العائشين في مجتمع دولة الأيمان .

(١) سورة الكهف آية ١٢ .

موقف النظام السياسي الإسلامي من نظام الحزب الواحد

— الحزب الواحد في القرآن الكريم :

١ - حزب الشيطان : وردت كلمة حزب الشيطان في القرآن الكريم مرتين في اللفظ ومرة بالمعنى . بداية .

بداية السياق : تولوا قوماً غضب الله عليهم^(١) .

وقد حدد القرآن المعالم الرئيسة لهذا الحزب ووصف اعضاءه وصفا يميزهم عن غيرهم .

— مميزات اعضاء حزب الشيطان :

١ - تولوا قوما غضب الله عليهم^(١) .

٢ - اتخذوا ايمانهم جنة ليجردوا عن سبيل الله^(٢) .

٣ - استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله^(٣) .

هذه الصفات الثلاث هي السمة التي تميز اعضاء حزب الشيطان عن غيرهم .
قال تعالى : ﴿ اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾^(٤) . ﴿ ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير ﴾^(٥) .

ونلاحظ ان الصفة البارزة لعضوية حزب الشيطان هي انهم تولوا قوما غضب الله عليهم ، ولم يتولوا رسول الله أو وليه من بعده ، أي ان قادة هذا الحزب ليست رسول الله ولا الذين آمنوا أي وليه من بعده ، أي انهم من الناحية الحقيقية لا يسلمون بولاية رسول الله لهم ، ولا بولاية وليه من بعده .

انهم صدوا عن سبيل الله ، وسبيل الله هي قيادة الرسول ﷺ أو من ينبيه ولياً بعده ، فتراهم متشككين بالقيادة المحمدية أو بالولاية من بعده ، ويرون كما يسول لهم الشيطان ان القيادة لا ينبغي ان تكون لمحمد ، ولا لوليه من بعده . .

(١-٣) سورة المجادلة الآيات من ١٣-١٩ .

(٤) سورة المجادلة الآيات من ١٣-١٩ .

(٥) سورة فاطر آية ٥٠ .

وان هؤلاء نسوا ذكر الله ، فكتاب الله ذكر وحديث رسول الله بيان لهذا الذكر وكأنه جزء منه . وذكر الله الزمهم لويذكرون باطاعة رسول الله واتخاذهم ولياً لهم ، لأن من يطع الرسول ، حسب قواعد الذكر ، تماماً كمن يطع الله .

وهم يعلمون انهم كاذبون ، ولكنهم اتخذوا ايمانهم جنة أي وسيلة لاختفاء كذبهم وتفرقهم بين الله وبين رسوله . ولكثرة ترددهم لهذا الكذب تصوروا انهم على الحق ، انهم يرفعون شعارات الحق ويريدون بها باطلا .

هذه الصفات هي التي جعلت من المؤمنين بها ، والمتحليين بها والفاعلين لها اتباعاً للشيطان واعضاء لحزبه .

— حكم الإسلام على حزب الشيطان :

من الطبيعي ان الإسلام لا يسمح بقيام حزب يطلق على نفسه حزب الشيطان . واعضاء الحزب انفسهم يرفضون ان يسموا بهذا الاسم .

والإسلام لا يسمح لأعضاء هذا الحزب بأن يتخذوا لهم قيادة غير قيادة رسول الله أوليه من بعده . ولا يسمح لهم باستبدال ذكر الله بأفكار من عند اعضائه .

ولكنه يسمح لأعضاء الحزب بالاقامة في موطنهم اذا اعلنوا خضوعهم لقيادة النبي أو لقيادة الولي من بعده والتزموا ، ولو ظاهرياً ، بالذكر والنطق بالشهادتين والقيام بالواجبات الدينية ولو ظاهرياً .

فاذا فعلوا ذلك عصموا دماءهم مما يحولهم إلى اعداد لا قيمة لهم ما دام حزب الله مستمراً .

وهذا يفتح امام اعضاء هذا الحزب ابواب التوبة للرجوع إلى الله قلباً وقالباً وموالاة الله ورسوله أو ولي الرسول من بعده .

لكن وجود اعضاء هذا الحزب في مجتمع الايمان يشكل دماراً حقيقياً إذا تفرق حزب الله ، خاصة وان الامور لا تجري بهذه البساطة ، فبعد الله بن أبي يعرض على الرسول ان يكون في ضيافته عندما قدم إلى المدينة ويقول للرسول : صلى الله عليك يا رسول الله وآلك وسلم . وينفس الوقت ينسق مع اعداء الإسلام اليهود ويحاول ان يكيد للرسول بالخفاء ولا يعترف بقيادته من الناحية القلبية .

ومعاوية بن أبي سفيان يرفع شعار، يجب ان يعاقب قتلة عثمان، ويقول له الامام علي، ادخل في الطاعة وحاكم القوم إلى احكم بينكم بالحق، ومع هذا يستمر بعرض القميص على الجماهير ويطالب بمعاقة قتلة عثمان، ويشق عصا الطاعة للولي.

وعندما يقتل عمار بن ياسر ويواجه بحقيقة ان الفئة الباغية هي التي تقتل عمار، كما اخبر الرسول ﷺ، ويذكره عمرو بن العاص بهذا الحديث فيذهل معاوية ويصيح بعمره (قبحك الله من شيخ، اننا الفئة الباغية بدم عثمان). اي المطالبة بدم عثمان، كما يروي ابن الاثير في باب مقتل عمار من تاريخه.

اي ان الشعارات التي ترفع هي شعارات حق ولكنها تهدف في النهاية الى زعزعة اركان الحق والتشكيك بولي رسول الله من بعده. بهدف الحصول على مغنم دنيوي، فمعاوية كان يريد الامارة ويعد لها، وقد حصل عليها بعد ان دمر دولة الخلافة وزعزع اركان الاسلام زعزعة هائلة.

ويجدر بالذكر ان حزب الشيطان لا يكون إلا عندما يكون هنالك حزب الله. فهو بمواجهة حزب الله يرفع شعارات يعلم انها كاذبة ولكن بقصد استقطاب الغافلين وتقويض الدين وتدمير قادة المؤمنين أو سبيلهم أو على الاقل ليحل محل القيادة.

قال تعالى: ﴿الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم، ما هم منكم، ولا منهم، ويحلفون على الكذب وهم يعلمون. اعد الله لهم عذابا شديدا، انهم ساء ما كانوا يعملون. اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين. لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا، اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون. يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء إلا انهم هم الكاذبون. استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون﴾. ﴿ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير﴾.

الفصل الثاني

— حزب الله :

وردت كلمة حزب الله في القرآن الكريم مرتين :

- أ - ﴿انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون. ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم المفلحون﴾^(١).
- ب - ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشريتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون﴾^(٢).

— مفهوم هاتين الآيتين :

- ١ - ان قيادة حزب الله هي لله، وللذين آمنوا. وعبر القرآن عن هذه القيادة بالولي أو التولي.
- ٢ - ان صفات قيادة حزب الله بعد الله ورسوله هي انهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم في حالة ركوع أي ان الزكاة تتم اثناء الركوع.
- ٣ - انهم يحددون موقفهم من كل الناس بما فيهم الآباء والأبناء والأخوان والعشيرة على ضوء موقف هؤلاء من الله ورسوله، فاذا احبوا «أي هؤلاء الاقارب» الله ورسوله والذين آمنوا «وهم القيادة التي تأتي بعد الرسول» احبهم، وان كرهوا «اي الاقارب» الله ورسوله كرههم.
- ٤ - ويبدو جليا ان الآية الأولى تصف القيادة والآية الثانية تصف الاتباع.
- ٥ - ان كلمة الله هنا تعني الإسلام برمته، وكلمة الرسول قرآنه وسنته تعني قيادته الشخصية، وبالتالي تعني النظام السياسي الإسلامي كاملاً.

(١) سورة المائدة آية ٥٤-٥٥.

(٢) سورة المجادلة آية ٢٢.

الفارق الدقيق بين حزب الله وحزب الشيطان :

يكمن الفارق الدقيق بين حزب الله وحزب الشيطان .

١ - ان اعضاء حزب الله وليهم الله ورسوله والذين آمنوا ، بينما اعضاء حزب الشيطان تولوا قوما غضب الله عليهم اي لم يتولوا الله ، ولم يتولوا رسوله ، ولم يتولوا الذين آمنوا .

بتعبير ادق ان اعضاء حزب الشيطان تولوا ولاية غير ولاية الله ورسوله والذين آمنوا .

— الاشكالات :

١ - الاشكال اللغوي : كلمة الولي والولاية هي المفتاح والتولية بهاتين الآيتين تعني القيادة قولاً واحداً لغة واصطلاحاً .

— من هو الحكم في فهم كلمة الولاية :

في اللغة : للولي معاني كثيرة ، ومن هذه المعاني الامارة والقيادة . وحسماً للنزاع فاننا نلجأ إلى ثلاثة من كبار المسلمين وهم أبوبكر وعمر وعائشة رضي الله عنهم . فمكاثتهم عند المسلمين خاصة أهل السنة ، تشبه مكانة الانبياء ، حتى ان رجال الفقه السياسي الإسلامي اذا لم يجدوا لأمر من الأمور مخرجاً يقولون : هكذا فعل أبوبكر أو هكذا فعل عمر ، أو هكذا فعل الاثنان ، أو هكذا قالت عائشة أو فعلت ، فتحول قولهم وفعلهم عند هؤلاء الفقهاء إلى شرع بما للكلمة من معنى وابرز مثال على ذلك ولاية العهد . فهناك اجماع بين منظري السياسة ان السند الشرعي المعتبر لولاية العهد هي فعل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

والخلاصة ان هؤلاء الثلاثة يصلحون علمياً ليرجع اليهم مدلول كلمة التولية . يقول أبوبكر عندما استخلف عمر (انه ما ولي ذي قرابة)^(١) . استعمل كلمة التولية لبيان عملية استخلافه لعمر . وقال بنفس المعنى ، اني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب^(٢) ، وقال أبوبكر في كلمة وجهها إلى العباس بن عبدالمطلب (ان

(١) راجع الإمامة والسياسة ص ١٩ لابن قتيبة الدينوري .

(٢) راجع تاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٢٩ .

الله قد بعث محمدا ﷺ نبيا وللمؤمنين ولياً^(١) ويقصد بالولي هنا الحاكم والقائد.
ويقول عمر: لو ادركت ابا عبيدة استخلفته ووليته فاذا سألتني ربي من وليت
على امة محمد...^(٢).

وقد ذكر كلمة التولية في نفس السياق ثلاث مرات وهو يعني بها استخلاف
رجل من بعده لامارة المسلمين وقيادتهم.

ثم ها هي عائشة تقول لعمر استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملاً^(٣).
فالولي المقصود في تلك الآيات هو الخليفة أو الامام الذي يتولى أمور
المسلمين وهذا واضح من بيان النبي ﷺ ومن اجماع المفسرين على ذلك، ومن فهم
أبي بكر وعمر وعائشة لكلمة التولية.

— الاشكال اللغوي الثاني:

وهو معنى الذين آمنوا في آية الولاية بمن نزلت آية الولاية؟
الاحاديث الصحاح متواترة عن طريق أهل البيت بأن آية الولاية نزلت في علي
بن أبي طالب عليه السلام.
وكما تعود الناس بعكس أوامر النبي ﷺ فترك أهل البيت جانبا ونجاري الناس
ونرجع ونعتمد على ما وصلنا عن طريق غيرهم^(٤).

(١) راجع الإمامة والسياسة ص ١٥.

(٢-٣) راجع الإمامة والسياسة ص ٢٣-٢٤.

(٤) راجع صحيح نسائي وتفسير سورة المائدة من كتاب الجمع بين الصحاح السنة وراجع تفسير هذه الآية
من كتاب أسباب النزول للواحدي وقد أخرجه الخطيب في المتفق وراجع مسندي ابن مردويه وأبي
الشيخ وراجع الحديث ٥٩٩١ من أحاديث الكنز ص ٣٩١ ج ٦ وراجع مسند الإمام أحمد ج ٥
ص ٥٣٨ من الهامش وراجع الحديث ٦١٣٧ من أحاديث الكنز ج ٦ ص ٤٠٥ وهناك اجماع بين
المفسرين ونقل اجماعهم غير واحد كالإمام القوشجي في مبحث الإمامة والتجريد وراجع غاية المرام
تجد ٢٤ حديثاً عن طريق أهل السنة تثبت أن هذه الآية نزلت في علي وراجع تفسير الإمام أبي اسحق
أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي الذي قال عنه فلكان في وفاته (إنه أوحد زمانه).

— اسباب نزول آية الولاية :

قلنا ان هنالك اجماع على ان هذه الآية (آية الولاية) نزلت في علي . وسقنا الكثير من مراجع أهل السنة المعتمدة :

أما سبب نزول هذه الآية ، فقد ذكر الإمام أبي اسحاق أحمد بن محمد إبراهيم النيسابوري الثعلبي الذي قال عنه ابن خلكان في وفياته أنه أوحى زمانه في التفسير قال الثعلبي في تفسيره :

ان سبب نزول آية الولاية ان علياً تصدق بخاتمه وهوراعه ، كما هو مفصل في تفسير الثعلبي .

هنالك دعا محمد ربه بالدعاء الذي دعا فيه موسى ربه والوارد في القرآن الكريم إلى ان قال واجعل لي وزيراً من أهلي ، علياً اشد به ظهري .

قال أبوذر والله ما اتم الرسول دعاءه حتى نزل عليه جبريل ومعه آية الولاية . «طالما ان المقصود بالذين آمنوا علياً ، فلماذا يذكره بصيغة الجمع ؟ هل يعني ان القيادة في النظام السياسي الإسلامي ليست جماعية . اذن لم عبّر الله عن علي بالذين آمنوا فذكره بصيغة الجمع ؟ العرب يعبرون عن المفرد بالجمع لنكتة تستوجب ذلك . فالله سبحانه وتعالى عبّر عن علي بالجمع وهو مفرد لنكتة استوجبت ذلك . وهذه الآية عنت ان علياً هو ولي الأمة من بعد الرسول .

— ما هو الدليل على ان المفرد يعبر عنه بالجمع :

١ - قال تعالى : ﴿الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم﴾ . فقد كان القائل نعيم بن مسعود الاشجعي باجماع المفسرين والمحدثين وأهل الاخبار ، فأطلق الله على نعيم ، وهو مفرد ، لفظ الناس وهو جمع ، تعظيماً لشأن الذين لم يصغوا لقوله .

٢ - وقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم﴾ . فقد كان الذي بسط يده رجل واحد من بني محارب قال له غورت وقيل انما هو عمرو بن جحاس من بني النضير استل سيفه فهم ان يضرب به رسول الله فمنعه الله .

وقد اطلق الله على ذلك الرجل لفظ قوم وهي للجماعة تعظيماً لنعمة الله عليهم بسلامة نبيهم . ذكر ذلك المحدثون والمفسرون وأهل الاخبار^(١) .

٣ - ثم انظر إلى آية المباهلة ، فقط اطلق الله لفظ الابناء والانفس والنساء وهي حقيقة في العموم على علي وفاطمة وحسن وحسين بالخصوص اجماعاً وقولاً واحداً تعظيماً لشأنهم عليهم السلام .

وتلك ادلة قاطعة على جواز اطلاق لفظ الجماعة على المفرد لنكتة بيانية . فكلمة (الذين آمنوا) لا تنفي حقيقة ان الآية نزلت في علي وهي مختصة به . ما هي النكتة البلاغية في اطلاق لفظ الجماعة (الذين آمنوا) على علي وحده وهو مفرد؟

١ - برأي الامام الطبرسي في تفسير الآية من مجمع البيان المقصود تفخيمه وتعظيمه ، لأن أهل اللغة يعبرون بلفظ الجمع على الواحد على سبيل التعظيم . وقال ان ذلك اشهر في كلامهم من ان يحتاج الى الاستدلال عليه .

٢ - برأي الزمخشري في كشفه في معرض تفسير هذه الآية قال : ان الله اطلق على الامام علي لفظ الجماعة فقال الذين آمنوا وهو مفرد ليرغب الناس في مثل فعله حتى وهو في الصلاة لن يؤخر الزكاة إلى الفراغ من الصلاة .

٣ - وذكر الامام شرف الدين العاملي في مراجعته التي اخذنا منها هذا التحليل رغبة بوضع الحقيقة تحت تصرف طلابها .

قول الامام العاملي : ان الله اتى بلفظ الجماعة دون المفرد بقيامه على كثير من الناس ، فان شائني علي واعداء بني هاشم وسائر المنافقين واهل الحسد لا يطبقون ان يسمعوها بصيغة المفرد ، اذ لا يبقى لهم حينئذ مطمع في تمويهه ، فيكون منهم ما يخشى عواقبه على الإسلام فجاءت الآية بصيغة الجمع مع كونها مفرد اتقاء معرفتهم^(٢) .

(١) راجع سيرة ابن هشام ج ٣ غزوة ذات الرقاع .

(٢) راجع المراجعات ص ١٩٣-١٩٥ للإمام شرف الدين العاملي .

— هل في السنة النبوية ما يثبت ان احدا من الصحابة قاطبة اطلق عليه لفظ الولي أو ولي؟

نتحدى الدنيا كلها ان تثبت بحديث أو اشارة من علم ان أي صحابي على الاطلاق قال الرسول له أنه ولي أو الولي أو أي لفظة من اشتقاقه الولي .

هل في السنة النبوية ما يثبت ان علياً هو الولي أو الخليفة أو القائد الذي تصح طاعته رمزا لعضوية حزب الله ومعاداته وعدم طاعته رمزا لعضوية حزب الشيطان؟

نعم ، ما سقناه في باب تسمية الامام وبالتحديد موقف الشرع من تسمية الامام كاف جدا فليرجع اليه ومع هذا سنذكر بعضه ملخصا .

قال ﷺ عن علي : «ان هذا اخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا»^(١).

(١) راجع ص ١٥٥ من المراجعات للإمام العاملي وراجع تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٢٧ وراجع تاريخ ابن الأثير ج ٢ ص ٢٢ وراجع تاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١١٦ وراجع نقض العثمانية للإمام أبي جعفر الاسكافي ص ٢٥٧ وراجع ص ٢٨١ و ٢٦٦٣ مجلد ٣ من شرح النهج الحديدي ص ٢٥٧ - ٢٨١ من شرح النهج ج ٣ وراجع ص ٢٨١ في باب استخفاء الرسول بدار الأرقم ص ٤ من ذلك الباب و ص ٣٨١ ج ١ من السيرة الحلبية وراجع عدد جريدة السياسة لمحمد حسين هيكل عمود ٢ ص ٥ من الملحق للعدد ٢٧٥١ الصادر في ١٢ ذي القعدة ١٣٥٠ هـ والعدد ٢٧٨٥ من جريدة السياسة ونقل هذا الحديث عن مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده وعبدالله بن أحمد في زيادات المسند وابن حجر الهيثمي في جمع الفوائد وابن قتيبة في عيون الأخبار وابن عبدبر في العقد الفريد وعمرو بن الجاحظ في رسالته عن بني هاشم والإمام أبي اسحق الثعلبي في تفسيره وراجع مقالة في الإسلام ص ٧٩ لجرجس الانكليزي الذي نقله عما يسمي نفسه بهاشم العرب واختصره توماس كارليل في كتابه الأبطال وأخرجه بهذا المعنى الطماوي والضياء المقدسي في المختارة وسعيد بن منصور في السنن وراجع ص ١١١ و ١٥٩ ج ١ من مسند الإمام أحمد و ص ٣٣١ ج ١ من المسند أيضاً وراجع النسائي ص ٦ من الخصائص العلوية والحاكم ص ١٣٢ من المستدرک وأخرجه الذهبي في تلخيصه معترفاً بصحته وراجع ص ٣٩٦ ج ٦ من كنز العمال الحديث ٦٠٤٥ والحديث ٦٠٥٦ من ص ٣٩٧ والحديث ٦١٠٢ ص ٤٠٤ والحديث ٦١٥٥ ص ٤٠٨ وراجع ص ٢٥٥ من شرح النهج وهذا حديث صحيح عن طريق أهل السنة فابن جرير وأبو جعفر الاسكافي أرسلوا صحته ارسال المسلمات ، راجع الحديث ٦٠٤٥ ص ٣٩٦ ج ٦ تجد تصحيح ابن جرير ومنتخب الكثر ص ٤٤ ج ٥ من مسند الإمام أحمد تجد تصحيح ابن جرير أيضاً وراجع ص ١١ ج ١ من مسند الإمام أحمد .

وبفضل الله فان كلمة اخي معروفة ، وكلمة وصي معروفة ومستقرة وكلمة خليفة معروفة تماماً .

ولا بدليل عند الذين ينكرون ذلك غير التأويل وكيف يسعفهم تأويل الواضحات .

- ٢ - قوله ﷺ لعلي : انت ولي في الدنيا والآخرة^(١).
- ٣ - وقوله ﷺ : ان علياً مني وانا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي^(٢).
- ٤ - قال الرسول ﷺ لرجل اشتكى على علي : لا تقع في علي فانه مني وانا منه وهو وليكم بعدي^(٣).
- ٥ - قال ﷺ : اما علمت ان لعلي اكثر من الجارية وانه وليكم بعدي^(٤).

(١) راجع ص ١٦٣ - ١٦٤ من المراجعات وصرح الذهبي على نعتته بصحته في تلخيص المستدرك ص ٢٦ وابن حجر الهيتمي على محاربته ذكره في صواعقه ص ١١ باب ١٢ وأخرجه مسلم في فضائل علي ص ٢٤ ج ٢ من صحيحه والحاكم في ص ١٠٩ ج ٣ من مستدركه وابن حجر في باب ١ ص ١٠٧ وقال ان الإمام أحمد أخرجه وصححه وأخرجه صاحب الجمع بين الصحيحين في فضائل علي وفي غزوة تبوك وهو موجود في غزوة تبوك من صحيح بخاري ص ٥٨ ج ٢ وراجع صحيح مسلم ص ٣٢٣ ج ٢ وص ٢٨ ج ١ وص ١٠٩ ج ٢ وراجع مسند الإمام أحمد ص ١٧٢ و ١٧٥ و ١٧٧ و ١٧٩ و ١٨٢ و ١٨٥ و ١٨٥ ج ١ وص ٣٣١ و ٢٦٩ وص ٤٣٨ ج ١ من المسند وص ٣٢ ج ٣ من المسند، وراجع المقصد ٥ من مقاصد الآية ١٤ من باب ١١ الصواعق المحرقة ص ١٠٧ وراجع ابن حجر في الحديث الأول عن الأربعين حديثاً التي أوردها في الفصل الثاني باب ٩ ص ٧٢ من الصواعق وذكره السيوطي في أحوال علي من تاريخ الخلفاء وذكره الطبراني والبزار في مسنده كما ذكر السيوطي في ص ٦٥ من تاريخ الخلفاء وذكره الترمذي وصححه كما يدل الحديث ٢٥٠٤ من الكنز وراجع كنز العمال ص ١٥٢ ج ٦ الحديث ٢٥٠٤ ، وأورده ابن عبد البر في أحوال علي من الاستيعاب .

(٢) أخرجه النسائي في خصائصه وأحمد بن حنبل في مسنده ص ٤٣٨ ج ٤ والحاكم في مستدركه وأخرجه بن أبي شيبه وابن جرير والتمتقي الهندي ص ٤٠٠ ج ٦ من الكنز والترمذي ونقله علامة المعتزلة في شرحه ج ٢ ص ٤٥٠ .

(٣) راجع مسند الإمام أحمد ص ٢٥٦ وص ٣٤٧ ج ٢ وص ١١٠ ج ٣ من المستدرك للحاكم ص ٤٣٨ ج ٢ من مسند الإمام أحمد وأخرجه الطبراني بتفصيل وقال : من أبغض علياً فقد أبغضني ومن فارق علياً فقد فارقني ، إن علياً مني وأنا منه ، خلق من طيبي وأنا خلقت من طيبته إبراهيم وأنا أفضل من إبراهيم ذرية بعضها من بعض .

(٤) راجع ابن حجر في ص ١٠٣ من الصواعق وص ٢٩٨ ج ٦ من كنز العمال وص ١٨٥ من المراجعات .

- ٦ - قال ﷺ لعلي : انت ولي كل مؤمن بعدي^(١).
- ٧ - قال ﷺ : يا علي سألت الله فيك خمسا فأعطاني في اربعة . . . واعطاني انك ولي المؤمنين من بعدي^(٢).
- ٨ - قال ﷺ : الست اولى بالمؤمنين من انفسهم ؟ قالوا بلى قال من كنت وليه فهذا علي وليه^(٣).
- ٩ - قال ﷺ لأحد اصحابه : لا تقل هذا لعلي فانه وليكم بعدي . وقال في رواية ، فهو اولى الناس بكم بعدي^(٤).
- ١٠ - قال ﷺ : علي مني وانا من علي ولا يؤدى عني الا أنا أو علي^(٥).
- ١١ - قال ﷺ : من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن اطاع علياً فقد اطاعني ، ومن عصى علياً فقد عصاني^(٦).
- ١٢ - قال ﷺ : يا علي من فارقتني فقد فارق الله ، ومن فارقك فقد فارقتني^(٧).
- ١٣ - قال ﷺ : من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه^(٨).

-
- (١) راجع ص ١٣٤ ج ٣ من المستدرك والذهبي في تلخيصه والنسائي في الخصائص العلوية ص ٦ والإمام أحمد في مسنده ص ٣٣١.
- (٢) راجع الحديث ٦٠٤٨ ص ٣٩٦ ج ٦ من الكنز.
- (٣) راجع ص ٣٩٧ ج ٦ من الكنز وص ١٨٧ من المراجعات.
- (٤) راجع الحديث ٢٥٧٥ ص ١٥٥ ج ٦ من الكنز وأخرجه ابن أبي عاصم مرفوعاً عن علي .
- (٥) أخرجه ابن ماجه ص ٩٢ ج ١ من سننه والترمذي والنسائي في صحيحيهما وهو الحديث ٢٥٣١ من الكنز ص ١٥٣ ج ٦ وص ١٦٤ ج ٢ من مسند الإمام أحمد وص ١٥١ ج ١ من المسند أيضاً.
- (٦) أخرجه الحاكم في ص ١٢١ ج ٣ من المستدرك.
- (٧) أخرجه الحاكم ص ١٢٤ ج ٣ من المستدرك.
- (٨) أخرجه الحاكم ص ٥٣٣ ج ٣ من المستدرك وراجع ص ٣٧٢ من مسند الإمام أحمد وص ٤ من الخصائص العلوية للنسائي وص ٢٥ وراجع تفسير آية ﴿فإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ للواحدي وراجع كتاب نزول القرآن - الفوائد للإمام إبراهيم بن محمد الحموني الشافعي ويعتبر يوم ١٨ ذي الحجة عيداً عند الشيعة شكراً لله على حديث القدير ، وحديث الغدير صحيح اعترف الذهبي بصحته راجع غاية المراجع النسائي والطبراني والبخاري والسيوطي والحلي ص ٢١٤ وابن حجر ص ٥ والمسند لأحمد ص ٢٣١ ج ١ وص ٢٨١ ج ٤ من السيرة الحلبية وهامش المسند ص ١٩ ج ٥ وص ٨٩ من غاية المرام .

هل ورد في القرآن أو في السنة ما يثبت أن غير علي هو الولي أو القائد أو الخليفة حتى تصبح طاعة هذا الغير طاعة لله وبالتالي رمزا لعضوية حزب الله ومعصيته رمزا لعضوية حزب الشيطان؟

الجواب، لا لم يرد على لسان الرسول ﷺ ان اطلق لفظ ولي أو لفظ خليفة أو قائد «بمعنى رئاسة الدولة» على أي واحد من الصحابة بالذات .

معك الدنيا طولا وعرضا، وفوقا وتحتا، ومعك الجن والانس، اجتمعوا جميعا وآتوني بآشارة من علم بان الرسول اطلق لفظ الولي على صحابي بذاته قط .

هذا على الرغم من ان دولة الإسلام التاريخية كأى دولة كانت تسيطر سيطرة كاملة على وسائل الاعلام بما فيها طريقة رواية الحديث، ومن يرويه تستطيع ان تزكيه الدولة أو ان لا تعيب عليه على الأقل .

ومع الاخذ بعين الاعتبار ان مسبة علي على المنابر كانت واجب ديني على ائمة الصلاة ومع الاخذ بعين الاعتبار بان علياً كان يقود المعارضة .

ومع الاخذ بعين الاعتبار بان عليا قد قتل قتلا، وان الحسن قد قتل قتلا، وان الحسين قد قتل قتلا .

هذا مع العلم بان حجر بن عدي واصحابه المخبتين قد قتلهم معاوية بن أبي سفيان، لانهم على دين علي، كما يروي الثقات من المؤرخين، كالطبري وابن الاثير وابن قتيبة الدينوري .

— كيف نعرف اعضاء حزب الله حال حياة الرسول :

١ - من يطع الرسول ويتبعه ولا يعصيه ويسلم بانه ولي المؤمنين فهو من حزب الله ، لانه من اطاع الرسول فقد اطاع الله ، ومن عصى الرسول فقد عصى الله . فالرسول اعرف خلق الله بكتاب الله ، لأنه أوتي القرآن مثله ومثله . فمن قال بانه يعرف القرآن اكثر من رسول الله فقد كفر، لأن الرسول بعث ليبين للناس ما انزل اليهم . فالعضو في حزب الله يقول رأيه، لكن الرسول والولي هو الذي يقدر هذا الرأي وقيمته لأن الهدف ليس ابداء الرأي وانما الهدف الوصول إلى الغاية من امره .

والرسول اقدر على فهم الغاية الشرعية من سواه واقدر على فهم شرعية

الوسيلة . في زمن الرسول ، حزب الله هم الذين اتبعوه ولم يعصوه . فلا اشكال على معرفة اعضاء حزب الله في زمن الرسول ، انما الاشكال بعد وفاته .

وقد تبين لنا ان الولي بعد الرسول هو علي بنص القرآن الكريم . وقد تبين أيضاً ان الولي بعد الرسول هو علي بنص السنة المطهرة . وقد تبين بنص السنة المطهرة ان من اطاع علياً فقد اطاع الله وقد اطاع الرسول ، وبالتالي من اطاع علياً فهو من حزب الله ، ومن عصى علياً فقد عصى الرسول ومن يعصي الرسول فهو من حزب الشيطان .
— لماذا علي بالذات؟

لان الله اختاره كما اثبتنا .
لأن الرسول اعلن هذا الاختيار واكده كما اثبتنا .
لأن الرسول اعلن عصمة علي كما اثبتنا ، فهو دائماً مع القرآن والقرآن معه .
كيف نعرف اعضاء حزب الله بعد وفاة الرسول؟

لوضربنا عرض الحائط بالنصوص والشرعية الدامغة التي سقناها ، والتي تثبت ان علياً هو ولي المؤمنين ، وبالتالي طاعة علي هي طاعة الرسول وهي برهان على ان المطيع عضوفي حزب الله ، ومعصية علي هي معصية لرسول الله ، وبالتالي برهان باذ ، العاصي هو عضوفي حزب الشيطان .

لورميننا عرض الحائط بالنصوص الآخذة بالاعناق واهملناها مجاملة للتيار القبلي الذي ساد والقائل بانه لا يجوز ان يجمع بنو هاشم مع النبوة الملك ، فاننا بهذه الحالة بحاجة إلى رجل دائماً مع القرآن ، دائماً مع الحق يدور الحق معه حيث دار ، بحاجة إلى بحر من العلم اللدني من الله لا بالاجتهاد ، انما بالنص الشرعي . وبهذه الحالة كأن الناس يقولون انهم يرفضون اختيار الله ويختارون لأنفسهم وبهذه تهز فكرة الايمان هزا عنيفاً .

وهنا أيضاً تتناقض هذه الأمور مع مبدأ تمام الدين وكمالهِ وتمام النعمة ، لانه ليس من المعقول ان يموت الرسول ، الرحيم بأمته ، دون ان يبين لها هذا الرجل الذي يميز لنا الله بطاعته اعضاء حزب الله وبمعصيته اعضاء حزب الشيطان .

فأبو بكر يتصدق ويصلي ويصوم ، وعبدالله بن أبي يتصدق ويصلي ويصوم ،

ومعروف الآن كل واحد من الاثنين، هذا تقي، وذاك منافق، لأن الرسول أخبرنا بذلك لأن الله أنبأنا عنهما بواسطة رسوله.

— لا بد من وجود مقياس موضوعي :

رئيس للحزب مطاع، ونظام للحزب متبع، هذا هو المقياس. في زمن الرسول الرئيس الشرعي للحزب هو الرسول، والنظام الشرعي للحزب هو كلمة الله أو العقيدة والشرعة.

لكن بعد النبي، من هو الرئيس الشرعي للحزب حتى يطاع؟ وبالذقة من هو الولي لأن الذين يوالون الولي هم أعضاء حزب الله، والذين يتولون قوماً غير الولي هم أعضاء حزب الشيطان. هذا هو النص الصريح والواضح من القرآن كما ثبت من آية الولاية وفي سورة المجادلة.

هل هذا الولي أهل لتفسير نظام الحزب ونظام الحزب هو القرآن كله والسنة كلها؟ هذا امر لا يعلمه إلا الله ومن غير المعقول ان يوكل للبشرية أمر فوق طاقتها. وعليه فان الله يأبى ان يموت رسوله دون ان يعين من يبين للناس اذا اختلفوا، ومن يهديهم اذا ضلوا، من يقودهم في غياب القائد.

لا بد من وجود هذا الرجل حتى نعرف من هم الذين اتبعوه فكانوا أعضاء في حزب الله ومن هم الذين يخالفونه حتى يكونوا أعضاء في حزب الشيطان.

— ما هو معيار التفريق بين حزب الله وحزب الشيطان :

حزب الله وليهم محمد، كما ثبت بالنص وبالعقل. ومن بعد محمد علي، كما ثبت بالنص وبالعقل أيضاً. وحزب الشيطان وليهم قوم غضب الله عليهم كما اثبتنا.

ان لحزب الله سبيل واحد هو رسول الله، ومن بعده الذين آمنوا كما اثبتنا وهو علي بينما حزب الشيطان يتبعون ائمة مختلفين. ان حزب الله مرتبط بالله، وكلمة الله تعني الشريعة والعقيدة كلها. ومرتبطة بولي الرسول وولي الرسول هو علي، بينما حزب الشيطان مرتبط بالهوى وبحاكمه والحاكم اما ان يكون مرتبطاً بالهوى أو بالعقل أو بهما معاً، فالهوى أمر مزاجي لا تعرف نتائجه، والعقل عملية محدودة، وبالتالي

هو مخلوق ضعيف لا يؤتمن جانبه وحده .

بينما ولي حزب الله أوقائده مرتبط بالنظام الاساسي للحزب ، القرآن والسنة ، ويقوم بوظيفة الرسول . ومن وظائف الرسول البيان ، ومنع الناس من الانزلاق إلى الضلالة . وصفاته انه مع القرآن والقرآن معه .

وحقه انه السيد ، وانه الامام ، وانه العالم ، بينما امام حزب الشيطان أورئيسه في احسن الظروف قد يخطيء وقد يصيب ، وعلى الغالب مخطيء ، وأنه ضد البيان ، ضد الحق الالهي ، أو محرف له ، وان اقسم اغلظ الايمان .

والخلاصة يعرف اعضاء حزب الله بعد رسول الله بولائهم لولي الله وولي رسوله وهو علي بن أبي طالب . وموالاة المؤمنين بعد موته لوليه ، وهكذا . .

هذا الحكم الذي ينطق به صريح القرآن وصريح السنة اذا تركنا التقليد جانبا .

— ما الذي يثبت لنا ان علياً على الحق دائماً وما الذي يثبت لنا انه مبین لأئمة من بعد الرسول ، وما يثبت لنا انه الامام وانه السيد؟

١ - ما اثبتناه في باب تسمية الامام كاف بفضل الله .

٢ - وما اثبتناه في مستهل موضوع حزب الله كاف جدا . والآية المحكمة تدمغ كل مكابر .

٣ - ثم ان الله بيده الفضل يؤتیه من يشاء ، لماذا اذن لم ينزل القرآن على رجل من القريرتين عظيم؟ لماذا اذن كان محمد هو النبي وليس أبوسفیان؟ الم يكن أبوسفیان يتوقع ان يكون هو النبي لأنه من بني عبد مناف ، ولأنه حامل لواء قریش؟ أنتم تقسمون رحمة ربكم .

وعلاوة على ما اسلفنا ، فاننا نسوق الآن من النصوص ما يجبر الذين يكابرون بالحق على الابلاس والافلاس ، وما يجعلهم يقنعون لو ارادوا الهدى ، بان الله لم يترك امة محمدی سدى ، انما ترك لها علياً بعد النبي ولياً وهاديا .

— اجوبة تساؤلات المتشككين بولاية علي بالنصوص القاطعة :

هيو ان الله لم يأمر بتسمية علي ولياً ، ولم يعينه بعد النبي هاديا ومبيناً ، هيو انه

لا وجود لتلك النصوص القاطعة التي اسلفناها ووثقناها، وليس بوسعنا انكارها، فان في علي من المقومات ما يجعله ولياً للمؤمنين .

١ - علم الولي : قال عليه السلام : انا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب^(١).

قال عليه السلام : يا عمار، اذا رأيت علياً قد سلك واديا وسلك الناس وادياً غيره . فاسلك مع علي فانه لن يدلك على ردى، ولن يخرجك من هدى^(٢).

قال عليه السلام : ان منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله . . واخيراً قال الرسول عليه السلام انه علي^(٣).

قال عليه السلام : ابن ابي طالب يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين^(٤).

قال عليه السلام : يا علي، ستقاتل الفئة الباغية وانت على الحق فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني^(٥).

قال عليه السلام : يا علي لك سبع خصال لا يحتاجك بها احد، انت أول المؤمنين بالله، واوفاهم بعهد الله، واقومهم بأمر الله، وارأفهم بالرعية، واعلمهم بالقضية، واعظمهم منزلة^(٦).

قال عليه السلام : علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا على الحوض، وعلي مني بمنزلة رأسي من بدني^(٧).

(١) أخرجه الطبراني في الكبير وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير ص ١٠٧ وأخرجه الحاكم في مناقب علي ص ٢٢٦ ج ٢ من المستدرک.

(٢) أخرجه الترمذي في صحيحه وابن جرير وصاحب الكتف ص ٤٠١ ج ٦ من كثر العمال والسيوطي في حرف الهمزة من جامع الجوامع ومن الجامع الصغير ص ١٧٠ ج ١.

(٣) راجع ص ٧٢ من المراجعات للإمام العاملي.

(٤) راجع ص ١٥٦ ج ٦ من كثر العمال.

(٥) أخرجه الحاكم في مستدرکه ج ٢ ص ١٢٢ وأحمد بن حنبل في مسنده ص ٨٢ و ٣٣ ج ٣ وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان وراجع ص ١٥٥ ج ٦ من كثر العمال.

(٦) راجع ص ١٣٩ ج ٣ من المستدرک للحاكم.

(٧) أخرجه ابن عساكر راجع الحديث ٢٥٨٨ ص ١٥٥ ج ٦ من كثر العمال.

(٨) أخرجه أبو نعیم في حلیته راجع ص ١٥٦ ج ٦ من كثر العمال.

(٩) راجع الصواعق المحرقة ص ٧٥ لابن حجر الهيتمي وص ١٢٤ ج ٣ من المستدرک للحاكم وأخرجه الذهبي في تلخيصه.

قال ﷺ : كفي وكف علي في العدل سواء^(١).

قال عمر بن الخطاب : «علي اقضانا»^(٢).

وقال أيضاً لعلي : انت خيرهم فتوى^(٣).

وكان عمر يتعوذ من معضلة ليس فيها أبو حسن^(٤).

كان أبو بكر يجيد الشعر، وعمر يجيده، وعلي يجيده، وكان علي اشعر الثلاثة^(٥). وذلك علم لم ينله غيره، ولا يجاريه فيه احد، ومن المحال ان يؤتى هذا العلم عبثاً^(٦).

٢ - بيان الولي :

قال ﷺ لعلي : انت تؤدي عني ، وتسمعهم صوتي ، وتبين لهم ما اختلفوا فيه من بعدي^(٧).

قال ﷺ عن علي : انه رأيه الهدى ، وامام اوليائي ، ونور من اطاعني ، وهو الكلمة التي الزمتها المتقين^(٨).

قال ﷺ عن علي : هذا أول من آمن بي ، وأول من يصافحني يوم القيامة ، وهذا الصديق الاكبر ، وهذا فاروق هذه الأمة يفرق بين الحق والباطل ، وهذا يعسوب المؤمنين .

قال ﷺ : يا معشر الأنصار، الا ادلكم على ما ان تمسكتم به لن تضلوا ابداً، هذا علي فأحبوه بحبي وكرموا بكرامتي ، فان جبريل امرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل^(٩).

(١) راجع الحديث ٢٥٣٩ ص ١٥٣ ج ٦ من كنز العمال .

(٢) راجع الطبقات لابن سعد ج ٢ ص ٣٣٩ .

(٣) راجع الطبقات لابن سعد ج ٢ ص ٣٣٩ .

(٤) راجع الطبقات لابن سعد ج ٢ ص ٣٣٩ .

(٥) راجع صبح الاعشى في صناعة الانشاء للقلقشندي ج ١ ، وراجع تاريخ الخلفاء للسيوطي في باب علي .

(٦-٩) راجع الأدلة ص ١٣-١ في باب وحكم الشرع بتسمية الإمام نجد هذه الأحاديث موثقة .

٣ - الولي هو الامام وهو القائد وهو السيد :

قال ﷺ : علي قائد البررة قاتل الفجرة^(١).
قال ﷺ : اوصى الله الي في علي ثلاثة ، انه سيد المسلمين ، وامام المتقين ،
وقائد الغر المحجلين^(٢) .

قال ﷺ لعلي : مرحبا بسيد المسلمين ، وامام المتقين^(٣) .
قال ﷺ : اول من يدخل هذا الباب امام المتقين ، وسيد المسلمين ، ويعسوب
الدين وخاتم الوصيين^(٤) .
قال علي : ان الائمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم^(٥) .
وقال علي : حزبنا حزب الله ، والفئة الباغية حزب الشيطان ، ومن سوى بيننا
وبين عدونا فليس منا^(٦) .

٤ - الولي هو أخ النبي :

قال ﷺ : ان عليا مني لحمه من لحمي ، ودمه من دمي ، وهو مني بمنزلة
هارون من موسى^(٧) .
قال ﷺ : يا علي انت مني بمنزلة هارون من موسى^(٨) .
قال ﷺ : يا علي انت أول المؤمنين ايمانا واولهم اسلاما وانت مني بمنزلة
هارون من موسى^(٩) .

(١) راجع تفسير الإمام الثعلبي لأية الولاية وراجع ص ١٢٩ ج ٣ من المستدرك للحاكم وص ١٥٣ ج ٦ من
كتر العمال وراجع تفسير الزمخشري لأية الولاية .

(٢) راجع الحديث ٢٦٢٨ ص ١٥٧ ج ٦ من كتر العمال .

(٣) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ص ٤٥٠ ج ٢ والحديث ٢٦٢٧ ص ١٥٧ ج ٦ من الكثر .

(٤) أخرجه أبو نعيم راجع ص ٤٥٠ و ٤٤٩ ج ٢ من شرح النهج لعلامة المعتزلة بن أبي الحديد .

(٥-٦) راجع ص ١٨٥ و ١٥٦ ج ٢ من شرح النهج .

(٧) راجع الحديث ٢٥٥٤ ص ١٥٤ ج ٦ من الكثر وص ٣١ ج ٥ من مسند الإمام أحمد ، الهامش .

(٨) أخرجه النسائي في الخصائص العلوية ص ١٩ .

(٩) أخرجه الحسن بن بدر والحاكم في الكنى والبرازي في الألقاب ص ٦ وراجع الحديث ٦٠٢٩ و ٦٠٣٢
من الكثر ص ٣٩٥ ج ٦ .

قال ﷺ : يا علي انت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي^(١).
قال ﷺ : انت أخي ووزير تقضي ديني ، وتنجز مواعيدي وتبرئ ذمتي^(٢).
وأخى الرسول بينه وبين علي في المرتين قبل الهجرة وبعدها . وأخى الله بينهما - كما اثبتنا ذلك في حديث قدسي في باب تسمية الامام الشرعية -^(٣).
وقال ﷺ يوما لعلي : أنت أخي وصاحبي ورفيقي في الجنة وانت أخي وأبؤولدي^(٤). راجع علاقة الولي بالحساب الأخروي تجد ان الأخوة تمت بأمر الله وبإشرافه .

٥ - علاقة الولي بالحساب الأخروي :

قال ﷺ : مكتوب على باب الجنة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، علي أخو رسوله^(٥). والاخوة بين علي وبين محمد تمت بأمر الله^(٦).

قال ﷺ : ان الله اوحى الى نبيه موسى ان ابن لي مسجدا طاهرا لا يسكنه إلا أنت وهارون ، وان الله أوصى إلي ان ابني مسجدا لا يسكنه إلا انا واخي علي^(٧).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مناقب علي وابن عساكر في تاريخه والبضوي والطبراني في مجموعتهما والبارودي في المعرفة وابن عدد وراجع الحديث ٩١٨ ص ٤٠ ج ٥ وص ٣٩٠ ج ٦ والحديث ٩٧٣ من الكنز وراجع مسند الإمام أحمد ص ١٣ ج ٥ الهامش.

(٢) راجع ص ٢١٧ ج ٣ من المستدرك للحاكم واعترف الذهبي بصحته وراجع ص ١٧٨ من المراجعات للعالملي .

(٣) راجع ص ٢٦٥ و ١٦٨ ج ٣ من المستدرك للحاكم وص ٩٨ ج ١ من مسند الإمام أحمد وابن عبد الله والذهبي في التلخيص والبضوي في مجمعه وابن عساكر وابن حجر في صواعقه ص ١١٥ وص ١٥٩ ج ٣ وابن حجر ب ١١ ص ٣٢ وراجع ص ٣٢ ج ٥ من هامش أحمد .

(٤) راجع الحديث ٦١٠٥ ص ٤٠٢ ج ٦ من كنز العمال .

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط والخطيب في المفترق والمتفق ونقله صاحب الكنز مع هامش ص ١٥ ج ٥ من مسند الإمام أحمد وص ٤٦ ج ١ من المسند نقله عن ابن عساكر .

(٦) راجع ص ١٨٩ ج ٢ من تفسير الرازي وص ١٧٩ من المراجعات للعالملي وص ١١٢ ج ٢ من المستدرك للحاكم ومنتخب الكنز ص ٤٠ ج ٥ من مسند الإمام أحمد وص ١٢٦ ج ٣ من المستدرك للحاكم .

(٧) أخرجه الترمذي والبخاري وهو الحديث ١٣ ص ٢ من الصواعق لابن حجر ، راجع ص ١٨٤ من المراجعات .

قال ﷺ: علي باب حطه من دخله كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً (١).
قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْآعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ (٢).

اخرج الحاكم بسنده عن علي قوله: نقف يوم القيامة بين الجنة والنار، فمن نصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنة، ومن ابغضنا عرفناه بسيماه (٣).

قال النبي ﷺ: يا علي، انك والاوصياء على الاعراف، ويؤيد هذا حديث الدارقطني ان علياً قال للسنة الذي جعل الأمر شورى بينهم كلاماً طويلاً، ومن جملته انشدكم الله هل فيكم احد قال له رسول الله يا علي أنت قسيم الجنة والنار فيوم القيامة تقول للنار هذا لي وهذا لك.

وروى ابن السماك ان أبا بكر قال لعلي سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي الجواز (٤).

قال ﷺ: مكتوب على ساق العرش، لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ايده بعلي ونصرته بعلي (٥).

اخرج الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ومن يشاقق الرسول.. واخرج ابن مردويه في تفسير آية المشاققة في شأن علي وان الهدى قوله. وأخرجه العياشي في تفسيره واخرج ﴿انما انت منذر ولكل قوم هاد﴾ ان الرسول ﷺ قال: انا المنذر وعلي الهاد وبك يا علي يهتدي المهتدون.

وراجع تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَفَّوهُمْ أَنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾ - في تفسير الواحدي .
وراجع تفسير مجاهد لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَا لَهُمْ نَارٌ﴾ .

راجع ص ٤١٨ ج ٢ من المستدرك للحاكم وتفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

(١) راجع ص ١٥٣ ج ٦ من كنز العمال.

(٢) راجع تفسير الثعلبي لهذه الآية.

(٣) أخرجه الحاكم راجع تفسير الثعلبي لهذه الآية.

(٤) راجع المراجعات ص ٧٢ للإمام العاملي.

(٥) راجع ص ٧٤ من المراجعات.

آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان»^(١) .

وراجع تفسير الطوسي لآية ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ .
قال ﷺ : «الذي نفسي بيده ان هذا يعني علياً وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة . راجع تفسير فرات وباب ٨١ و٨٢ من غاية المرام وص ٧٤ من المراجعات وباب ١١ من الصواعق المحرقة لابن حجر^(٢) .
قال علي : انا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة^(٣) .
وباختصار نزل في علي ٣٠٠ آية .

— والخلاصة فيما يتعلق بالولي وحزب الله :

لوطبق الشرع فان علياً سيكون ولي رسول الله وبالتالي هو رئيس حزب الله في غياب الرسول ، والمقسر للنظام الاساسي لحزب الله وهو «القرآن والسنة» وبتعبير ادق دين الإسلام .

وتغدو طاعة الامام علي هي معيار التفريق بين اعضاء حزب الله ، واعضاء حزب الشيطان . ومن أجل هذا كما يبدو قال ﷺ : «الذي نفسي بيده ان هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة» كما اسلفناه . وعليه فالشيعة هي تقوم الآن بوظيفة حزب الله ، اذا تركنا التقليد واتبعنا الشرع هذا اذا عرفت الولي الشرعي واطاعته .

— الاحزاب السياسية التاريخية :

في سقيفة بني ساعدة ، وبعد الخروج من السقيفة ، نمت بذرة التحزب السياسي تاريخياً في ظلال الدول التي حكمت الأمة الإسلامية باسم النظام السياسي في الإسلام .

وما مضت ايام حتى وجد المسلمون انفسهم في واحد من حزبين :

١ - اما حزب الدولة : وهم الذين يؤيدون الدولة اقتناعاً أو رغبة أو لأى سبب آخر وقد

(١) أخرجه الطبراني في الكبير وابن عساكر وراجع ص ١٥٨ ج ٦ من الكنز وراجع ما أخرجه البزار ص ٤٨ من الكنز الحديث ٦١٥٦ وص ١٨٣ من المراجعات والحديث ٦١٣٧ ص ٣٩١ ج ٦ وراجع ص ٤٠٥ ج ٦ .

(٢) الحاكم في المستدرک ص ٤٦٨ ج ٢ .

(٣) راجع المراجعات للإمام العاملي .

سمي هذا الحزب فيما بعد بأهل السنة ، ويمكنك ان تقول تجاوزا انه الحزب الحاكم .

٢ - واما مع حزب المعارضة : وهم الذين اقتنعوا بان عليا هو أولى بالخلافة من غيره وان الخلافة حق له وانه ظلم عندما نحت عنه الخلافة . وسمي هذا الحزب فيما بعد بأهل الشيعة .

— الايدلوجية السياسية لحزب الدولة أو حزب أهل السنة :

١ - فيما يتعلق برئيس الدولة أو الخليفة : رئيس الدولة يجب ان يكون من عشيرة الرسول والأمر محصور بهم . «والعرب لا ينبغي ان تؤمر قوما النبي من غيرهم ، والعرب لا ينبغي ان تولي الامر إلا من كانت النبوة فيهم»^(١) .

والخلافة سلطان محمد وميراثه ولا ينبغي ان ينازع اولياؤه وعشيرته ذلك الميراث^(٢) عندئذ صاح بشير بن سعد قائلا ان محمدا من قريش وقومه أحق بميراثه وتولي سلطانه فاتقوا الله ولا تنازعوهم هذا الأمر ولا تخالفوهم^(٣) .

تلك هي الأسس التي اعتمد عليها قادة حزب السنة حتى تمكنوا من الوصول إلى سدة الخلافة وامام عناد ومقاومة المعارضة ووضوح حجتها برزت مجموعة كبيرة من النظريات لتبرر الواقع وتحصنه وتحسنه وتضفي عليه ثوب الشرعية . وقد بحثنا هذه النظريات ونقدناها علميا في باب موقف أهل السنة من تسمية الامام ، وسنذكرها الآن ذكرا ومن اراد التفصيل فليرجع إلى باب تسمية الامام . فقد برزت نظرية الصلاة^(٤) ، ونظرية الصحبة^(٥) ونظرية كبر السن والخبرة في الانساب ونظرية التولية^(٦) ، ونظرية الشورى^(٧) ، ونظرية الافتراض^(٨) ، واخيرا نظرية الحاكم القائم بتسمية خليفته أو ولي عهده^(٩) . وما صيغت هذه النظريات ولا رفعت إلا لتبرر الواقع

(١) راجع الإمامة والسياسة ص ٧ .

(٢-٣) راجع الإمامة والسياسة ص ٨ .

(٤-٥) راجع الطبقات ج ٣ ص ٧٨ وص ٦ من الإمامة والسياسة .

(٦) راجع الإمامة والسياسة ص ٢٣ .

(٧) راجع الإمامة والسياسة ص ٥ وما بعد ، وراجع ص ١٩٩ ج ٢ من تاريخ الطبري فقد اعتر ما جرى في

السقيفة شوري .

(٨) راجع الطبقات لابن سعد ج ٣ ص ١٨٠ .

(٩) راجع ص ١٩٩ ج ٣ من تاريخ الطبري وراجع ص ١٩ من الإمامة والسياسة وراجع ج ٤ ص ٥٢ و ٥٣ من تاريخ الطبري .

وللدفاع عن منصب رئاسة الدولة أو الخلافة الذي آل لقيادة حزب الدولة أو أهل السنة .

وفوق هذا كله ، فإن الخلافة تثبت بالغلبة والقهر ولا تفتقر إلى العقد ، كما روى الفراء عن الامام احمد فقال في رواية عبدوس بن مالك العطار (من غلب بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين ، فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يبيت ولا ، يراه امام برا كان أم فاجراً) .

وقال أيضاً في رواية ابي الحارث في الامام يخرج عليه من يطلب الملك فيكون مع هذا قوم ومع هذا قوم (فتكون الجمعة مع من غلب) . واحتج بان ابن عمر صلى بأهل المدينة يوم الحرة ، وقال ، نحن مع من غلب ^(١) .

الا ترى كيف انتهت الأمور واقعياً بالنظام السياسي الإسلامي حسب نظريات أهل السنة ، فعلى الأمة ان تباع الغالب بغض النظر عن دينه وصفاته ^(٢) .

وتوطدت اقدام حزب أهل السنة بحكم الصديق والفاروق رضي الله عنهما . فقد وقفنا في حفظ النظام ونشر دين الإسلام وفتح الممالك والاستيلاء على الثروة والقوة ، ولم يتدنسنا بشهوة ، حتى علا امرهم وعظم قدرهم ، وحسنت بهم الظنون وأحبتهم القلوب ^(٣) .

وهكذا امتزج الواقع بالشرع عند أهل السنة فيما يتعلق برئاسة الدولة ، فأصبح جرح هذا الواقع أو خدشه جرحاً للدين كله ، بل والأهم من ذلك ان هذا الواقع الذي حدث أصبح جزءاً من الشرع السياسي الإسلامي يقتدى به كسوابق دستورية ويقاس عليه ولا يسمح الا بتمجيده ، وتهمل كافة النصوص التي تتعارض معه ، امعاناً من أهل السنة بالتذرع بكل وسيلة لاثبات ملاءمة ما حدث مع الشريعة الإسلامية ، لأن هذا الواقع التاريخي المتعلق برئاسة الدولة في نظر أهل السنة هو المثال ، وانتياره في رأيهم ، يعني انهيار الإسلام وانهيار صلاحيته للحياة السياسية ، ولعمري ليس من الإسلام إلا ما هو من نصوصه ، فالنظام ميزان تقاس به الافعال ، ويقاس به الرجال .

(١ - ٢) راجع نظام الحكم للقاسمي ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

(٣) راجع المراجعات للإمام شرف الدين العاملي ص ٢٩٩ - ٣٠٢ .

والخلاصة : ان فكرة ولاية العهد اصبحت واجبة بسبب فعل ابي بكر وعمر عند أهل السنة . وما على الحاكم القائم ، أي كان ، سوى ان يعين ولياً لعهد ، وما على خاصة هذا الحاكم سوى ان يبايعوا هذا الولي ، وتأتي الأمة لتبايع إما طوعاً أو كرهاً . وهكذا استقرت أنظمة رئاسة الدولة عند أهل السنة بهذا المبدأ ، مبدأ ولاية العهد .

٢ - فيما يتعلق بالشريعة : لا يوجد لأهل السنة شريعة مستقلة بهم ، وشريعتهم هي شريعة الله ، ولكنها تطبق بفهم ولي الأمر لها ، وبما لا يتعارض مع الأسس التي استندت عليها رئاسة الدولة .

٣ - وهناك مبدأ كان مصاناً عن أهل السنة : وهو ان الخلافة لا ينبغي ان تجتمع مع النبوة لبني هاشم ، ولا يجوز بالأصل ان يولي هاشمي حتى ولو كان ذا قوة وذا امانة ومن الطبيعي ان هذا مجرد اجتهاد في مواجهة النص ، خوفاً من اجحاف بني هاشم في نظر اصحاب هذا المبدأ^(١) .

— الأيديولوجية السياسية لحزب المعارضة أو حزب أهل الشيعة :

١ - فيما يتعلق برئاسة الدولة أو الامامة : قال علي لأبي بكر ومن معهم : انا احق بهذا الأمر ، وانتم أولى بالبيعة لي ، اخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله ، وتأخذونه منا أهل البيت غصباً ؟

الستم زعمتم للأنصار انكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد منكم فأعطوكم المقادة وسلموا اليكم الامارة ؟ نحن أولى برسول الله حياً وميتاً ، فأأنصفونا

(١) راجع الكامل في التاريخ آخر سيرة عمر من حوادث سنة ٢٣ ص ٢٤ ج ٣ وراجع علامة المعتزلة ابن أبي الحديد في ١٠٧ مجلد ٣ من شرح النهج . وقد أخرج هذا أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر في تاريخ بغداد بسنده المعتبر إلى ابن عباس وأورده علامة المعتزلة ابن أبي الحديد في أحوال عمر من شرح النهج ص ٩٧ ج ٣ وراجع ص ١٠٥ مجلد ٣ وراجع المراجعات للإمام شرف الدين العاملي ص ٣٤٢ - ٣٤٥ وراجع ص ٢٦ من الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري وراجع مراجع منع الرسول من كتابة وصيته خاصة ص ١١٤ سطر ٢٧ من شرح النهج .

ان كنتم تؤمنون، والا فبوؤا بالظلم وانتم تعلمون^(١).

وقال لعمر: احلب حلباً لك شطره واشدده له اليوم أمره يردده عليك غدا^(٢).
وقال لأبي عبيده: الله الله يا معشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمد في العرب
عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس
وحقه. فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به لأننا أهل البيت ونحن أحق بهذا
الأمر ما كان فينا القارىء لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله،
المضطلع بالرعية، المدافع عنهم الأمور السيئة، القاسم بينهم بالسوية. والله إنه
لفينا فلا تتبعوا الهوى فضلوا عن سبيل الله وتزدادوا من الحق بعداً.
فيقول علي:

«أفكنت أدع رسول الله في بيته لم ادفنه واخرج انازع الناس سلطانه؟» فقالت
فاطمة: «ما صنع أبو حسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيهم
وطالبهم»^(٣).

«وهل يتسنى في عصرنا لأحد ان يقابل أهل السلطة بما يرفع سلطتهم ويلغي
دولتهم، وهل يتركونه وشأنه لو أراد ذلك. هيهات فقس الماضي على الحاضر فالناس
ناس والزمان زمان»^(٤).

وعلي لم ير للاحتجاج يومئذ إلا الفتنة التي كان يؤثر ضياع حقه على حصولها
في تلك الظروف. فاحتفظ بحقه في الخلافة واحتج على من عدل بها عنه على وجه
لا يشق عصا المسلمين ولا تقع بينهم فتنة.

ويعبر الامام عن شكواه فيقول: فطفقت ارتأي بين ان اصول بيد جذاء أو اصبر
على طخيه عمياء. . فرأيت ان الصبر على هات احجى، فصبرت وفي العين قذى
وفي الحق شجى، ارى تراثي نهبا^(٥).

(٥-١) راجع المراجعات للإمام شرف الدين العاملي ٣٣٢ - ٣٣٤ وراجع الإمامة والسياسة ص ١١-١٣

وراجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٥ و ٣٧ و ٦٢ و ج ٢ ص ١٠٣ و ج ٣

ص ٦٧.

وكم من مرة قال: اللهم اني استعينك على قريش ومن اعانهم، فانهم قطعوا رحمي وصغروا عظيم منزلتي، واجمعوا على منازعتي امرا هولي^(١).

وقال يوما: ونظرت فاذا ليس لي معين إلا أهل بيتي فظننت به عن الموت، واغضيت على القذى وشربت على الشجى وصبرت على الكظم وعلى امر من طعم العلقم^(٢).

تلك ملامح الايدلوجية السياسية التاريخية لحزب المعارضة أو أهل الشيعة. ويحتجون أيضاً بالنصوص القاطعة التي سقناها في باب موقف الشرع من تسمية الامام وفي باب حزب الله وكلها موثقة ويمكن الرجوع إليها.

وهم يقولون ان الائمة الذين سموا شرعيا ائمة قد بلغوا اثني عشر اماما. وقد وثقنا ذلك، فارجع إليه ان شئت في باب موقف الشيعة من تسمية الامام، فقد ذكرنا اسماء الائمة كما يذكرها الشيعة.

٢ - فيما يتعلق بالشريعة: لا يوجد لأهل الشيعة شريعة مستقلة بهم، وشريعتهم كأهل السنة هي شريعة الله والفوارق بينهم وبين أهل السنة فوارق اجتهادية ليس إلا.

٣ - وعندهم مبدأ مصان: لا يجوز المساس به وهو ان الخلافة محصورة حصرا بأهل البيت.

٤ - ليس للشيعة رأي يختص بهم: في أصول الإسلام واركانه وفروعه، وهم أحرص المسلمين على ما جاء به الرسول الأعظم من المبادئ ولا يقرون أية فكرة تتنافى مع المبادئ الإسلامية مهما كان مضدرا^(٣).

— المعنى اللغوي لكلمة أهل السنة:

تعني الطريقة: يقال امض على سننك أي على وجهك^(٤).

(١-٢) راجع المراجعات للإمام شرف الدين العاملي ٣٣٢-٣٣٤ وراجع الإمامة والسياسة ص ١١-١٣ وراجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٥ و ٣٧ و ٦٢ و ج ٢ ص ١٠٣ و ج ٣ ص ٦٧.

(٣) راجع التصوف والتشيع لهاشم معروف الحسني ص ٦٤ و ٩٧٥.

(٤) مختارات الصحاح للرازي ص ٣١٧.

وتعني السيرة: وتعني التغير والمنهاج وتعني الركون للشيء واستساغته،
استقام فلان على سنن واحد أي مضى على طريق واحدة^(١).
سنة الله في الذين خلوا من قبل^(٢).
يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين قبلكم^(٣).
فلن تجد لسنة الله تبديلاً^(٤).
ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون^(٥).

— المعنى اللغوي لكلمة الشيعة :

شيعة الرجل اتباعه وانصاره، والمسلمون شيعة النبي، والشيعة الفرقة، وتقع
على الواحد والاثنين وتجمع مذكر ومؤنث .
الشيعة المشارك قال هذا شيعة وغير مقسوم، وشايعة تابع ووالاه على أمر،
تشايعت الابل أي تفرقت والمشيعة الشجاع^(٦).
وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم بعضاً فهم شيعة^(٧).
وهم الصاحب والاتباع^(٨).
والتشابه والمشابهة^(٩).
﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه﴾^(١٠)
﴿فاستغاثه الذي من شيعته﴾^(١١)
﴿وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم﴾^(١٢).

-
- (١) المنجد في اللغة والعلوم والآداب، لويس معلوف اليسوعي ص ٣٦٥ - ٣٦٦.
 - (٢) سورة الأحزاب آية ٣٨.
 - (٣) سورة النساء آية ٣٦.
 - (٤) سورة طه آية ٤٣.
 - (٥) سورة الحجر آية ٢٨.
 - (٦) المنجد في اللغة والعلوم والآداب، الأب لويس معلوف اليسوعي ص ٤٢٣ - ٤٢٤.
 - (٧) مختار الصحاح للرازي ص ٣٥٣.
 - (٨-٩) نفس المرجعين السابقين.
 - (١٠-١١) سورة القصص آية ١٥.
 - (١٢) سورة الصافات آية ٨٣.

- ﴿... من قبلك في شيع الأولين﴾^(١).
 ﴿أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض﴾^(٢).
 ﴿ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء﴾^(٣).
 ﴿ان فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا﴾^(٤).
 ﴿ولقد اهلكنا اشياعهم فهل من مذكر﴾^(٥).

— معنى أهل السنة اصطلاحاً:

تطلق كلمة سنة علي كل اولئك الذين انكروا وجود نص من النبي بخلافة علي من بعده فالاشاعرة والمعتزلة والمرجئة وغيرهم ممن انكروا وجود النص بالرغم مما بينهم من تباعد، جميعهم سنة^(٦).

هم جمهرة المسلمين وتفكيرهم تفكير السواد الأعظم من المواطنين، وهم اشبه بحوض واسع اودع فيه ما استمد دعاة الفرق الرئيسية والفرعية، مادة تغذي دعوتهم في اطار الإسلام^(٧).

وأهل السنة في الواقع اصطلاح سياسي بحث. ويعني جمهرة المسلمين الذين اضطروا مقتنعين أو غير مقتنعين، بالتسليم لأي حكم، بدءاً من الخلافة الراشدة وانتهاء بسقوط بني عثمان، دون ان يعارضوا حتى ليخال الناظر غير المتبصر انهم حزب الدولة، لأنه ليست لهم عقيدة سياسية ضد الدولة القائمة.

— معنى أهل الشيعة اصطلاحاً:

تطلق هذه التسمية علي كل الذين يقولون بوجود نص من الشرع «القرآن والسنة» علي علي بالخلافة من بعده.

-
- (١) سورة الحجر آية ١٠.
 (٢) سورة الأنعام آية ٦٥.
 (٣) سورة الأنعام آية ١٥٩.
 (٤) سورة القصص آية ٤.
 (٥) سورة القمر آية ٥١.
 (٦) معالم الفلسفة الإسلامية محمد جواد مضنية ص ١٩٧.
 (٧) الكلام والفلسفة للدكتور عادل العوا ص ٤٥ - ٥١.

فالامامية والزيدية والاسماعيلية كلهم شيعة على اختلافهم في عدد الائمة
لأنهم يؤمنون بوجود النص^(١)

يطلق لفظ شيعة علي اتباع علي وبنيه ويؤمنون بحصر الخلافة في علي
وذريته كل من يعتقدون ان عليا وبنيه أولى بالخلافة من غيرهم ، فهم شيعة .
كل الذين يعتقدون ان أهل البيت وآل البيت أولى بالخلافة من غيرهم وهي
حق لهم دون سواهم ، هم شيعة .

والشيعة مفهوم سياسي بحت ، وهو الحزب المعارض دائماً لأي حكم لا يقر
لأهل البيت برئاسة دولة الخلافة ونصب اعيينهم هدف محدد وهو توحيد الأمة
الإسلامية تحت راية امام من آل البيت النبوي الشريف .

وترق مفاهيمهم فتغدوا افراح أهل البيت افراح الشيعة ، واحزان أهل البيت
احزان للشيعة .

— تاريخ نشوء التشيع :

قال الشيخ : أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي في كتاب الفرق والمقالات
المطبوع في استانبول : الشيعة هم فرقة علي بن أبي طالب المسمون بشيعة علي في
زمن النبي وبعده ، معروفون بانقطاعهم اليه إليه وقالوا بإمامته من بعد الرسول .

وقال أبوحاتم السجستاني في الجزء الثالث من كتابه الزينة ، ان لفظ الشيعة
كان على عهد رسول الله .

وقال السيوطي في الدرر المشور في تفسير قول الله بالمأثور في تفسير قوله
تعالى ﴿اولئك هم خير البرية﴾ اخرج بن عساكر عن جابر بن عبد الله قال : كنا عند
النبي ، فأقبل علي ، فقال النبي ﷺ «والذي نفسي بيده ان هذا وشيعته لهم الفائزون
يوم القيامة» .

وقال السيوطي أيضاً : وأخرج بن عدي عن علي قال : قال لي رسول الله ﷺ :

(١) راجع معالم الفلسفة الإسلامية محمد جواد مضمينية وراجع ص ٦٤ و ٩٧٥ من التصوف والتشيع لهاشم
معروف الحسيني .

ألم تسمع قول الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ ، أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض ، إذا جاءت الأمم للحساب مدعون غراً محجلين^(١) .

— منابع الرأي السياسي الذي تتبعه الشيعة :

- ١ - ما قاله علي والائمة الطاهرين من بعده . ويرددون فهمهم للنصوص الشرعية .
- ٢ - ما ورد في القرآن والسنة من نصوص تخص أهل البيت . وقد شرحنا بالتفصيل ووثقنا كافة النصوص الشرعية في باب موقف الشريعة من تسمية الامام وموقف أهل البيت من الواقع . وفي باب الذين يبايعون الخاصة - القرابة الطاهرة .

— منابع الرأي السياسي الذي تتبعه السنة :

- ١ - ما فعله أبوبكر وعمر رضي الله عنهما .
- ٢ - ما ورد في القرآن أو السنة فيهما .
- ٣ - منجزاتهما رضي الله عنهما .

الحكم على الحزبين :

ان جوهر الخلاف بين أهل السنة وأهل الشيعة يكمن فيمن يتولى رئاسة دولة الامامة أو الخلافة .

ففي حين ترى الشيعة ان الله قد اكمل الدين وأتم النعمة وسمى رسول الله ﷺ قبل موته ولي عهده وخليفته من بعده ، وبَيَّن للأمة طريقة انتقال رئاسة الدولة من شخص لآخر ترى السنة ان الله قد خلق على الناس امرهم . والحقيقة انه ليس لأهل السنة وجهة نظر شرعية مستقرة يمكن الدفاع عنها بهذا الموضوع .

وعلى أي حال ، فقد سقنا بالتفصيل وجهات نظر الطرفين وبمنتهى الموضوعية والتجرد وسقنا الحوادث التاريخية ، واوردنا النصوص الشرعية ، ووضعنا كل ما هو ضروري للحكم بين ثنايا هذه الدراسة . ووثقنا ما وسعنا الجهد واتسع بنا الوقت وتجنبنا مسؤولية الحكم على الحزبين .

(١) راجع الشيعة بين الحقائق والأوهام للمجتهد الأكبر محسن الأمير .

وبقي ان نذكر بأن أهل السنة كان لهم دولة بسطت سلطانها على دار الإسلام ومدت نفوذها على كل المسلمين، وصيغ التاريخ تحت اشرافها، وعرضت وجهة نظرها كدولة لها السيطرة على وسائل الاعلام. وتعرضت تلك الدولة باعلامها ومن والاها من العلماء للشيعة كحزب معارض، وبالتالي تم عرض افكار ووجهات نظر الشيعة بصورة ليست موضوعية. فقد كانت دولة السنة هي الحكم وهي السلطة وهم الخصم، ومن خلال هذا الوضع الموضوعي ابرزت لنا صورة الشيعة، كحزب معارض لدولة الخلافة.

اما الشيعة فقد كانت حزب معارضة، وكانت تمارس نشاطها بطريقة سرية خوفا من بطش السلطة. وكانت ترى ان وجهات نظرها لم تعرض بصورة عادلة، ولكنها كانت عاجزة عن التصدي لهذا العرض.

هذه الأمور لا بد من اخذها بعين الاعتبار قبل ان نحكم على الحزبين الاسلاميين الكبيرين.

فلا بد من سماع وجهات نظر الشيعة من ائمة الشيعة أو من علمائها مباشرة لا بالواسطة.

ولا بد من سماع وجهات نظر أهل السنة من علماء السنة مباشرة لا بالواسطة. وبعد ذلك نعرف موقف الشرع من وجهات النظر تلك. ثم نحكم فيما بعد أي الحزبين اهدى سبيلا بمعزل عن التقليد والهوى وبالعادل الذي امرنا ربنا به.

الفهرس

الاهداء	٣
مقدمة	٨-٥

الباب الأول

الفصل الأول: القاب رئيس الدولة في النظام السياسي الاسلامي

١ - ولي الأمراء ١١-١٥ الإمام ١٥-١٧ الخليفة ١٧-١٨ امير المؤمنين ١٨-١٩

٢ - علاقة تسمية الدولة بلقب الإمام أو بالامام ٢٠

الفصل الثاني: تسمية رئيس الدولة أو ترشيحه في النظام

السياسي الاسلامي ٢١-٢٣

أ - موقف أهل اشيعه من تسمية الامام أو ترشيحه

«ولاية العهد» ٢٣-٢٤

١ - ب - موقف أهل السلنة من تسمية الامام أو ترشيحه

«ولاية العهد» ٢٤

نظرية الصلاه ٢٥ نقدها ٢٦ نظرية الصبحه ٢٧ نقدها ٢٨

نظرية القرابة ٢٨ نقدها ٢٩ نظرية كبر السن ٢٩ نقدها ٢٩

نظرية الافتراض ٢٩ نقدها ٣٠ نظرية التخليه ٣٠ نقدها ٣٠

نظرية الشورى ٣٠ نقدها ٣١-٣٢ نظرة حق الحاكم القائم بتسمية او ترشيح
ولي عهده ٣٣-٣٤

٢ - تحليل المواقف ٣٥-٣٦ الوحدة بين الموقفين ٣٦ الفارق الدقيق بين
الموقفين ٣٦-٣٧

٣ - ولاية العهد وصلاحيه الخليفة بترشيح ولي عهده ٣٨-٤٣

الفصل الثالث:

- ١ - حكم الشرع في تسمية الإمام «ولي العهد» ٤٤
- ١ - الأدلة من القرآن الكريم ٤٥ آية الولاية ٤٦ اسباب النزول ٤٦ السبب المباشر حل المشكلات ٤٦ اللغوي ٤٦-٤٧ كلمة ولي ٤٨ بقية الأدلة القرآنية ٤٩-٥٠

- ٢ - الأدلة من السنة ٥٠ الدليل الاول ٥٠ الدليل الثاني ٥١-٥٢ الدليل الثالث ٥٢-٥٤ الدليل الرابع ٥٤-٥٥ الدليل الخامس ٥٥ انكار الوصية ٥٦ الدليل السادس ٥٧ الدليل السابع ٥٨ الدليل الثامن ٥٩ الدليل التاسع ٥٩ الدليل العاشر ٦٠ الدليل الحادي عشر ٦٣ الدليل الثاني عشر ٦٤ خلاصة الأدلة ٦٦ الدليل الثالث عشر ٦٦ الخلاصة ٦٧

الفصل الرابع: استذكار للجهات التي تعين رئيس الدولة

في النظام الاسلامي ٦٨

- ١ - أ - جهة الشرع ٦٨ ب - جهة الأمة ٦٨
- ٢ - كيف تمارس الأمة حقها بتعيين الإمام؟ ٦٩
- البيعة ٦٩-٧٢ شكلها ٧٢ مضمونها ٧٢
- أ - البيعة السياسية ٧٢ اهميتها ٧٣ رضائية البيعة ٧٣-٧٤ مكان البيعة ٧٥
- ب - انواع البيع:

- ١ - البيعة الخاصة / يمارسها أهل الشورى ٧٦
- ٢ - البيعة العامة / يمارسها بقية الناس

الفصل الخامس: من هم أهل الشورى الذين يمارسون

البيعة الخاصة ٧٦

- ١ - أهل البيت القرابة الطاهرة ٢ - أفاضل الصحابة
- ١ - أهل البيت القرابة الطاهرة

معنى أهل البيت لغة ٧٦ معنى العترة لغة ٧٧ المعنى الاصطلاحي ٧٨ الاجتهاد في معرض النص ٧٩ توضيح المعنى الاصطلاحي بمزيد من البيان ٨٠ كشف الغموض عن طريق وظيفة أهل البيت ٨٠-٨٢ توضيح المخول بالبيان بعد الرسول ٨٢-٨٣ تعليق ٨٤

ما هو الدليل الشرعي على أن أهل البيت والعترة من أهل الشورى الذين يبايعون الإمام البيعة الخاصة ٨٥. الدليل الاول ٨٥-٨٨ الدليل الثاني ٨٨-٨٩ الدليل الثالث ٨٩ الدليل الرابع ٩٠ الدليل الخامس ٩٢-١٠٠ والخلاصة ١٠١

٢ - الفئة الثانية من أهل الشورى الذين يبايعون الامام

البيعة الخاصة وهم أفاضل الصحابة ١٠٢
اهمية الموضوع ١٠٢ من هو الصحابي ١٠٢ أهمية معرفة أفضال
الصحابة ١٠٤

أ - مجموعة الصحابة ١٠٤ تفسير هذا التقسيم وتبريره ١٠٥ طبقات الصحابة
١٠٥ الأدلة على سلامة المنهج ١٠٧ الطبقات كما ذكرها الحاكم ١٠٨ .
ب - المعايير الموضوعية للتفاضل ١١٠ المعيار الأول القرابة الطاهرة ١١١
المعيار الثاني السابقة في الايمان ١١٢ المعيار الثالث التقوى ١١٣ المعيار
الرابع العلم ١١٣ المعيار الخامس تقييم الرسول ١١٤ الحكم على هذه
المعايير ١١٤

٣ - أهل الشورى ١١٥ وظائف أهل الشورى ١١٥

٤ - البيعة العامة في التاريخ ١١٧
الفصل السادس: نفس النظام السياسي قبل تطبيقه ١١٩
الاحداث التي هزت النظام السياسي قبل تطبيقه ١١٩
١ - يوم الرزية ١١٩ ٢ - مواجهة العترة الطاهرة وعزلها والغاء دورها ١٢٢
٣ - الفلته ١٢٥

اجتماع الانصار ١٢٥ دخول المهاجرين الثلاثة ١٢٦ حجة الانصار ١٢٦
حجة الهاجرين الثلاثة ١٢٦ الاذعان للحق ١٢٧ تمني وايضاح ١٢٧ تفتت
جبهة الانصار ١٢٧ اهتبال الفرصة ١٢٨ خروج الخليفة واعلان خلافته ١٢٨
كيف تمت البيعة الاجراء الأول ١٢٩

الفصل السابع: السلطة والمعارضة ١٣٠ معارضة سعد بن عباد ١٣٠ معارضة

الحجاب ١٣١ معارضة العترة الطاهرة ١٣٢

أ - حجة الامام علي ١٣٢ حكم على حجة الامام ١٣٣ الامام يطلب
النصرة ١٣٣ استعمال القوة ضد الامام ١٣٤ الامام يقدر الموقف ١٣٤
المنهج الذي اختاره الامام ١٣٥ الامام يثبت شكواه ويبرر موادعته ٣٥-١٣٦ .
ب - فاطمة الزهراء بمواجهة السلطة ١٣٦ اثر المقابلة ١٣٨ محاولات
للزهراء ١٣٨ الزهراء تبث شكواها ١٣٨ .

ج - احتجاج العباس ١٣٩ الرد الحاسم ١٤٠ د - سيدا شباب أهل الجنة
بمواجهة السلطة ١٤٠ هـ - المواجهة السلمية لابن عباس مع السلطة ١٤١
و - اجتماع بني عبد مناف واحتوائه ١٤٢ .

الفصل الثامن: الآثار السياسية للفتنة: ١٤٦ عرف الخلفاء الثلاثة ١٤٦ الايمان
بولاية العهد ١٤٧ عزل العترة الطاهرة ١٤٩ الخلافة أصبحت ملك الفرص
١٥١ بروز فكرة التغلب واعتبارها سبباً شرعياً للوصول إلى الخلافة ١٥٣
الغاء دور أهل الشورى الشرعيين ١٥٣ .

الفصل التاسع: النظرية التطبيقية للخلافة ١٥٤

١ - الصورة الأولى تولية الخلفاء الراشدين ١٥٤
تولية أبي بكر ١٥٤ تولية عمر ١٥٧ تولية عثمان ١٦٩ تولية علي ١٦٤
الخارجون على علي ١٦٥ أم المؤمنين قصتها ١٦٦ معتزله ١٦٦ محاولات
ثني أم المؤمنين ١٦٧ التقاء الجمعيتين ١٦٧ لمحة عن أم المؤمنين ١٦٨ .

٢ - الصورة الثانية المملكة الاسلامية ١٧٠
١ - خلافة الطلقاء ١٧٠ الفوز بالمنافرة ١٧٠ تنفيذ الاتفاقية ١٧١ عظمة
الفريقين ١٧١ فرسا الرهان ١٧٢ الهواجس الاموية

أ - قبل النبوة ١٧٢ المقاومة ١٧٣ المكر الاكبر ١٧٣ الخلاصة ١٧٤ تأجج
الكراهية ١٧٤ اسلام أبي سفيان ١٧٥ كياسته ١٧٦ موقفه من دولة أبي بكر
١٧٦ دولة أبي بكر تحتويه ١٧٧ .

ب - العوامل التي ساعدت على وضع الأسس لقيام دولة الطلقاء ١٧٧
معاوية مؤسس دولة الطلقاء ٨١ يزيد بن معاوية ١٨٢ وصية معاوية ليزيد

١٨٢ نتائج وصية معاوية ١٨٢ استمرار نظام الوصاية ١٨٣ التماس العذر لمعاوية ١٨٣ .

ج - الخلافة العباسية ٨٣ الخلافة العثمانية ١٨٣ .

د - خصائص العائلات الثلاثة ١٨٣

٣ - الحكم على خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وأولياهم ١٨٣ نماذج من النصوص لم يتعبروا بها ١٨٤ خلاصة ما مر كله ١٨٤ .

الفصل العاشر: اختصاصات الامام ١٨٧

١ - الاختصاص العقائدي ١٨٧ اختصاص الحكم ١٨٩ الاختصاص التشريعي ١٨٩ الاختصاصات التنفيذية ١٩٠ الاختصاصات القضائية ١٩١ من مبادئ القضاء ١٩٢ الاختصاصات المالية ١٩٣ اختصاصات الامام برأي الماوردي ١٩٣ الحسم باختصاصات الامام ١٩٤ .

٢ - حقوق الامام ١٩٤ حق الطاع ١٩٤ حق النصرة ١٩٥ الحق المالي ١٩٦

الفصل الحادي عشر: مساعدو الامام ١٩٧

ولي العهد ١٩٧ مجلس الوزراء ١٩٨ نواب الرسول على المدينة ٢٠١ الامراء الذين عينهم الرسول ٢٠١ القادة العسكريين الذين عينه الرسول ٢٠٢ بعض مبادئ التولية ٢٠٦ حقوق الولاة ٢٠٧ .

الباب الثاني

كيفية قيام دولة الرسول ٢٠٩

الفصل الأول: الخطوة ترشيح الامام او رئيس الدولة ٢١١

١ - المقر الأول رئيس الدولة ٢١٢ ١٢ - المنهج الأول لرسول الله باقامة دولته وتكوين الشعب ٢١٤ أ - موقف أهل مكة من الدعوة ٢١٥ ب - موقف بني هاشم ٢١٦ الحصار ٢١٧ ح - موقف قريش ٢١٩ د - موقف محمد والذين اتبعوه ٢٢١ .

٣ - الهجرة المباركة وقيام الدولة ٢٢٢ اقليم الدولة ٢٢٢ السلطة البيعة الخاصة على صعيد الانصار ٢٢٣ على صعيد المهاجرين ٢٢٤ ٤ - العقد

الاجتماعى ١٥ . ٥ - محاولة اجهاض قيام الدولة بقتل رئيسها ٢٢٥ ٦ -

البيعة العامة وعلان قيام الدولة ٢٢٦ .

الفصل الثاني : تكوين عناصر الدولة ٢٢٨ الشعب ٢٢٨ تنظيم الشعب والسلطة

٢٢٩ المؤاخاة ٢٢٩ اعلان الصحيفة ٢٢٩ الخطوط العريضة للصحيفة

التنظيمية ٢٢٩ .

الفصل الثالث : منهج الرسول بتوطيد اركان الدولة وتوسيع

رقعتها ٢٣١

أ - التركيز على الطرق التجارية لزعامة مكة ومحاولة السيطرة عليها ٢٤٢ .

ب - عام الفتح ٢٢٣ . ج - تشتيت شمل القبائل التي تحاول غزوه

٢٢٣ . د - معاقبة الخائنين والناكثين لعهد ٢٣٦ . هـ - موادة القبائل

الواقعة بين مكة والمدينة ٢٣٧ . و - قتل من لا علاج لهم إلا القتل ٢٣٨ .

ز - معاقبة من يعتدي عليه ٢٣٩ . ي - وقد يقصد الرسول بمنهجه رفع

الروح المعنوية ٢٣٩ .

الفصل الرابع : مظاهر وجود الدولة ٢٤١ الإمام شريعة الدولة ٢٤١ السلطة

التنفيذية ٢٤٢ تعيين خلفائه على العاصمة ٢٤٢ الجيوش والتحركات

العسكرية ٢٤٣ ولي العهد الوزراء المعاهدات ٢٤٣ المراسلات

الدبلوماسية ٢٤٣ عاصمة الدولة ٢٤٣ اذاعة الدولة ٢٤٤ منفذوا الاحكام

٢٤٤ .

الباب الثالث

مفهوم الدولة وطبيعتها في النظام السياسي الاسلامي ٢٤٥

الفصل الأول : شكل الحكم ٢٤٧ ليس نظاماً ملكياً ٢٤٧ ليس نظاماً استبدادياً

٢٤٨ ليس نظاماً ديمقراطياً ٢٥٠ ليس نظاماً ثيوقراطياً ٢٥١ النظام السياسي

الاسلامي ٢٥٢ .

الفصل الثاني : مبادئ الحكم ٢٥٤ ١ - اقامة حكم الله على الأرض ٢٥٤ .

٢ - تكوين دولة الايمان المثل ٢٥٤ . أ - إقامة العدل ٢٥٤ . ب -

المساواة ٢٥٤. جـ - الشورى ٢٥٦. د - الحرية ٢٥٧. ٣ - انقاذ
الجنس البشري كله ٢٥٨. ٤ - الرحمة ٢٥٩.
الفصل الثالث: شريعة الدولة ٢٦٠ المصادر الرئيسية ٢٦١ المصادر الفرعية
٢٦٤.

الباب الرابع

الأحزاب السياسية في الاسلام ٢٦٧
الفصل الأول: موقف النظام السياسي الاسلامي من نظام تعددية الاحزاب ٢٦٩
١ - حكم الاسلام على التعددية ٢٧٠. ٢ - موقف النظام السياسي من
نظام ثنائية الاحزاب ٢٧١ حكمه على ثنائية الاحزاب ٢٧١. ٣ - موقف
النظام السياسي الاسلامي من نظام الحزب الواحد ٢٧٢. حزب الشيطان
مميزات اعضائه ٢٧٣ الحكم على حزب الشيطان ٢٧٣.
الفصل الثاني: حزب الله ٢٧٥ الفارق الدقيق بين حزب الله وحزب الشيطان ٢٧٦
آية الولاية ٢٧٦ الاشكالات من هو الحكم ٢٧٦ الاشكال اللغوي ٢٧٧
اسباب النزول ٢٧٨ تحدي هل في السنة ما يثبت ان أحداً من الصحابة
قاطبة أطلق عليه لفظ ولي أو الولي ٢٨٠ كيف نعرف أعضاء حزب الله ٢٨٣
لا بد من وجود مقياس موضوعي ٢٨٥ ما هو معيار التفريق بين حزب الله
وحزب الشيطان ٢٨٥ ما الذي يثبت أن علياً مع الحق ٢٨٦ أجوبة تساؤلات
المتشككين ٢٨٦ على الولي ٢٨٧ بيان الولي ٢٨٨ الولي هو القائد ٢٨٨
الولي هو أخ النبي ٢٨٩ علاقة الولي بالحساب الأخروي ٢٩٠ خلاصة
٢٩٢.

الفصل الثالث: الاحزاب التاريخية ٢٩٢
١ - حزب الدولة أهل السنة ٢٩٣. ٢ - حزب المعارضة أهل الشيعة ٢٩٥
الايديولوجية السياسية لحزب الدولة أهل السنة ٢٩٥ الايديولوجية السياسية
لحزب المعارضة أهل الشيعة ٢٩٥. المعنى اللغوي لكلمة أهل السنة ٢٩٧
المعنى اللغوي لكلمة أهل الشيعة ٢٩٨ معنى أهل السنة اصطلاحاً ٢٩٩
معنى أهل الشيعة اصطلاحاً ٢٩٩ تاريخ نشوء التشيع ٣٠٠ منابع رأي الشيعة
٣٠١ منابع رأي السنة ٣٠١ الحكم على الحزبين ٣٠١.